المختار من مدائح المختار ﷺ

دار المنار

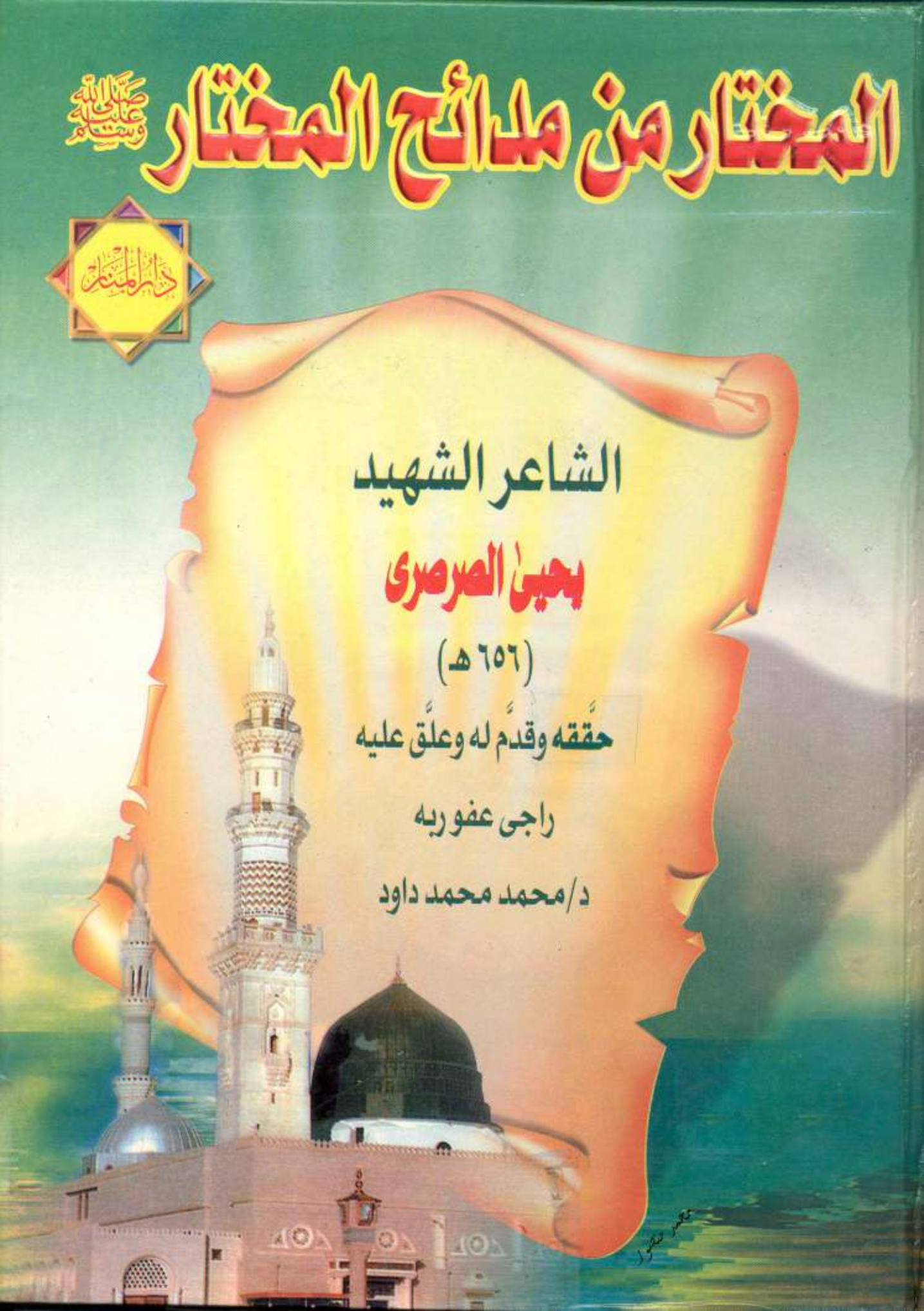

الشاعر الشهيد

يحيى الصرصرى

(٦٥٦ هـ)

حقَّقه وقدَّم له وعلَّق عليه

راجى عفو ربه

د/ محمد محمد داود

النظم المختار

من مدائح المختار ﷺ

الشاعر الشهيد

يحيى الصرصرى

(ت ٦٥٦ هـ)

حقَّقه وقدَّمَ له وعلَّقَ عليه

راجى عفو ربه

د. محمد محمد داود

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/٢١٤٤
الترقيم الدولى : 977-295-139-8

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ آل عمران / ١٦٤ .

صدق الله العظيم

إهداء

● إلى أرض الرافدين التى أشرقت أنوار حضارتها على العالم: من قانون حمورابى، إلى مدرسة الرأى والفكر لإمام الفقهاء أبى حنيفة النعمان.

● إلى أئمة أهل الطريقة السالكين على درب الحقيقة: الحسن البصرى، وبشر الحافى، ومعروف الكرخى، والجنيد، والشبلى.

● إلى مدرسة البصرة والكوفة من علماء اللغة والأدب: الكسائى، والأخفش، وابن جنى.

● إلى روح الشاعر الشهيد: الصرصرى الذى ظلَّ يقاتل التتار بشِعْرِه وعكَّازه، حتى سقط شهيداً.

● إلى الشرفاء من أبناء العراق الذين يواجهون تتار العصر (الأمريكان وحلفاءهم) بفدائية وإيمان، والله ناصرهم ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

محمد داود

مقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبى الله ورسوله، سيدنا محمد رحمة الله للعالمين، وبعد :

فما يقال من ثناء على مَنْ رَحَل عن دنيا الناس يطلق عليه « رثاء » إلا ما قيل فى سيد ولد آدم ﷺ فيسمى مديحًا . وهو باب من أبواب الشعر قائم برأسه، ومن الشعراء من توفَّر على هذا اللون من الشعر لا يجاوزه إلى غيره من أبواب الغزل والمدح والهجاء والوصف . . .إلخ . ومن هؤلاء الشعراء : شاعرنا الصرصرى .

وفى تسمية الثناء على النبى ﷺ بعد لحوقه بربه « مدحًا » حسٌّ مرهف ومشاعر صادقة من المادحين وإدراك لجلال قدر هذا النبى العظيم سيدنا محمد ﷺ رحمة الله للعالمين، صاحب الخلق العظيم، من شرح الله صدره، ورفع فى العالمين ذكره، وصلى عليه فى قرآنه . وفيه - أيضًا - إحساس بأن حياته ﷺ موصولة بعد انتقاله إلى جوار ربه .

وقد اجتهد الشعراء المحبون فى الثناء على النبى ﷺ ووصف شمائله وتتبع خطواته المباركة على هذه الأرض منذ ميلاده الشريف إلى أن صعدت روحه الطيبة إلى ربِّه . وكم خُلِّدَ ذِكْرُ شعراء بمديحهم لرسول الله ﷺ أمثال : كعب بن زهير الذى لا يذكر إلا وذكرت معه البردة النبوية المباركة التى أهداها له المصطفى ﷺ مكافأة على مدحه إياه بقصيدته « بانت سعاد »، فسميت القصيدة باسم البردة النبوية، ثم نسج على منوالها شعراء كثيرون من مختلف العصور، نذكر منهم شاعرنا الصرصرى، والبوصيرى المعاصر للصرصرى، وبردة أحمد شوقى فى العصر الحديث، وبردة الشيخ صالح الجعفرى رحمه الله، وغير هؤلاء كثيرون ممن خُلِّد ذكرهم بمدائحهم للنبى الكريم ﷺ .

والصرصرى ـ رحمه الله تعالى ـ صاحب قدم راسخة فى فن المديح النبوى، وعلى الرغم من توفر بعض الدراسات للكشف عن جوانب شعره، إلا أنه ما زال بحاجة إلى المزيد من الجهد لإخراج شعره إلى النور.

ولعلِّى بتحقيق وشرح ديوانه «النظم المختار من مدائح المختار» أكون قد وفيت بعض الوفاء وأديت بعض الواجب نحو هذا الشاعر الشهيد، والعالم الفقيه الإمام الصرصرى رحمه الله.

دوافع التحقيق:

لقد أمضيت أوقاتًا نَديَّة مباركة فى أُنس عظيم مع شمائل النبى الكريم سيدنا محمد ﷺ وفى رياض سيرته المباركة من خلال مدائح الصرصرى. ورأيتنى مدفوعًا إلى تحقيق هذه المجموعة وإخراجها إلى النور مشروحة، للأسباب الآتية:

١ ـ التعرض لبركات من قيلت فى حقه هذه المدائح: سيدنا محمد ﷺ.

٢ ـ تقديرى الخاص لهذا الشاعر العالم الفقيه الذى استشهد دفاعًا عن دينه ووطنه بعكازه بعد أن كرس شعره فى الدفاع عن هذه الأمة واستنهاض همم أبنائها لائذًا بأعتاب نبى الأمة ﷺ، وداعيًا إلى رحابه.

٣ ـ خصوصية شعر الصرصرى فى المديح النبوى، فإن شاعرنا ـ بالإضافة إلى حسِّه الصوفى العميق وحبه الصادق للمصطفى ﷺ ـ كان فقيهًا عالمًا بالقرآن والسنة والسيرة المطهرة، فخلا شعره من الغلو والمبالغة، كما خلا من الأخبار التى لا سند لها، فكان ما يذكره من شمائل ومناقب وأخبار ـ فى مجملها ـ ثابتة بالنقل الصحيح والأسانيد الموثوقة.

٤ ـ هذا مع ندرة ما بين أيدينا من شعره، اللهم إلا ما تضمنته مختارات النبهانى، فكان الصرصرى جديرًا بإخراج شعره إلى النور فى طبعة محققة مشروحة كى ينتفع بها العامة والخاصة.

• والله تعالى أسأل أن لا يحرمنى من بركاتها فى الدنيا والآخرة، وأن أحظى بوُدِّ الممدوح والمادح، كما أسأله تبارك وتعالى أن ينفع بهذا العمل، وأن يتفضل علىَّ بالقبول، فهو ولى ذلك والقادر عليه.

• ولا يفوتنى أن أسجل شكرى وتقديرى لمن ذابت حبًا فى رسول اللهﷺ : زوجى (أم مصطفى)؛ التى استعذبت السهر من أجل صف هذا الديوان وتنسيقه على الحاسوب، وكم أعلنت أنها نالت من بركات مديحه ﷺ .

﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

والحمد لله رب العالمين

د. محمد محمد داود

مكتبة العلماء

فى ٢٧ رمضان ١٤٢٤ هـ

٢١ نوفمبر ٢٠٠٣ م

ترجمة الصرصرى رحمه الله

اسمه: يحيى بن يوسف بن يحيى بن منصور بن المعمر بن عبد السلام الأنصارى الصرصرى [١].

كنيته: أبو زكريا.

لقبه: حاز شاعرنا عدة ألقاب، أشهرها:

١ ـ الصرصرى، نسبة إلى صرصر، وهى قرية فى العراق، تبعد عن بغداد فرسخين [٢]، وإليها نُسب كثير من أهل العلم، منهم: نجم الدين الصرصرى، الفقيه الحنبلى (ت ٧١٦ هـ)، وأبو القاسم إسماعيل بن الحسن الصرصرى البغدادى (ت ٤٠٣ هـ).

٢ ـ جمال الدين.

٣ ـ حَسَّانُ وقته [٣].

مولده: اتفقت المصادر على سنة مولده، فأجمعت على أنه وُلد سنة ثمان وثمانين وخمسمائة من الهجرة (٥٨٨ هـ) [٤].

حياته: لم تقدم لنا المصادر التى بين أيدينا ما يكشف لنا عن جوانب حياة الصرصرى إلا النزر اليسير. والسبيل المتاح أمامنا للتعرف على حياته هو ما جاء متناثراً فى شعره، فلا تقدم المصادر لنا شيئاً عن نشأته وأسرته.

وأما عن إصابته بالعمى فتذكره المصادر [٥]، ويؤكد شعره كذلك أنه كُف بصره فى آخر عمره، ومن شعره الدال على ذلك:

---

(١) راجع ترجمة وافية له فى: الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلى، تحقيق: محمد حامد الفقى، القاهرة: مكتبة السنة المحمدية، ط ١ ـ ١٩٥٢، ٢/٢٦٣.

(٢) الفرسخ: مقياس قديم من مقاييس الطول يقدر بثلاثة أميال ويجمع على فراسخ، والميل ١٦٠٩ أمتار فى البر و ١٨٥٢ متراً فى البحر [المعجم الوجيز: فرسخ].

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير، ٣/٢١١.

(٤) المرجع السابق، ٢/٢٦٣.

(٥) ذيل مرآة الزمان، اليونينى البعلبكى، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٥م، ط ١ ـ ١/٧٥.

رضيتُ بما ترضَى فزِدنى به رضًا وذلكَ فضلٌ زاد منه طَويَّتى
حَجَبْتَ بلُطْفٍ من صنيعك مقلتى من النَّظَرِ الدَّاعى إلى كُلِّ فتنةِ

وأما عن عقيدته، فقد صرح الصرصرى بأنه سنى العقيدة، حنبلى المذهب، وأنه متصوف على طريقة أهل السنة والجماعة. ومن شعره الدال على ذلك (١):

وإن تَسْأَلَنِّى باعتقادى فإنَّنى أقولُ بأعلىٰ الصَّوْتِ فى البَدْوِ والحَضْرِ
فإنِّى عَلىٰ حُسْنِ اعتقاد ابنِ حنبلٍ مقيمٌ إلىٰ أنْ أُودَعَ اللَّحْدَ فى قبرى
فإنِّى حَكَىٰ لى شَيْخِىَ الثِّقَةُ الرِّضا علىٌّ بنُ إدْريسَ الذى حُبُّه ذُخْرى
عن الشيخ عبد القادرِ العَلَمِ الذى تَفَرَّد بالقُطْبِيَّةِ العالِمِ الحَبْرِ
بأنَّ جَميعَ الأولياءِ بعَقْدِه مَدينُونَ فى البَرِّ الشَّسُوعِ وفى البَحْرِ

وكان الصرصرى - رحمه الله تعالى - حريصًا على السنة مدافعًا عنها، حاملاً على المخالفين لها المجترئين على حماها.

وسجل حب الوطن حضوراً عظيمًا فى شعر الصرصرى، وتجلَّى بوضوح اهتمامه بآلام الأمة التى كانت محاصرة بجيوش الأعداء من التتر وغيرهم، والدعوة إلى التصدى لهم وتوحيد الصف، والتحذير من الفرقة والتخاذل، وتكررت استغاثاته المتواصلة يلتمس من الله النصر لأمة حبيبه محمد ﷺ، وأن يحفظ عاصمة الخلافة وبيضة الإسلام: بغداد، من هجمة التتر، لكن الله لا ينصر إلا من ينصره، فيجتاح التتر عاصمة الخلافة وتسقط بغداد، ويسقط الصرصرى شهيداً على أبواب بغداد.

ويصف ابن رجب الحنبلى شاعرنا الصرصرى بوصف جامع فيقول(٢):
« كان صالحًا قدوة، عظيم الاجتهاد، عفيفًا صبوراً قنوعًا، محبًّا لطريقة الفقراء ».

---

(١) د. مخيمر صالح: المدائح النبوية بين الصرصرى والبوصيرى، بيروت: دار ومكتبة الهلال، عمان: الدار العربية، ١٩٨٦ - ص ٤١.
(٢) الذيل على طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلى ٢/٢٦٣.

شيوخه: تلقى الصرصرى ـ رحمه الله ـ العلم على شيوخ عصره، فتلقى القرآن بالروايات على أصحاب ابن عساكر البطائحى (ت ٥٧٢ هـ). وسمع الحديث من الشيخ على بن إدريس الفقيه الحنبلى المشهور (ت ٦١٩ هـ)، كما تلقى علوم النحو واللغة، وحفظ معجم الصحاح للجوهرى بكماله. وقد أسعفه حفظه لمعجم الصحاح فى إنجاز القوافى الصعبة، مثل قافية الثاء، ولعل هذا يكون مبرراً مقبولاً لوجود كلمات غريبة فى بعض القوافى؛ إذ كانت تستدعى من بطون المعاجم وليس من الواقع اللغوى. ويظهر من هذا أن ثقافة الصرصرى كانت ثقافة دينية وأنه أخذ بقسط وافر من الثقافة اللغوية.

تلاميذه: تفيد المصادر بأن للصرصرى تلاميذ، أفادوا من علمه، ومن أهمهم:

١ ـ الحافظ الدمياطى (ت ٧٠٥ هـ).

سمع من الصرصرى وأخذ عنه الحديث والقراءات، والحافظ الدمياطى يصفه صاحب فوات الوفيات بأنه حجة وعلم من أعلام المحدثين، كما وصفه بأنه عمدة النقاد. وله تصانيف عديدة (٢).

٢ ـ القاضى سليمان بن حمزة (ت ٧١٥ هـ).

وقد وُلِىَّ القضاء فى بغداد عشرين سنة، وعُرِفَ بالعدل فى قضائه وله تصانيف عديدة (٣).

٣ ـ زينب بنت الكمال (ت ٧٤٠ هـ) :

فقد رُوى أنه أجازها، ولما كان مولد زينب فى سنة ٦٤٦ هـ، ووفاة الصرصرى كانت سنة ٦٥٦ هـ، أى أن عمر زينب عند وفاة الصرصرى كان عشر سنين، وهى سن لا تناسب الإجازة، فقد دعا ذلك بعض الباحثين إلى الشك فى هذه الإجازة إلا إذا كانت إجازة بالوِجادة (٤).

---

(١) ابن رجب الحنبلى: الذيل على طبقات الحنابلة ٢ / ٢٦٣ .
(٢) فوات الوفيات ٢ / ٢٢ .
(٣) الدرر الكامنة لابن حجر ٢ / ١٤٧ .
(٤) المرجع السابق ٢ / ١١٧ .

٤ ـ أحمد بن على الجزرى ولد سنة (ت ٦٤٩ هـ) .

سكن حماة ثم دمشق، أخذ العلم على يد المبارك الخواص وفضل الله الجيلى وسبط ابن الجوزى . حدَّث كثيراً، وكان كثير الذكر والتلاوة والعبادة، وإليه صارت الرحلة بعد زينب بنت الكمال توفى سنة (٧٤٣) [١] .

آثار الصرصرى :

آثار الصرصرى التى بين أيدينا كلها فى مجال الشعر، وَجُلُّها فى مدائح النبى ﷺ وقصائد قليلة ذات طابع تعليمى .

وفاته : كما أجمعت المصادر على سنة مولده، فقد اتفقت على سنة وفاته، فذكرت أن وفاته كانت فى سنة ست وخمسين وستمائة من الهجرة (٦٥٦ هـ) السنة التى سقطت فيها بغداد فى يد التتر، وسقط الصرصرى شهيداً على يد التتر حين دخلوا فرماهم بالحجارة وقاتلهم بعكازه فأصاب منهم وقَتَل، ثم استشهد رحمه الله [٢] .

---

(١) وفيات الأعيان ١ / ٢٠٧ .
(٢) الذيل على طبقات الحنابلة ٢ / ٢٦٣ .

الصرصرى والمديح النبوى

توفر الصرصرى، رحمه الله تعالى، على المدائح النبوية، حتى قال ابن كثير [١] : إن الصرصرى لم يمدح أحداً من المخلوقين من بنى آدم إلا الأنبياء، كما أُطْلِق عليه « حَسَّانُ وقته » وهكذا جاء جُلُّ شعره - رحمه الله - فى مديح المصطفى ﷺ، وما خرج من شعره عن مديح المصطفى ﷺ يُعَدُّ استثناءً .

ولقد نبغ الصرصرى فى فن المدائح النبوية، وساعده على ذلك حِسُّه الأدبى المرهف ومشاعره الإيمانية الفياضة التى كانت تحركه لإنشاء القصائد الطوال مادحًا رسول الله ﷺ، وقد جاء فى شعره ما يبوح بهذا الحب الذى ملأ جوانحه للمصطفى ﷺ وتعلق قلبه به، فقد رأى الصرصرى الرسول ﷺ مرة فى النوم فقبل فاه وقال: أشهد أن هذا الفم الذى أنزل عليه الوحى، فقال ﷺ للصرصرى فى المنام: « وأنا أشهد أنك مت على الكتاب والسنة »، والموت على الكتاب والسنة تأويله الشهادة فى سبيل الله .

وقد صدقت الرؤيا ومات الصرصرى رحمه الله شهيداً ، يقول الصرصرى رحمه الله [٢] :

رأيتُ رسولَ الله فى النوم مَرَّةً ... فقبَّلتُ فاه العذبَ تقبيلَ مشتاقِ
ولو أننى أوتيتُ رُشْدِىَ قائمًا ... لقبَّلتُ مَمْشاه الشريفَ بآماقِى
فبشَّرنى منه بأزكى شهادةٍ ... بها جَبْرُ كَسْرِى يومَ قهرى وإملاقِى
بموتٍ سعيدٍ فى كتاب وسُنَّةٍ ... فلانَتْ لبُشْرَاهُ شراسةُ أخلاقِى

---

(١) البداية والنهاية، ابن كثير ٣ / ٢١١ .

(٢) ديوان الصرصرى، ورقة ٢٢٠ . وانظر: المدائح النبوية بين الصرصرى والبوصيرى ص ٥٧ .

وسبب آخر لنبوغ الصرصرى فى فن المدائح النبوية : هو تمكنه من اللغة العربية، مع إلمامه الواسع وفهمه العميق لسيرة الرسول ﷺ، لذلك جاءت مدائحه سجلاً وافيًا لمعجزات النبى ﷺ وشمائله.

ولما كان الصرصرى عالمًا فقيهًا، رأينا مدائحه للمصطفى ﷺ قد خلت من الغلو أو الشطط، وإنما كانت فى إطار آمن لا يخرج عن آيات القرآن الكريم أو عن سنة المصطفى ﷺ.

كما كان للدعوة إلى الله تعالى نصيب وافر من شعر الصرصرى رحمه الله تعالى، حيث عبر عن آلام الأمة المسلمة فى عصره إزاء الهجمة الشرسة للتتر على بغداد وقتها، ودعا ربه وتوسل إليه فى كشف الغمة عن الأمة.

وأضاف الصرصرى إلى فن المدائح النبوية حين طرق أبوابًا جديدة فى مدائحه، من ذلك تصريحه الواضح بالحقيقة المحمدية (النور المحمدى)، فى إطار الكتاب والسنة دونما غلوٍّ أو شطحات، وكان سابقوه يكتفون بالإشارة إليها، ومن شعره الذى جاء فيه تصريح بالحقيقة المحمدية، قوله:

نُقِلْتَ مِنْ كُلِّ صُلْبٍ طَابَ مَحْتِدُهُ ... إلى بُطونٍ زَكَتْ ما شَانَها نَكَدُ

حَلَلْتَ صُلبَ أَبينا عِنْدَ مَهْبِطِه ... وصُلْبَ نُوحٍ وقدْ غَشَّىٰ الوَرَىٰ الزَّبَدُ

وكُنْتَ فى صُلْبِ إبراهيمَ مُسْتَتِراً ... ونَارُ نمْروذَ أَشْقَىٰ الخَلْقِ تَتَّقِدُ

وحَازَ نُورَكَ إسماعِيلُ يُودِعُهُ ... أبناءَهُ الغُرَّ حَتَّىٰ حَازَهُ أُدَدُ

ونَالَ عَدْنانُ فى الأَنْسابِ مَنزِلةً ... عُلْيا بِذِكْرِكَ لَمْ يُخْفَضْ لها عَمَدُ

ولَمْ يَزَلْ فى مَعَدٍّ ثُمَّ فى مُضَرٍ ... وهاشِمٍ بِكَ تاجُ الفَخْرِ يَنْعَقِدُ

حَتَّىٰ تَسَلَّمَ عَبدُ اللهِ مَنْصِبَهُ ... من شَيْبَةِ الحَمْدِ حَتَّىٰ أَقْبَلَ الأَمَدُ

كما عبر الصرصرى رحمه الله عن عاطفة الحب العظيم الذى ملأ جوانحه وجوارحه لرسول الله ﷺ.

ومما أضافه الصرصرى فى فن المدائح النبوية تجديده فى مقدمة القصائد، حيث بدأ بعض قصائده فى المديح بالتسبيح والحمد لله بدلاً من المقدمة الطللية التقليدية، كما فى نونيَّته التى مطلعها:

سُبْحانَ ذِى الجَبَروتِ والبُرْهانِ والعِزِّ والمَلَكُوتِ والسُّلْطانِ

كما برع الصرصرى فى بناء الصورة الفنية فى قصائده من خلال معانى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ويمكن إجمال الخصائص الفنية لمدائح الصرصرى فى العناصر التالية:

(١) امتلاكه ناصية اللغة: ويظهر ذلك فى وفرة معجمه واتساعه للوفاء بقوافٍ لقصائد طويلة، بل وبالغة الطول.

(٢) تأثره بالمعجم القرآنى والنبوى، لفظًا ومعنى، وكثيراً ما ينظم المعانى من القرآن والسنة فى ثنايا قصائده، مما أعطى شعره مسحة من نور القرآن والنبوة.

(٣) وفرة النغم الموسيقى، وتأتى له ذلك بالنظم على كل بحور الشعر العربى، وتنويع القوافى على جميع الحروف الهجائية.

(٤) التباين فى الأسلوب بين السهولة والصعوبة، فنقرأ فى شعر الصرصرى القصائد ذات الألفاظ السهلة والتراكيب البسيطة، كما فى قوافى: الهمزة والدال والراء واللام والميم والنون، ونقرأ فيه القصائد ذات الألفاظ الحوشية الوعرة التى نحتاج إلى مراجعة المعاجم فى كل بيت منها، خاصة فى قوافى: الثاء والذال والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والغين والكاف.

والسر فى هذا التفاوت الأسلوبى يرجع إلى التزام الصرصرى بالنظم على كل حروف المعجم، وبطبيعة الحال فإن القصائد التى نظمت على قوافٍ سهلة كالراء واللام ونحوها ستجنح إلى السهولة؛ لوفرة الكلمات المتاحة لقوافيها، وعلى النقيض من ذلك القصائد التى نظمت على قوافٍ صعبة كالثاء والذال ونحوهما؛ إذ الكلمات التى تنتهى بالثاء والذال ونحوهما لا توفر له القوافى الكافية، فهو

ينقب فى محفوظه من اللغة عن كل كلمة تنتهى بالثاء مثلاً ليصنع قافية ثائية، فتكون النتيجة أن تنتهى الأبيات بكلمات من قبيل: (الأنائث ـ الروامث ـ عثاعث ـ عناكث ـ مدالث ـ أنابث ـ رواغث ... إلخ).

(٥) تأثره بأبى العلاء المعرى الذى شاركه فى كف البصر، وهذا واضح فى التزام الصرصرى بالنظم على جميع حروف المعجم، ويعد المجموع الذى بين أيدينا ثانى ديوان عربى بعد لزوميات أبى العلاء ينظم على جميع حروف المعجم. كما يظهر تأثر الصرصرى بأبى العلاء فى ولعه بالمحسنات البديعية وبخاصة: الجناس بأنواعه. وقد نبهت على ذلك فى تقديم القصائد التى غلب عليها البديع، وأشرت إلى تأثره بأسلوب المعرى.

(٦) صدق العاطفة النابع من نفس محبة لشخص النبى الكريم ﷺ، وللديار المقدسة التى شهدت خطواته المباركة.

(٧) القدرة العالية على الوصف، وبخاصة وصف المكان، حتى إننا نستطيع إذا تتبعنا إشاراته المكانية أن نرسم خارطة دقيقة تبدأ من « صرصر » شرقى بغداد، وتنتهى بمكة المكرمة والمدينة المنورة، وما بين العراق والحجاز من منازل وجبال ومياه، على نحو ما نرى فى اللامية الثالثة. وربما كان سر هذه القدرة العالية راجعًا إلى كف بصره، فمعروف عن نوابغ المكفوفين حدة الذاكرة وخصوبتها عندهم.

منهج التحقيق والشرح:

١ ـ اعتمدت منهج النص المختار فى التحقيق، فكنت أثبت الصواب من النسخ التى بين يدى، وكذا ما سجله النبهانى فى « المجموعة النبهانية »، ثم أذكر فى الحاشية النص كما ورد فى النسخة (أ).

وسبب التزامى طريقة النص المختار أن فيها فائدة فى تخليص النص من

أخطاء النُّساخ وسهوهم وما قد يقعون فيه من تصحيف وتحريف ينال من النص ويجعله عسيراً على غير أهل الاختصاص. والمحقق فى هذا كله لا يخرج عما كتبه المؤلف ولا عن نسخ كتابه، وإنما هى محاولة جادة للتغلب على أخطاء النُسَّاخ، مع التزام الأمانة العلمية.

٢ ـ ضبط نص المخطوط ضبطًا كاملاً.

٣ ـ قدمت لكل بمقدمة قصيدة تبين المحاور الأساسية التى دارت حولها معانى القصيدة.

٤ ـ شرح الكلمات التى تحتاج إلى شرح.

٥ ـ ترجمة الأعلام والأماكن الواردة فى النص.

٦ ـ بيان البحور التى نظمت عليها القصائد.

٧ ـ تخريج الأحاديث النبوية والآثار التى أشارت إليها أبيات قصائد الصرصرى.

٨ ـ التنبيه على بداية كل صفحة ورقمها من صفحات المخطوط.

٩ ـ عمل فهرس للموضوعات بعناوين الفصول والقصائد التى تضمنها كل فصل.

(١) نسخة دار الكتب المصرية (أ) تحت رقم ١٠٩ / أدب، وعنها صورة بمعهد إحياء المخطوطات العربية برقم ٣٢١ / أدب.

ومسطرتها ٢١ سطراً فى الصفحة، وسجل عنوانها بخط الناسخ: ديوان الصرصرى تغمده الله تعالى بالرحمة والرضوان وأسكنه فسيح الجنان بمنه وكرمه.

ثم نص الناسخ فى صفحة العنوان على أن هذا الديوان منتخب من ديوان الناظم رحمه الله، اقتصر فيه على المدائح فقط، وإلا فهو بقدر هذا خمس مرات، فيه من الآداب الشرعية والمواعظ والنصائح والزهديات شىء عظيم.

ثم صرح الناسخ فى نهاية المخطوط (أ) بعنوان هذه النسخة بقوله:

تم النظم المختار من مدائح المختار

وقد رأيت أنه عنوان مناسب لهذا المنتخب من شعر الصرصرى؛ لأنه ينص على أنه (مختار) من مدائح النبى المختار ﷺ، فهو يبين أن محتواه ليس كل شعر الصرصرى فى المدائح بل مختارات منه، كما أنه عنوان سهلٌ قريب المتناول للخاصة والعامة.

ويعود تاريخ نسخها إلى عام ١٠١٧ هـ وتقع فى ٨٩ (تسع وثمانين ورقة). بدايتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

قالَ الشيخُ الإمامُ الأوحدُ البليغُ جمالُ الدينِ أبو زكريا يحيى بنُ يوسُفَ بنِ علىٍّ بنِ منصورِ بنِ المعمر بنِ عبدِ السَّلامِ الصَّرْصَرِى، تَغمَّدهُ اللهُ بِرِضْوانِهِ. آمين:

الحمد لله على جزيلِ نَعْمائِه وجَميلِ آلائِه، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ خاتَمِ أنبيائِه، وعلى آلِه وصحبِه وأوليائِه.

هَذا ما سَمَحَ به مَحْمُودُ خاطِرِي، وانتَظَمَ مِنْ نَفيسِ جَواهِرِي، في مَدحِ سَيِّدِ العَربِ والعَجَم، المُفَضَّلِ عَلى أنْبياءِ جميعِ الأمم، محمدٍ صلى الله عليه وسلَّمْ، مُرتَّبًا على حروف المعجم، متقرِّبًا إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بمدحه، راجيًا جميلَ عفوِه وصَفحِه، وإلى الله أرغبُ في مقابلتِه بالقَبولِ، وجَبْرِ نقصِه بكمالِ الرَّسول ﷺ.

وآخرها:

تم

«النظم المختار من مدائح المختار»

والحمد لله على فَضله الدَّارّ

وصَلى الله على سيدنا محَمدٍ

مشرق الأنوار

ومركز الأدوار

ومظهر الأسرار

وعلى جميع الآل والأصحاب والأنصار

وتابعيهم السادة الأخيار

ما تعاقب الليل والنهار

وسلِّم تسليمًا كثيراً دائماً أبداً

في أواخر صفر الخير من شهور سنة سبع عشرة وألف من الهجرة النبوية

ختمت بالخير إن شاء الله تعالى، آمين.

وهى أوضح النسخ وأكثرها تنظيمًا، وهذه النسخة هى محل التحقيق. والنسخ الأخرى ليست نسخًا من هذا المخطوط، وإنما كل نسخة منها مجموع وحده، يشترك مع هذا المخطوط فى قصائد ويختلف فى قصائد أخرى.

وكانت القصائد المشتركة بين كل نسخة والنسخة (أ) محل التحقيق معاونة فى التحقُّق من قراءة بعض الكلمات غير الواضحة بالنسخة (أ).

(٢) وصف النسخة الأزهرية (ب) بدار الكتبخانة الأزهرية (رقم ٢٨٧٥٤ / أدب)، وعلى صفحة الغلاف وقف مؤرخ بتاريخ غرة المحرم سنة ١٣٣٧ هـ. وتقع فى ٢٠٦ أوراق، وكتبت بخط النسخ الواضح والمشكول. وبدايتها:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم العلامة الفاضل العارف المكاشف لسان الأدب وحجة العرب جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف الصرصرى قدس الله روحه بمدحه ﷺ:

زارَ وَهْنًا ونحن بالزوراء ... فى مكانٍ خالٍ من الرقباءِ
من حبيب القلوب طيف خيالٍ ... فجلا نوره دجى الظلماءِ

ونهايتها:

فاجعلِ ابنَ الهيتىِّ شيخَكَ تَسْلَمْ ... بِهُداهُ من كل أمرٍ دَنِىّ

والحمد لله رب العالمين

هذا آخر ما أمكن جمعه من نظمه رحمة الله عليه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

وهذه النسخة مخالفة للنسخة (أ) التى اعتمدت عليها فى التحقيق. فهى أحدث عهدًا، كما أن محتواها مغاير تمامًا لتلك.

تحتوى النسخة (ب) على مائة وستين منظومة تراوح طولها من بيتين إلى القصائد بالغة الطول، ولا تشترك النسختان إلا فى ست عشرة قصيدة.

هذا ، والقصائد المشتركة بها اختلافات طفيفة بين النسختين ، بزيادة بعض الأبيات فى (ب) ، أو بتغيير مواقع بعض الأبيات ، كما هو موضح فى نص التحقيق .

والنسخة (ب) ليست نسخة دقيقة ، فأخطاؤها كثيرة : نحويًّا وإملائيًّا وعروضيًّا ، لكننى اعتمدت عليها فى تدقيق بعض الكلمات المطموسة أو غير الواضحة فى النسخة (أ) ، بعد بحث ومقارنة مع الكلمات المشابهة فى مواضع كثيرة من النسختين .

● النسخة (ب) هى ـ كما ذكر الناسخ فى نهايتها : **آخر ما أمكن جمعه من نظمه رحمه الله ، وكتب فى آخرها :**

« ديوان العلاَّمة الصرصرى ، رحمه الله »

● لم تقتصر قصائد النسخة (ب) على المدائح النبوية ـ كما هى الحال فى (أ) غالبًا ـ بل تنوعت الأغراض بين مدح الرسول ﷺ ، والثناء على الله عز وجلّ والتضرع إليه ، ومدائح لبعض آل البيت كالسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام ، وبعض الصحابة ، كسلمان الفارسى ، وحذيفة بن اليمان ـ رضى الله عنهما ـ ومدائح لبعض الصالحين ، كشيوخه من الصوفية ، أمثال : الهيتى ، وابن إدريس ، وأبى على بن نصر ، والقادرى ، وأبى الوفا الجبيلى ، وغيرهم . وهناك قصائد تناولت موضوعات تاريخية كتأريخه لخلفاء بنى العباس من أبى العباس السفاح حتى عصر شاعرنا (فى خلافة المستعصم بالله) ، وهناك زهديات وحكم ووصايا ، وإخوانيات ، وغزليات ، وألغاز ، وقصائد فى موضوعات دينية أخرى كتلك التى عنونها الناسخ بعنوان : فى تجويد قراءة الفاتحة ، وفى نسبة خرقته إلى مشايخه ، وفى أحوال الرجال وطرائقهم ، وفى حكم إباحة الغناء وآراء الفقهاء فى ذلك . وثمة قصائد ذاتية محضة ، كالحنين إلى الذكريات والتحسر على ما ضاع من أيام وشباب وصبوات ، وقصائد فى سيرته الذاتية ، وقصائد فى

عتاب الذات ، وقصائد فى موضوعات علمية وفكرية.

(٣) نسخة أصفية بحيدر أباد (جـ) التى قام معهد إحياء المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة بتصويرها وحفظها تحت رقم ١٥١٣ / أدب وتقع فى ١٨٩ ورقة، ومسطرتها (٢٥) خمسة وعشرون سطراً فى الصفحة، وعدد كلمات السطر الواحد تسع كلمات فى المتوسط.

وهذه النسخة مكتوبة بخط النسخ الواضح والمشكول، وسجل عنوانها واضحًا:

ديوان الصرصرى

للإمام أبى زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى الحنبلى وأولها:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم الفاضل ركن الدين، ولسان العرب، وحجة الأدب، أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى الحنبلى، تغمده الله برحمته، يذكر فيها منازل العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنهم أجمعين ونفعنا بهم فى الدنيا والآخرة:

سقى العذيب من الأمواه ما عذبا وهز نفح الصبا من بانه العذبا

وفى نهاية المخطوط:

وانتظم النفع منه فى المعاد لها إذا سقاها روىً عَذْبًا فروَّاها

تم الديوان المبارك من الشيخ الكامل يحيى الصرصرى تغمده الله برحمته. وكان الفراغ منه فى يوم السبت المبارك سادس ذى الحجة الحرام سنة أربع وتسعين وثمانمائة. غفر الله لكاتبه والقارئ فيه ولجميع المسلمين، آمين.

وهذه النسخة مجموع وحده، تشمل مع مدائح المصطفى ﷺ الثناء على الله تعالى واستغاثات وأدعية وغير ذلك.

وجدير بالذكر أنها من أهم النسخ التى عاونت فى التحقيق، حيث مكنتنا من التأكد من صحة قراءة الكلمات غير الواضحة فى النسخة (أ) محل التحقيق، وذلك فى حدود القصائد المشتركة بين النسختين.

(٤) نسخة المسجد الأقصى بالقدس (د) التى قام معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة بتصويرها وحفظها تحت رقم ١٥١٥ / أدب، وتقع فى ١٥٣ ورقة، ومسطرتها (١٨) سطراً، وعدد كلمات السطر الواحد تسع كلمات فى المتوسط. وكتبت بخط النسخ، إلا أن بها بعض التلف، وبعض صفحاتها ناقصة.

وكانت هذه النسخة إحدى النسخ المعاونة فى ضبط قراءة بعض الكلمات غير الواضحة فى النسخة (أ) محل التحقيق.

وعنوان هذه النسخة:

هذا ديوان إمام البلغاء، الشيخ الإمام يحيى الصرصرى بن يوسف رحمه الله.

والنسخة غير مرتبة، فبدايتها بقافية القاف:

لِمَنِ الأَسِنَّةُ بَرْقُهـا يَتَأَلَّقُ فى جَحْفَلٍ كَمُجَلْجِلٍ يَتَبعَّقُ

ونهاية الديوان كالتالى:

فاخطب إلى حوراءَ راق منظرها فى جنة لا ترى فى رأسها عذبا

صداقها طاعة الرحمن فاسمُ لها ولا تكن كفتى عن رشده عزبا

كما أن هذه النسخة مجموع وحده، بها بعض القصائد المشتركة مع النسخة (أ) محل التحقيق، بالإضافة إلى قصائد أخرى. وأما عن موضوعات قصائد هذه النسخة فجلها فى المديح مع موضوعات أخرى من الاستغاثات والأدعية والثناء على الله تعالى.

(٥) نسخة مكتبة جوته ـ ألمانيا الشرقية (هـ) وعنها نسخة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة تحت رقم (١٥١٤ / أدب)، وتقع

فى ٢٣٢ ورقة، ومسطرتها (١٥) خمسة عشر سطراً فى الصفحة الواحدة، وعدد كلمات السطر الواحد تسع كلمات فى المتوسط. وهى نسخة كاملة مكتوبة بخط النسخ الواضح، وقد سجل عنوانها واضحاً:

هذا ديوان الإمام العالم الفاضل جمال الدين أبى زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى الصرصرى قدس الله روحه ونور ضريحه بمدح النبى ﷺ .

وبداية المخطوط بعد صفحة العنوان:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل المكاشف، لسان العرب وحجة الأدب جمال الدين أبو زكريا يحيى بن يوسف بن يحيى الصرصرى قدس الله روحه ونور ضريحه بمدح النبى ﷺ :

قافية الهمزة

سبحان من للورى فى أرض ذَرَءَا وأحسن الصنع بالإتقان إذ بَرَءَا

ونهايتها كالتالى:

يارب واجعل إلى الخيرات منقَلَبى ونَجِّنى من ضرام ظَلَّ مُلْتَظِيا

تم الديوان المبارك بحمد الله وعونه وحسن توفيقه. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، آمين.

وموضوعات هذه النسخة متنوعة، تشمل الثناء على الله تعالى ومديح النبى ﷺ. وهذه النسخة مجموع وحده، ومن خلال القصائد المشتركة بين هذه النسخة ونسخة النظم المختار من مدائح المختار (أ) أمكن التأكد من بعض الكلمات التى ساورنا الشك فى صحة قراءتها.

صورة الصفحة الأولى و الأخيرة
من النسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام الاوحد البليغ جمال الدين ابو زكريا يحيى بن يوسف
ابن يحيى بن منصور بن العمر بن عبد السلام الصرصري نفعنا الله برضوانه امين
الحمد لله على جزيل نعمائه وجميل آلائه، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد خاتم
انبيائه، وعلى آله وصحبه واوليائه هذا ما سمح به محمود خاطري وانظمه من
تفضيل جواهري في مدح سيد العرب والعجم المفضل على انبيا جميع الامم
صلى الله عليه وسلم مرتبا على حروف المعجم متقربا الى الله عز وجل بحمده
جميل عفوه وصفحه والى الله ارغب في مقابلته بالقبول وجزيل فضله بكا

فال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم • عد
سقت الهما د بساحة البطحاء • اكنا ف ذاك المهد المتنا بي
فكسته من حلل الربيع مُلاءة • لعبيرها أرج على الأرجاء
فهناك لي عهد قديم عزّ ان • نُفدى ولا ارضى له بفداء
قضيت فيه مع الاحبة عيشة • بغواص تلك الحضرة الغنحاء
ايام اصبح لا اخاف موتبا • وابيت في امن من الرقباء
مع فتية مثل النجوم اعزة • غرر القبائل خطم الانجاء
هجروا الوساد وواصلوا طول السرى • في البيد انضا على الانضاء
لم يثنهم عن عزمهم دخص المنى • كلا ولا مالوا الى الاهواء
من كل مقدام اذا خاض الوغى • جلت بداه عجاجة الهيجاء
يلقاه يوم الحرب ليث عريكة • ويراه يوم السلم بدر سماء
كيف السبيل الى الخمي من دونه • شوك الثغور وشقة السداء
يفنى الزمان وليس يودن نحوه • شوقي وان طال المدا بتنائي

صورة الصفحة الأولى

حوى قصبات السبق من قبل آدم • وأرضع من ثدي العلى قبل مريم
جرى نحو اعلاها به غير مرتب • فكل مقام دون جريه مذمم
اذا ما ارى ذا ان اتى بمداه • وان يأتزر ذا ان التقى فضل ئيبه
يفوق ضيا الشمس سنة وجهه • ويخجل مسك العضون بمشمه
به اسأل الرحمن ذا العرش دائما • نجاتي من هول القيام وفوزه
فسمر القلم اختا ر من بطاح الحمى د
والحمد لله على فضله الدار • واسأل الله تعالى الخلاص
في هذه الدار وتلك الدار • وصلى الله على سيدنا محمد
مشرق الانوار ومركز الادوار • ومظهر الاسرار
وعلى جميع الآل والاصحاب والانصار • وتابعهم
التادة الاخيار • ما تعاقب الليل والنها ر
وسلم تسليما كثيرا دائما ابدا
في اواخر صفر الخير من شهور سنة
تسع عشر والف من الهجرة النبوية
ختمته بالخير ان شا
الله تعالى

صورة الصفحة الأخيرة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام العالم
العلامة الفاضل العارف المكاشف
لسان الأدب وحجة العرب جمال
الدين ابو زكريا يحيى بن يوسف الصرصري
قدس الله روحه ونور ضريحه عليه الصلوة والسلام

زارَ وَهْنًا وَنَحْنُ بِالزَّوْرَاءِ ... فِي مَكَانٍ خَالٍ
مِنَ الرَّقَبَاءِ
مِنْ جَنِيبِ الْقُلُوبِ طَيْفُ خَيَالٍ ... فَجَلَا
نُورُهُ دُجَى الظَّلْمَاءِ
يَا لَهَا زَوْرَةً عَلَى غَيْرِ وَعْدٍ ... بِتُّ مِنْهَا فِي
لَيْلَةٍ سَرَّاءِ

صورة الصحفة الأولى

هذا آخر ما أمكن جمعه من خط الإمام رحمة الله عليه
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم
تسليما كثيرا
الى يوم
الدين

ديوان العلامة الصرصري رحمه الله

صورة الصحفة الأخيرة

صورة الصفحة الأولى والأخيرة
من النسخة (ب)

صورة الصفحة الأولى والأخيرة
من النسخة (ج)

صورة الصفحة الأولى

صورة الصفحة الأخيرة

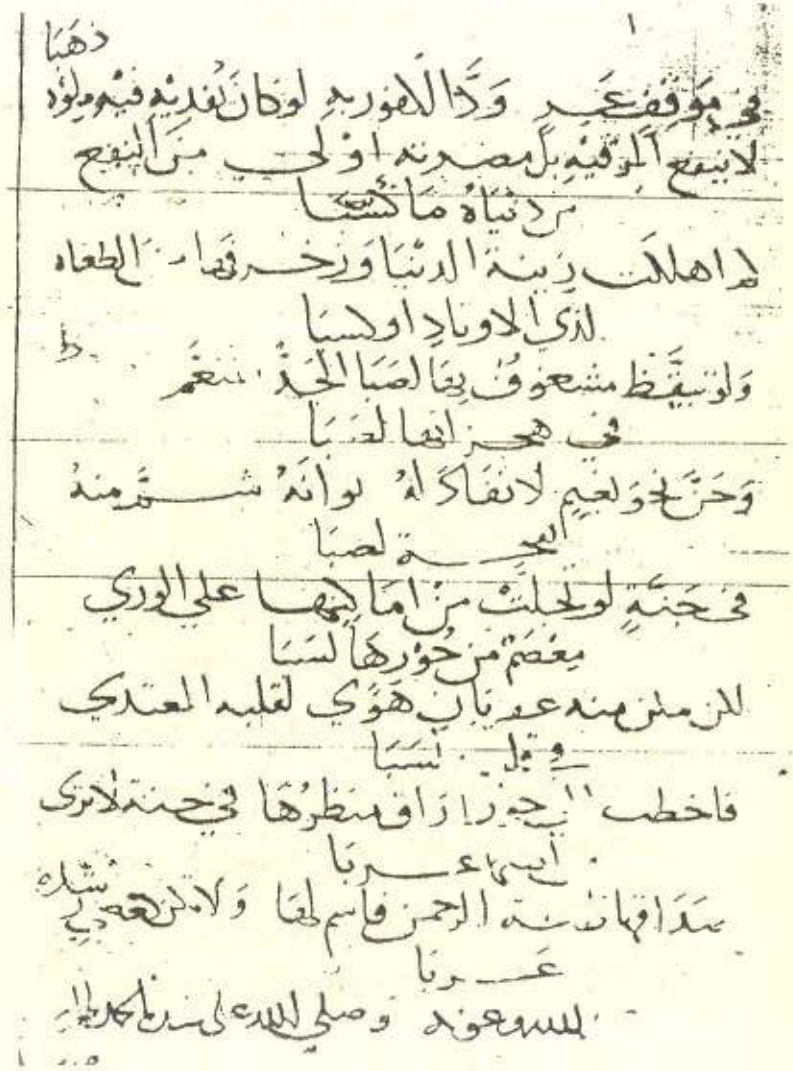

صورة الصحفة الأخيرة

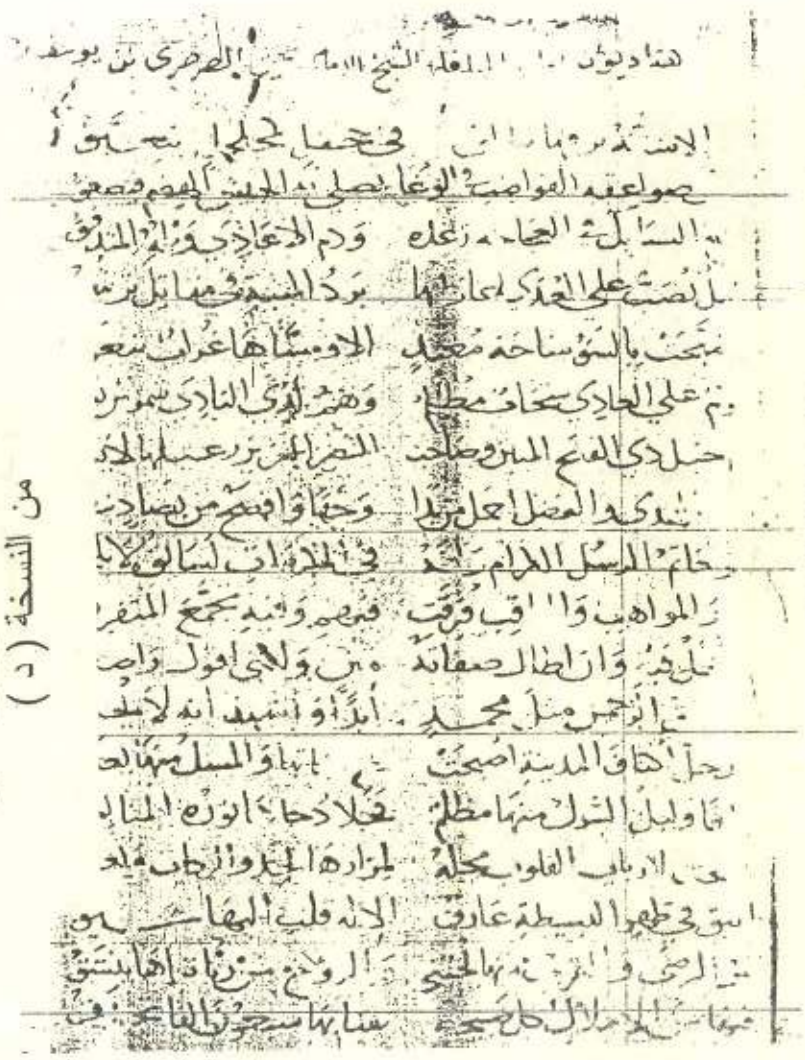

صورة الصحفة الأولى

صورة الصفحة الأولى والأخيرة من النسخة (د)

يارب صل والعم بالصلاة على ... محمد وعلى صحب بهم رضيا
يارب فضلي لترضاه بجملتي ... ممن بصحبتهم بي خير حظيا
يارب واختم بخير ان تخطفني ... بختوم موت على كل الورى قضيا
يارب والطف بضعفي ان دنا املي ... الموت الجي لسيف الغدر مقتيا
يارب واجعل الى الخيرات منقلبي ... وبحيي من مزاريم ظل ملتجيا
ثم الديوان المبارك بحمد الله وعونه
وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم وحسبنا
الله ونعم الوكيل ولا حول ولا
قوة الا بالله العلي
العظيم
آمين

صورة الصحفة الأخيرة

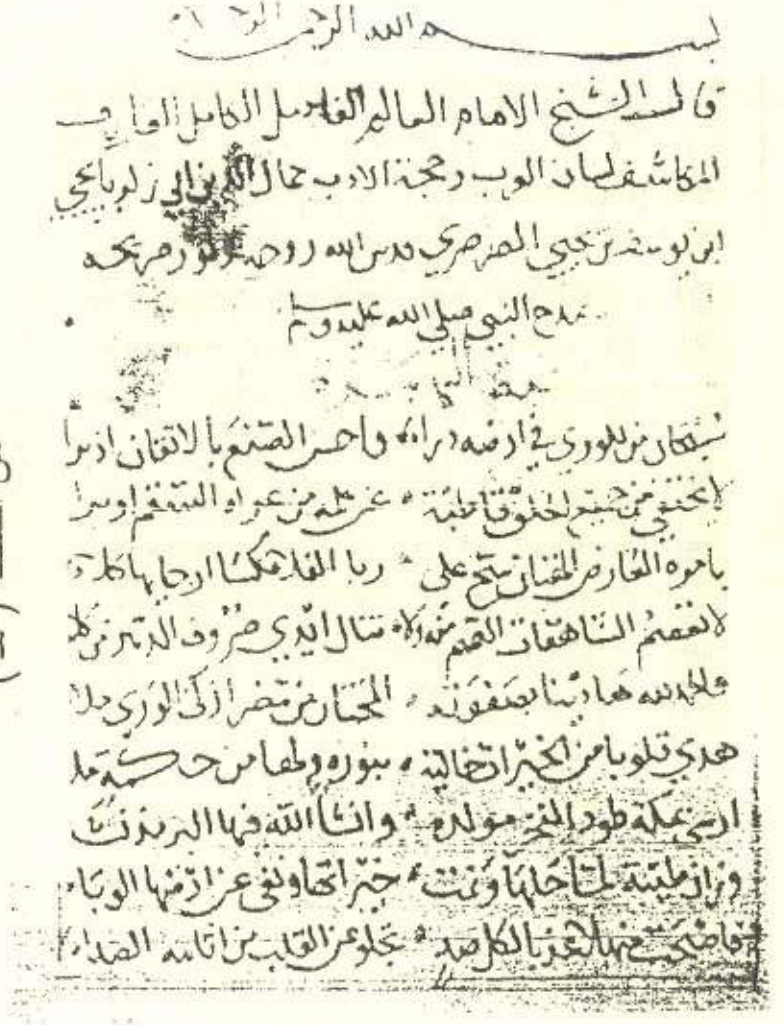

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ الامام العالم الفاضل الكامل العابد
المكاشف لسان الوقت وحجة الادب جمال الدين ابي زكريا يحيى
ابن يوسف بن يحيى المصري قدس الله روحه ونور ضريحه
مدح النبي صلى الله عليه وسلم
بسيط
سبحان من للورى في ارضه دراه ... واحسن الصنع بالاتقان اذ براه
اختص من جمع الخلق قاطبة ... عن كله من عراه النقص او سراه
بامره العارض الغمام يتبع على ... ربا الفلا مكنا ارجاءها كلاه
لانعصم الناهقات القصم منه لا ... تنال ايدي صروف الدهر من كلاه
فالله هاديا بصفوته ... المختار من مضر الى الورى هداه
هدى تلوبا من الخير اتخالية ... بنوره ولها من حكمة حلاه
اسنى حلة طود المجد مولده ... وانما الله فيها البر ذنت
وزان حلية تلا حلاها ونعت ... خير اتحاه ونقى عن ازمنها الوباء
فاضحى منه الغرب الكاصد ... تجلو عن القلب من اثامه الصداء

صورة الصحفة الأولى

صورة الصفحة الأولى والأخيرة من النسخة (هـ)

مخطوط

النظم المختار

من مدائح المختار ﷺ

الشاعر الشهيد

يحيى الصرصرى

(ت ٦٥٦ هـ)

حقَّقه وقدَّمَ له وعلَّقَ عليه

راجى عفو ربه

د.محمد محمد داود

بسم الله الرحمن الرحيم

قالَ الشيخُ الإمامُ الأوحدُ البليغُ جمالُ الدينِ أبو زكريا يحيى بنُ يوسُفَ بنِ عليٍّ بنِ منصورِ بنِ المعمر بنِ عبدِ السَّلامِ الصَّرْصَرِى، تَغمَّدهُ اللهُ بِرِضْوانِه. آمين:

الحمد لله على جزيلِ نَعْمائِه وجَميلِ آلائِه، وصلَّى اللهُ وسلَّمَ على سيِّدنا مُحَمَّدٍ خاتَمِ أنبيائِه، وعلى آلِه وصحبِه وأوليائِه.

هَذا ما سَمَحَ به مَحْمُودُ خاطِرِى، وانتَظَمَ مِنْ نَفيسِ جَواهِرِى، فى مَدحِ سَيِّدِ العَربِ والعَجَم، المُفَضَّلِ عَلى أنْبياءِ جميعِ الأمم، محمدٍ صلى الله عليه وسلَّمْ، مُرتَّبًا على حروف المعجم، متقرِّبًا إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بمدحه، راجيًا جميلَ عفوِه وصَفحِه، وإلى اللهِ أرغبُ فى مقابلتِه بالقَبولِ، وجَبْرِ نقصِه بِكمالِ الرَّسول ﷺ.

قافية الهمزة (*)

تقديـــم

بهذا التقسيم لقصائد الديوان، يتضح لنا أن الصرصرى متأثر بأبى العلاء المعرى صاحب «اللزوميات»، فالمعرى أول شاعر عربى ينظم ديوانًا كاملاً على حروف المعجم، وإن كان الصرصرى لم يُجَارِ أبا العلاء فى هذا المضمار، فلم ينظم قوافى متعددة تحت كل حرف من الحروف، فيأتى بالحرف مضمومًا ثم مفتوحًا ثم مكسوراً ثم ساكنًا، بل اكتفى بنظم مقطوعة أو عدة مقطوعات من كل حرف، بغض النظر عن حركة الروى.

ولم يقف تأثر الصرصرى بأبى العلاء عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى الأساليب الفنية، فمن المعروف عن أبى العلاء ولعه بالمحسنات البديعية من جناس وتورية وغير ذلك مما يتعلق بالطبيعة الصوتية للنص الشعرى، وهذا ما سنراه واضحًا عند شاعرنا الصرصرى، وسأشير إليه فى مكانه.

والسر فى ولع كلا الشاعرين بالأصوات والإيقاعات والنغمات يرجع إلى ما جمع بينهما من كف البصر، وهو ما جعل كُلاً منهما يعيش فى عالم من الأصوات، فكان طبيعيًا أن يطغى جانب الصوت والإيقاع على سائر جماليات الشعر.

كذلك نجد اتساعًا فى معجم الصرصرى يذكرنا بمعجم أبى العلاء، وإن لم يصل إلى حد الإغراب فى اللفظ والتعمق فى مجاهل اللغات المهجورة كصنيع أبى العلاء.

(*) عناوين الفصول وردت فى الأصل، والعناوين الفرعية مثل: الهمزية الأولى، الثانية ... إلخ - هى من وضع المحقق.

الهمزية الأولى

(عِدَّتُها ٢٣ ـ الكامل الثانى)

هذه القصيدة الافتتاحية مناجاة للبقاع المقدسة، واستعادة للذكريات الهنيئة التى عاشها الشاعر فى ظل الحرم الشريف، وفى جوار النبى الكريم ﷺ، وذلك قبل الهجمة الشرسة على العالم الإسلامى من قِبَل المغول والتتر، وإن كان لا يشير صراحة إلى هذه الأخطار التى تهددت العالم الإسلامى.

وتتناول القصيدة الأولى العناصر الآتية:

- افتتاحية دعائية بأن يسقط المطر علىٰ هذه البقاع الطاهرة.
- عود إلى الذكريات القديمة فى مراتع الصبا.
- ثناء على ساكنى الأرض المقدسة.
- شوق إلىٰ الحرم الشريف.
- مديح للنبى الكريم ﷺ وسرد لبعض أسمائه المشرفة.

قال يمدح رسول الله ﷺ :

١ - سَقَتِ العِهَادُ بِسَاحَةِ البَطْحَاءِ ... أَكْنَافَ ذَاكَ المَعْهَدِ المُتَنَائِى

٢ - فَكَسَتْهُ مِنْ حُلَلِ الرَّبِيعِ مُلاءَةً ... لِعَبِيرِهَا أَرَجٌ عَلَىٰ الأَرْجَاءِ

٣ - فَهُنَاكَ لِى عَهْدٌ قَدِيمٌ عَزَّ أَنْ ... يُفْدَىٰ وَلا أَرْضَىٰ لَهُ بِفِدَاءِ

٤ - قَضَّيْتُ فِيهِ مَعَ الأَحِبَّةِ عِيشَةً ... بِعِرَاصِ تِلْكَ الحَضْرَةِ الفَيْحَاءِ

٥ - أَيَّامَ أُصْبِحُ لا أَخَافُ مُؤَنِّبًا ... وَأَبِيتُ فِى أَمْنٍ مِنَ الرُّقَبَاءِ

٦ - مَعَ فِتْيَةٍ مِثْلِ النُّجُومِ أَعِزَّةٍ ... غُرَرِ القَبَائِلِ خُلَّصِ الأَحْيَاءِ

٧ - هَجَرُوا الوِسَادَ وَوَاصَلُوا طُولَ السُّرَىٰ ... فِى البِيدِ أَنْضَاءً عَلَىٰ الأَنْضَاءِ

٨ - لَمْ يَثْنِهِمْ عَنْ عَزْمِهِمْ رُخَصُ المُنَىٰ ... كَلاًّ وَلا مَالُوا إِلَىٰ الأَهْوَاءِ

٩ - مِنْ كُلِّ مِقْدَامٍ إِذَا خَاضَ الوَغَىٰ ... جَلَّتْ يَدَاهُ عَجَاجَةَ الهَيْجَاءِ

١٠ - تَلْقَاهُ يَوْمَ الحَرْبِ لَيْثَ عَرِيكَةٍ ... وَتَرَاهُ يَوْمَ السِّلْمِ بَدْرَ سَمَاءِ

١١ - كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَىٰ حِمًى مِنْ دُونِهِ ... شِقُّ النُّفُوسِ وَشُقَّةُ البَيْدَاءِ

١٢ - يَفْنَىٰ الزَّمَانُ وَلَيْسَ يُؤْذَنُ نَحْوَهُ ... شَوْقِى وَإِنْ طَالَ المَدَىٰ بِفَنَاءِ ١/١

١٣ - وَكَذَاكَ أَشْجَانِى وَطُولُ صَبَابَتِى ... بِقِبَابِ سَلْعٍ فَهْىَ عَيْنُ دَوَائِى

١٤ - فَبِذَلِكَ الحَرَمِ الشَّرِيفِ المُرْتَضَىٰ ... آنَسْتُ رُشْدِى وَاقْتَبَسْتُ ضِيَائِى

١٥ - حَرَمٌ تَفَرَّدَ بِالعُلا وَتَبَوَّأَتْ ... غُرَرُ المَكَارِمِ مِنْهُ خَيْرَ فِنَاءِ

---

(١) العهاد : أوائل الأمطار، وهى أحسن ما تكون الأمطار؛ لقلة الغبار فى الآفاق . البطحاء : بطن الوادى، وهو علم على بطحاء مكة المشرفة. الأكناف: النواحى، جمع كَنَف. المعهد : المكان الذى تعهده لأنك تحبه وتهواه.

(٢) الأرج : الريح الطيبة.

(٤) العَرَصات: جمع عَرْصة، وهى كل موضع واسع لا بناء فيه .الفيحاء: الواسعة.

(٧) البيد : الصحارى المقفرة التى لا شىء فيها؛ سميت بذلك لأنها تبيد من يحلها، جمع بيداء. أنضاء: جمع نِضْو، وهو الذى أصابه الإعياء والهزال الشديد لطول السفر وشدة العناء. الأولى وصف للفتية، والأخرى وصف للدواب التى تحملهم.

(٩) مقدام: شجاع. الوغى: الحرب. جلّت: كشفت. العجاجة : الغبار الثائر. الهيجاء: الحرب.

(١٠) الليث : الأسد. العريكة: الطبيعة، والمراد بقوله «ليث عريكة»: فارس شجاع قوى النفس.

(١١) شق النفوس: التعب والعناء، كأنها «شُقَّت» إلى شِقين (أى نصفين) لشدة ما أصابها. شُقَّة البيداء:طول السفر وعناؤه.

١٦ - جَمَعَ الجَلالةَ والمَهابَةَ والسَّنا ... والحِلْمَ والتَّقْوَىٰ وكُلَّ سَناءِ

١٧ - بالفاتحِ الخَيْرِ الأَمينِ الخَاتَمِ الرُّ ... سُلِ المُؤَيَّدِ صَفْوَةِ النُّبَآءِ

١٨ - والشَّاهدِ المُتَوكِّلِ الضَّحَّاكِ والْـ ... ـهَادِي المُبَشِّرِ أَنْجَحِ الشُّفَعاءِ

١٩ - والحَاشِرِ القَتَّالِ والماحِي الذي ... بالنُّورِ جَلَّىٰ ظُلْمَةَ الغَمَّاءِ

٢٠ - والعاقِبِ القُثَمِ المُقَفَّى الرَّحْمَةِ الْـ ... ـمُهْداةِ للدَّانِي وذُخْرِ النَّائِي

٢١ - والطَّاهرِ المُخْتارِ والدَّاعي إلىٰ ... شَرْعِ الهُدَىٰ والسُّنَّةِ البَيْضاءِ

---

(١٦) السنا: الضوء. السناء: المجد والشرف.

(١٧) النبآء: جمع نبيء بالهمز . وكلمة (نبى) إما أن تكون مشتقة من النبوة والنباوة وهى ارتفاع الأرض، لارتفاع قدره على سائر الخلق. وإما أن تكون مشتقة من النبأ؛ لأنه ينبئ عن الله عز وجل. وجمع (نبى) بغير همز: أنبياء، وجمع (نبيء) بالهمز: نبآء. والصفات المذكورة فى هذا البيت والأبيات التالية ألقاب للنبى ﷺ، فهو: الفاتح الخير، أى الذى فُتح به باب الخير، وهو الأمين، وهو خاتم الرسل، وهو المؤيَّد من الله عز وجل، وهو صفوة الأنبياء: المختار من بينهم، المفضل على سائرهم.

(١٨) الضَّحَّاك: تكرر فى كثيرٍ من الأحاديث والآثار وصف النبى ﷺ بحب الدعابة والمزاح الرقيق، وكثرة التبسم، وكثيرا ما تكرر على لسان رواة الأحاديث أنه ﷺ «ضحك حتى بدت نواجذه» وهى الأسنان التى تبدو عند الضحك.

[انظر: النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير ٥ / ٢٠].

(١٩) الحاشر والماحى: ذكرت هذه الأسماء فى قول النبى ﷺ: «إن لى أسماءً: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحى: الذى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر: الذى يُحْشَر الناس على قدمى، وأنا العاقب: الذى ليس بعده نبى» [البخارى ٤ / ٢٢٥].

وأما القَتَّال، فقد أكثر شاعرنا من وصف النبى ﷺ بهذه الصفة؛ وذلك لأنه ﷺ كان مقاتلاً شجاعًا، فكان يتقدم الصفوف غير هياب، قال على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - وهو الفارس المغوار: «كنَّا إذا احمرَّ البأسُ ولقِىَ القومُ القومَ اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون منَّا أحد أدنى من القوم منه» [مسند أحمد، حديث رقم ١٣٤٦].

كما جاء فى الحديث أنه ﷺ «نبى الملحمة» أى القتال [شرح شمائل الترمذى ٣٨٧].

(٢٠) القثم: القوى البنيان، الجموع للخير، قال ﷺ: «أتانى ملك فقال: أنت قُثَمُ، وخَلْقُكَ قَيِّمٌ» [الحديث وشرحه فى: النهاية لابن الأثير ٤ / ١٦].

المقفى: المتبع لآثار وهدى الأنبياء - صلوات الله وسلامه عليهم - وقد وردت هذه الصفة فى قوله ﷺ: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا نبى الرحمة ونبى التوبة وأنا المقفَّى، وأنا الحاشر، ونبى الملاحم» [شرح الشمائل الترمذية، ص٣٨٧].

الدانى: القريب. النائى: البعيد.

٢٢ - وكـذاكَ أَسْـأَلُهُ لِـمَنْ أَحْـبَـبْـتُـهُ وأَحَـبَّنِـي والأَهْـلِ والأَبْـنَـاءِ

٢٣ - لا زَالَ نُورُكَ صَـاعِـداً مُـتَـرادِفًـا مُـتَـوَاصِـلاً مُـتَكَفِّـلاً بِنَمَـاءِ

*****

الهمزية الثانية

(عدتها ٨١ - الخفيف الأول)

فى هذه القصيدة يعارض شاعرنا معلقة الحارث بن حلزة التى مطلعها:

آذَنَتْنا بِبَـيْنِهـا أسـمـاءُ رُبَّ ثاوٍ يُـمَلُّ مِنْهُ الثَّـواءُ

فالقصيدتان من الخفيف الأول، وكلتاهما همزية، كما تضمنت مقدمة همزية الصرصرى ألفاظًا من قاموس معلقة الحارث.

غير أن التشابه يقف عند هذا الحد؛ فإن همزية الصرصرى فى مديح النبى الكريم ﷺ، وما تضمنته من غزل هو غزل رمزى - إن صح التعبير - فى «ربة الخدر» أى الكعبة المشرفة، ويدعوها فى مطلع القصيدة: لمياء، واللمياء فى اللغة تعنى: السمراء؛ لأن ستور الكعبة سمراء، وكثيراً ما يخاطبها الشاعر باسم «سمراء الستور» كما فى البيت الثامن من هذه القصيدة.

تبدأ القصيدة بمقدمة غزلية يتشوق فيها إلى الكعبة المشرفة، ثم ينتقل إلى ما حجبه عن زيارتها إلاَّ فى الأحلام! ذلك لأن التتر أحاطوا ببغداد فلم يتيسر لأهلها الحج.

ثم ينتقل إلى ممدوحه الذى لا يخيب فيه الرجاء: النبى ﷺ، وكأنه يستصرخه أن ينظر بعين العطف إلى الأمة المحاصرة بالأعداء وألوان البلاء، وهو الشجاع الباسل المؤيد بالملائكة والريح، والبواسل من المهاجرين والأنصار، وغيرهم من جنود الله. ثم يسرد بعض صفات النبى ﷺ ومعجزاته، وينهى القصيدة بمناجاته ﷺ والاستغاثة به لإنقاذ الشاعر والأمة فى الدنيا والآخرة.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - وَاصَلَتْنَا بِطَيْفِهَا لَمْيَاءُ ... حِينَ أَرْخَتْ سُتُورَهَا الظَّلْمَاءُ

٢ - قُلْتُ: أَنَّىٰ - وَلَاتَ حِينَ مَزَارٍ - ... زُرْتِنَا فِى الدُّجَىٰ وأنتِ ذُكَاءُ؟!

٣ - بَيْنَنَا فِى السُّرَىٰ وَبَيْنَكِ بِيدٌ ... وَفَيَافٍ دَاوِيَّةٌ يَهْمَاءُ

٤ - أَيْنَ أَرْضُ العِرَاقِ - يا رَبَّةَ الخِدْ ... رِ - وأينَ الحِجَازُ والبَطْحَاءُ؟

٥ - أَنْتِ رَوْحٌ إِذا دَنَوْتِ لِقَلْبِى ... وَلِعَيْنَىَّ رَوْضَةٌ غَنَّاءُ

٦ - لا تَزِيدِينَ فِى المَقَامَةِ إِلاَّ ... بَهْجَةً لا يُمَلُّ مِنْكِ الثَّوَاءُ

٧ - وإِذا شَطَّتِ الدِّيارُ فَذِكْرا ... كِ لِقَلْبِى عَلَىٰ البِعَادِ غِذَاءُ

٨ - تِهْتِ يا رَبَّةَ السُّتُورِ عَلَىٰ الصَّبِّ ... دَلالاً وعَزَّ مِنْكِ اللِّقَاءُ

---

(١) لمياء : صفة للمرأة، وهى التى فى شفتيها ولثاتها سمرة، وهى صفة مستحبة. والشاعر يوهم أنه يتغزل بامرأة جميلة الشفتين، بينما هو فى الحقيقة يتغزل فى محبوبته « سمراء الستور » أى الكعبة المعظمة.

(٢) أنَّى : كيف. ولات حين مزار: لات : من المشبهات بـ (ليس) وتعمل عملها، إلا أن اسمها يحذف وجوبا، والتقدير: ليس الوقتُ وقت زيارة. ذُكاء: اسم الشمس،وهو مشتق من (ذَكَت النار) أى اشتعلت وتوقَّدت. يقول: كيف زرتنا فى هذا الوقت من الليل، وأنت الشمس، والوقت ليس وقت زيارة ؟!.

(٣) فيافٍ : صحارى واسعة مستوية لا ماء فيها ، جمع فيفاء. داويَّة: بعيدة الأطراف مستوية واسعةً، مأخوذة من الدَّوِى، لدوىِّ الصوت الذى يسمع فيها. يهماء: صحراء لا ماء فيها ولا معالم تهدى السائرين فى طرقها. يريد بهذه الصفات المترادفة وصف الطريق من العراق إلى الحجاز بالوعورة والوحشة.

(٤) ربة :صاحبة. الخدر: سترٌ يُمَدّ للفتاة فى ناحية البيت، والوصف (ربة الخدر) من أوصاف الفتيات الشريفات المحتجبات. والشاعر يوهم - هنا - مرة أخرى أنه يتغزل بامرأة، وإنما يتغزل فى الكعبة المعظمة.

(٥) الرَّوْح: الراحة، والرحمة، والسرور والفرح، والنسيم الطيب، وفى القرآن الكريم: ﴿ **فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ** ﴾ الواقعة / ٨٩ ، أى رحمة ورزق. روضةٌ غنَّاء: كثيرة الشجر، ملتفة الأغصان، مخضَّرة معشبة.

(٦) الثَّواء: طول الإقامة.

(٧) شطَّت : بَعُدت.

(٨) تهت : من التِّيه، وهو الكِبْر، وأراد به التدلُّل والتمنع، موهمًا بأنه يتغزل بامرأة. الصَّبّ: العاشق المشتاق. عزَّ: قَلَّ وصَعُب.

٩ - حَجَزتْكِ الصَّوارِمُ البِيضُ عَنَّا ... وحَمَتْ رَبْعَكِ الرِّماحُ الظِّماءُ ١/ب

١٠ - ما لأجْسادِنا إلَيْكِ سَبيلٌ ... لا ولا لِلْقُلوبِ عَنْكِ عَزاءُ

١١ - لَوْ تَعَطَّفْتِ بالوِصالِ عَلَيْنا ... لَتَجَلَّتْ عنَّا بِكِ الغَمَّاءُ

١٢ - لا عَداكِ الخِصْبُ المَرِيعُ وجَادَتْ ... كلَّ عامٍ رُبوعَكِ الأنْواءُ

١٣ - فاكْتَسَىٰ جَوُّكِ الأنيقُ بَهاءً ... مِنْ رِياضٍ كأنَّهُنَّ مُلاءُ

١٤ - وتَغنَّتْ مَعَ الصَّباحِ بِوادِيـ ... ـكِ عَلَىٰ كُلِّ بانَةٍ وَرْقاءُ

١٥ - آهِ لَوْ بَلَّغَتْ إلَيْكِ عَلَىٰ بُعْـ ... ـدِ مَغانيكِ جَسْرةٌ وَجْناءُ !

١٦ - إنْ تَمادَتْ بِها المَسافةُ أبْدَتْ ... أرَبًا فَهْيَ فى السُّرَىٰ خَرْقاءُ

١٧ - وتَراها كأنَّها - حِينَ تَهْوِى ... فى الفَيافِى - نَعامةٌ رَبْداءُ

---

(٩) الصوارم البيض: السيوف القاطعة اللامعة. الربع: المنزل والوطن. ووصف الرماح بالظِّماء، لبيان شدتها وقوة بأسها فكأنها ظامئة إلى الدماء. يريد أن من يتغزل بها فإنها محميَّةٌ بالسيوف القواطع والرماح الظامئة، فلا سبيل للوصول إليها.

(١١) تجلَّت: انكشفت. الغَمَّاء: الغَمّ والكرب.

(١٢) لا عداك: لا جاوزَك، وهى صيغة دعاء. المريع: المتكرر الذى فيه زيادة ونماء. جادت ربوعك الأنواء: أمطرت بغزارة، والأنواء: مطالع النجوم، وهى - عند العرب - ثمانية وعشرون نجمًا إذا طلع منها نجم غاب آخر، ولا بد أن يكون عند ذلك مطر ورياح. يقولون: مطرنا بنوء الثريا، وبنوء السِّماك والجوزاء...إلخ. يدعو لهذه المواطن الشريفة بالخصب الدائم المتجدد، بأن تسقيها أنواء السماء بأمطارها الغزيرة المتكررة.

(١٣) مُلاء: جمع مُلاءة، شبه التفاف أغصان الرياض بالملاء المتصل نسيجها بعضه ببعض.

(١٤) بانة: مفرد (بان) وهو نوع من الشجر شديد الخضرة، طيب الرائحة، طويل ليِّن العود. ورقاء: حمامة.

(١٥) مغانيك: جمع مَغْنَى، وهو المنزل الذى غَنِيَ به أهله أى أقاموا به. جَسْرةٌ: عظيمة الجسد قوية ماضية، وجناء: ضخمة الوجنتين. وكلتاهما صفة لموصوف محذوف، أى: ناقة قوية ضخمة الفكين، كى تكون قادرة على إبلاغ الشاعر إلى هذه المغانى الطيبة البعيدة.

(١٦) تمادت: امتدت وطالت. أبدت: أظهرت. أَرَبًا: مهارة وحسن تبصر. خرقاء: حمقاء. يريد وصف الناقة بالمهارة والخبرة بالسير فى الصحراء مهما طالت المسافة، ووصفها بالحماقة أى أنها تندفع فى سيرها اندفاعًا شديدًا، فشدة سيرها تجعلها حمقاء، وبصرها بالصحراء ودروبها يجعلها ماهرة بصيرة.

(١٧) ربداء: رمادية اللون، شبهها بالنعامة فى سرعتها.

١٨ - تَرتَمِى فى الهَجيرِ ساعةَ تَسْعَىٰ ... نَحوَ ميزَابِها المَهَا والظِّبَاءُ

١٩ - ولَعَمْرِى لولا هَوَاكَ لَمَا طَا ... بَ لِمِثْلِى الحُزونُ والبَيْداءُ

٢٠ - يا مُناخَ الأحْبَابِ يا مَوْسِمَ الإقْـ ... ـبَالِ عَاقَتْ عَنْ قَصْدِكِ الأعْداءُ

٢١ - حَبَسَتْنا عَنْكِ الطُّغاةُ مِنَ التُّرْ ... كِ فَظَلْنَا كأنَّنا أُسَرَاءُ

٢٢ - ما لَنَا مُرْتَجًى سِوَىٰ وَعدِ مَوْلًى ... ماجِدٍ لا يَخِيبُ فيهِ الرَّجَاءُ

٢٣ - مَنْ إذا قَالَ أو تَكَفَّلَ فالصِّدْ ... قُ قَرِينٌ لِوَعْدِهِ والوَفَاءُ

٢٤ - مُصْطَفَىٰ اللهِ ذِى الجَلالِ مِنَ الخَلْـ ... ـقِ نَبِىٌّ لَهُ عَلَيْنا الوَلاءُ

٢٥ - شَهِدَتْ بالرِّسالَةِ الصُّحُفُ الأُو ... لَىٰ لَهُ والنُّعوتُ والأَسْماءُ

٢٦ - ورَأَىٰ فَضْلَهُ بَحِيرَىٰ عِيَانًا ... وبِهِ قَبْلُ بَشَّرَ الأَنْبِيَاءُ

---

(١٨) تَرتَمِى : تسرع فى سيرها . الهجير : شدة حر الظهيرة . الميزاب : مسيل الماء، فارسى معرب . يصف هذه الناقة بالقوة وشدة التحمل حتى إنها تسرع فى سيرها وقت اشتداد حر الظهيرة، حين تلوذ الظباء بمسيل الماء التماسا للبرد .

(١٩) لعمرى : قسم . الحزون : جمع حَزْن، وهى الأرض الخشنة المجدبة .

(٢٠) مُناخ : مكان إراحة الإبل . الإقبال : نقيض الإدبار، ويكثر استعماله فى الخير، يقال : أقبلت الأرض بالنبات، وأقبلت عليه الدنيا، إذا كثر خيرها .

(٢١) المراد بالترك هنا : التتر . قال ابن الأثير فى حوادث سنة ٦١٧ « فى هذه السنة ظهر التتر إلى بلاد الإسلام، وهو نوع كثير من الترك ومساكنهم جبال طمغاج من نحو الصين » [الكامل ٩ / ٣٣٠] . وذكر ابن الأثير من فظائعهم ما تقشعر له الأبدان . لذلك كان أهل الإسلام فى ذلك الزمان كأنهم أسراء، فقد تألبت عليهم أعداؤهم من التتر والفرنجة .

(٢٥) الصحف الأولى : هى الصحف التى أنزلها الله على إبراهيم وموسى عليهما السلام . والمراد بالنعوت والأسماء : أسماء النبى ﷺ التى وردت فى كتب الأنبياء السابقين، قال ابن الأثير معلقا على قوله ﷺ : « إنَّ لى أسماء : أنا محمد، . . . » : أراد أن هذه الأسماء التى عدَّها مذكورة فى كتب الله تعالى المنزلة على الأمم التى كذبت بنبوته حجة عليهم [النهاية فى غريب الحديث والأثر ١ / ٣٨٨] .

(٢٦) بحيرى : راهب كان يقيم فى صومعته معتزلاً فى ناحية بصرى من نواحى الشام، وكان ﷺ قد مرّ بهذا الراهب وكان فى صحبة عمه أبى طالب فى رحلة إلى الشام، فتوقفت القافلة قريبا من صومعة بحيرى، الذى نظر نحو الغلام فرأى فى وجهه أمارات النبوة، وعرفه بما ذكر فى التوراة والإنجيل من صفاته؛ لذلك خرج من صومعته إلى القافلة وأخذ بيد النبى ﷺ قائلا : هذا سيد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال أبو طالب : وما علمك بذلك؟ فقال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا وخرَّ ساجدا، ولا تسجد إلا لنبى، وإنى أعرفه بخاتم النبوة فى أسفل غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا نجده فى كتبنا . وأوصى أبا طالب أن يعيده إلى مكة وألا يقدم به إلى الشام خوفا عليه من اليهود [سيرة ابن هشام ١ / ١٨٠ : ١٨٣، زاد المعاد ١ / ١٧، الرحيق المختوم، ص ٥٩] .

٢٧ - خَاتَمُ الأنبياءِ فاتِحُ بابِ الـ ـرُّشْدِ والنَّاسُ ضُلَّلٌ سُفَهاءُ

٢٨ - صَدَّ كُلاًّ منهُمْ عن الخُطَّةِ المُثْـ ـلَىٰ فُؤادٌ عَنِ الصَّوابِ هَوَاءُ

٢٩ - فَأَتَاهُمْ مِنْ رَبِّهِ بِكِتَابٍ هُوَ لِلنَّاسِ رَحْمَةٌ وشِفَاءُ

٣٠ - فيهِ أَمْرٌ لَهُمْ ونَهْيٌ وأَمْثَا لٌ، ومِنْ سَالِفِ القُرَىٰ أَنْبَاءُ ٢/١

٣١ - ليسَ لِلنَّقصِ والزِّيادةِ فيهِ مَدْخَلٌ، لا تُزِيغُهُ الأَهْوَاءُ

٣٢ - حَادَ عنهُ الخُصومُ عَجْزًا إلىٰ اللَّغْـ ـوِ وحَارَتْ فى نَظْمِهِ الفُصَحَاءُ

٣٣ - فَهَداهُمْ بِهِ صِراطًا سَوِيًّا مُسْتَقِيمًا لا يَعْتَرِيهِ الْتِواءُ

٣٤ - فاسْتَقامَتْ بِهِ قلُوبُ البَرَايَا بَعْدَ زَيْغٍ والمِلَّةُ العَوْجَاءُ

٣٥ - ولَقَدْ أَحْسَنَ البَلاغَ وأَبْقَىٰ سُنَّةً لا تَشُوبُهَا الآراءُ

٣٦ - هِيَ مَحْضُ الحَقِّ المُبِينِ وما كا نَ سِواها فَبِدْعَةٌ شَنْعَاءُ

٣٧ - مَنْ حَذا حَذْوَها فَقَدْ أَمِنَ السُّو ءَ وتِلكَ المَحَجَّةُ البَيْضَاءُ

٣٨ - مُنْصِفٌ، عِنْدَهُ القَوِيُّ - إذا ما قَامَ بالحقِّ - والضَّعِيفُ سَوَاءُ

٣٩ - قَابِلٌ عُذْرَ مَنْ أَسَاءَ ولكنْ عَنْ سُقُوطِ الحُدودِ فِيهِ إِبَاءُ

٤٠ - هو بالبِشْرِ والسَّمَاحِ مَلِيءٌ ومن البُخْلِ والعُبُوسِ بَرَاءُ

٤١ - لا تَحُلُّ البَأْسَاءُ منْهُ عُرىٰ الصَّبْـ ـرِ ولا تَسْتَفِزُّهُ السَّرَّاءُ

٤٢ - وهُوَ الفَاتِكُ الشُّجَاعُ إذا ما شَبَّتِ النَّارَ لِلوغَىٰ الهَيْجَاءُ

---

(٢٨) هواء: فارغ، أى قلب فارغ لا يعى شيئًا ولا يتبصَّر.

(٣٠) سالف القرى: الأمم السابقة.

(٣٧) المحجَّة: الطريق. البيضاء: الواضحة، وصف لهدى النبى ﷺ وسنته.

(٣٩) إشارة لغضب النبى ﷺ واحمرار وجهه ورفضه لشفاعة أسامة بن زيد فى المرأة المخزومية التى سرقت، فأبى النبى ﷺ وقال: « ... لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» الحديث [البخارى: ٤/٢١٣ ، ومسلم فى الحدود ٢/٨].

(٤٠) براء: لغة فى (برىء) وقرئ بها فى القرآن الكريم، فى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ** ﴾ الزخرف / ٢٦ .

(٤٢) الفَاتِك: الجرىء الشجاع الذى يقتل خصمه مجاهرةً، يصف النبى ﷺ بالجرأة فى القتال إذا ما اشتعلت نار الحرب.

٤٣ - يا تَبَابَ العَدُوِّ إنْ رَامَ غَزْوًا ... وعَلَتْهُ السَّعْدِيَّةُ الشَّلاَّءُ

٤٤ - وعَلا الوَرْدَ أو لَحِيفًا أو السَّكْـ ... ـبَ وفى الكَفِّ صَعْدَةٌ سَمْرَاءُ

٤٥ - وعَلىٰ العَاتِقِ الرَّسُوبُ أو المِخْـ ... ـذَمُ أوْ ذُو الفَقَارِ والرَّوْحَاءُ

٤٦ - وهْوَ تحتَ اللِّواءِ ناصِرُهُ الأمْـ ... ـلاكُ والرُّعْبُ والصَّبَا الهَوْجَاءُ

٤٧ - والكِرامُ المُهاجِرونَ إليه ... وكُمَاةُ الأنصارِ والنُّقَبَاءُ

٤٨ - ومُتُونُ القِسِيِّ والضَّرْبُ بالسَّيْـ ... ـفِ كِفَاحًا والطَّعْنَةُ النَّجْلاءُ

٤٩ - فَلِمَنْ أظْهَرَ العِنادَ بَوَارٌ ... ولِمَنْ أذعَنَ الرِّضَا والحِبَاءُ

٥٠ - هاشِمِيٌّ له العَفَافُ إزارٌ ... ولَهُ الحُسْنُ والجَمَالُ رِداءُ

٥١ - يَخْجَلُ البَدْرُ لَيْلَةَ التَّمِّ إمَّا ... ضَمَّ عِطفَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ ٢/ب

---

(٤٣) التباب: الهلاك. رام: أراد وقصد. السعدية الشلاء: درع من دروع النبى ﷺ [انظر فى أسماء أسلحته وخيله وبغاله: السيرة الحلبية ٣ / ٤٦١، نهاية الأرب ١٨ / ٢٩٦].

(٤٤) كان من سنة النبى ﷺ تسمية الحيوان، وشملت هذه السنة الكريمة الجمادات أيضًا مما كان يألفه ﷺ، وهذا من كريم خصاله؛ إذ يدلنا على روح طيبة تعيش فى ألفة مع سائر مخلوقات الله عز وجل. فالورد ولحيف والسكب: أسماء خيل كانت للنبى ﷺ. ومعنى الورد: ذو اللون الوردى، واللحيف سمى بذلك لطول ذيله كأنه يلحف الأرض - أى يغطيها - به. والسَّكْب سمى بذلك تشبيهًا بسكب الماء وانصبابه، لشدة جريه. صعدة: رمح، وصفها بالسمراء لأن ذلك مما يستجاد فى صفة الرماح.

(٤٥) العاتق: ما بين الكتف والعنق. الرسوب، والمخذم، وذو الفقار: من أسماء سيوفه ﷺ، والروحاء: اسم قوس له ﷺ.

(٤٦) اللواء: العلم. الأمْلاك: أراد به الملائكة، ولم تستعمل كلمة (أملاك) جمعًا لـ (ملَك) بفتح اللام، بل جمعًا لـ (ملِك) بكسر اللام. الصبا الهوجاء: رياح شديدة، يشير إلى قوله ﷺ: « نُصرتُ بالرُّعْب مسيرة شهر » [مسند أحمد ٢ / ٢٦٨، ٣٩٦، ٥ / ١٦٢، ٢٤٨، فتح البارى ١ / ٤٣٦]، وقوله ﷺ: « نصرت بالصَّبا » [البخارى ٢ / ٤١، ٤ / ١٣٢، مسلم ٦١٧].

(٤٧) الكماة: جمع كَمِيٍّ، وهو الشجاع المتكمِّى (أى المغطَّى) بالسلاح. النقباء: الأشراف المقدَّمون.

(٤٨) متون القسىِّ: أوتارها. كفاحًا: وجهًا لوجه. الطعنة النجلاء: الواسعة.

(٤٩) بوار: هلاك. أذعن: خضع. الحباء: العطاء.

(٥١) ليلة التَّمِّ: ليلة التمام. حلة حمراء: جاء فى سنن البيهقى وغيره أنه ﷺ « كان يلبس برده الأحمر فى العيدين » [سنن البيهقى ٣ / ٢٤٧، ٢٨٠]، وفى مصنف ابن شيبة: « كان يلبس برده الأحمر يوم الجمعة » [المصنف ٢ / ١٥٦].

٥٢ - ثُمَّ يَزْدَادُ نُورُهُ إِنْ تَبَدَّىٰ ... وعَلَيهِ العِمَامَةُ السَّوْدَاءُ

٥٣ - إِنْ بَدَا صَامِتًا عَلَاهُ وقَارٌ ... أَوْ سَمَا نَاطِقًا عَلَاهُ البَهَاءُ

٥٤ - قَدُّهُ مَا لَهُ عَلَىٰ الأَرضِ ظِلٌّ ... حِينَ تَبْدُو الظِّلَالُ والأَفْيَاءُ

٥٥ - مَا لِشَمْسِ الضُّحَىٰ عَلَيهِ ظُهُورٌ ... هُوَ باللَّيْلِ والنَّهَارِ ضِيَاءُ

٥٦ - وَيَرَىٰ مِنْ وَرَائِهِ كَأَمَامٍ ... وسَوَاءٌ دَيْجُورُهُ والضُّحَاءُ

٥٧ - وتَنَامُ العَيْنُ الشَّرِيفَةُ والقَلْـ ... ـبُ عَلَىٰ يَقْظَةٍ بِهِ يُسْتَضَاءُ

٥٨ - فَإِذَا الوَحْيُ جَاءَ واليَوْمُ شَاتٍ ... ظَلَّ يَكْسُو جَبِينَهُ الرُّحَضَاءُ

٥٩ - عَرَقًا كَالجُمَانِ والمِسْكِ طِيبًا ... عَبَقَتْ مِنْ أَرِيجِهِ الأَرْجَاءُ

٦٠ - وإِذَا كَانَ رَاكِبًا وأَتَاهُ الْـ ... ـوَحْيُ كَادَتْ تَفَسَّخُ القَصْوَاءُ

---

(٥٢) عن جعفر بن عمرو بن حريث عن أبيه قال: «رأيت على رأس رسول الله ﷺ عمامة سوداء» [الشمائل الترمذية، ص ١٥٩]، ويزداد نوره ﷺ إن تبدى وعليه العمامة السوداء؛ لأنه ﷺ كان أبيض الوجه، والبياض يزداد إشراقا إذا قارنه سواد.

(٥٤)،(٥٥)،(٥٦) قال تعالى: ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ المائدة / ١٥ ، المراد بالنور: النبى ﷺ [انظر: تفسير الجلالين ، ص ١٤٤] فكان إذا مشى ﷺ فى الشمس أو القمر لا يظهر له ظل كما كان ﷺ يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء [انظر: اللفظ المكرم بخصائص النبى ﷺ، للخيضرى ٢ / ٥٦٥] . وكان ﷺ يرى من ورائه كما يرى من أمامه، روى الشيخان فى صحيحيهما عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «هل ترون قبلتى ها هنا ؟ فوالله ما يخفى علىَّ خشوعكم ولا ركوعكم، إنى لأراكم من وراء ظهرى» [البخارى، كتاب الصلاة ١ / ١١٤، ومسلم ١ / ٣١٩].يقول: إن النبى ﷺ كان لا يظهر له ظل على الأرض كما يرى لغيره؛ وذلك أن نوره قد فاق نور الشمس، فهو نور بالليل ونور بالنهار، وهو يرى من أمامه كما يرى من وراء ظهره فتساوى عنده النور والظلمة.

(٥٧) قال ﷺ : «إن عينىَّ تنامان ولا ينام قلبى» [مسلم ١ / ٥٠٩، والبخارى ٤ / ٢٣١ بلفظ مقارب]؛ لذا كانت رؤياه ﷺ وحيا من الله.

(٥٨) شات: من الشتاء. الرحضاء: العرق الشديد، وفى الحديث الشريف عن عائشة رضى الله عنها قالت: «ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصَّد عرقًا» [فتح البارى، كتاب بدء الوحى ١ / ٢٦].

(٥٩) فى صفته ﷺ : «يتحدر منه العرق مثل الجمان» ، الجمان: حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ [الحديث وشرحه فى: النهاية لابن الأثير، ١ / ٣٠١]. عبقت: انتشرت فيها الرائحة الطيبة ودامت كأنها قد لصقت بها.

(٦٠) تفسخ: تتفسخ، حذف إحدى التاءين تخفيفًا، أى: تتمزق. والقصواء: اسم ناقة للنبى ﷺ، وهى التى هاجر عليها، وكان لا يحمله إذا نزل عليه الوحىُ غيرها [نهاية الأرب ١٨ / ٣٠١].

٦١ - ولَهُ بالأباطحِ القَمَرُ انْشَقَّ ... بِنِصْفَيْنِ لَيْسَ فيهُ خَفَاءُ

٦٢ - ومَعَ البَعْثِ سَلَّمَ الحَجَرُ الصَّلْـ ... ـدُ عليهِ والدَّوْحَةُ القَنْواءُ

٦٣ - وبِيُمْنَاهُ سَبَّحَ الحَصَيَاتُ السَّـ ... ـبْعُ حَقًّا وسَحَّ منها المَاءُ

٦٤ - وبِيُمْنَاهُ رُدَّتِ العَيْنُ بَعْدَ الْـ ... ـفَوْءِ نَقْلاً يَرْضَىٰ بِهِ العُلَمَاءُ

٦٥ - ثمَّ لَمَّا أَوْمَا بِهَا كَسَّرَ الأصْـ ... ـنَامَ لِلأَرْضِ ذَلِكَ الإِيمَاءُ

---

(٦١) من المعجزات الباهرة التي خص بها النبي محمد ﷺ انشقاق القمر له، قال تعالى: ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ القمر / ١ . كان ذلك آيةً له ﷺ، روى الشيخان في صحيحيهما « أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقَّتين، حتى رأوا حراء بينهما » [فتح الباري، ك المناقب، ب انشقاق القمر، حديث رقم ٣٨٦٨، مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر ٥ / ٦٢] الأباطح: جمع بطحاء، وهي الوديان القريبة من مكة المكرمة.

(٦٢) الصلد: شديد الصلابة. الدوحة: الشجرة الكبيرة. القنواء: الطويلة. من معجزاته ﷺ تسليم الحجارة والأشجار والجبال عليه، روى الترمذي عن عليٍّ - كرم الله وجهه - قال: « كنت مع النبي ﷺ بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبلٌ ولا شجرٌ إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله » [سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب إثبات النبوة ٥ / ٥٩٣].

(٦٣) أيضًا من معجزاته ﷺ تسبيح الحصى في يده، روى البيهقي أنه ﷺ « قبض على حصيات سبعٍ - أو تسعٍ، أو قريبٍ من ذلك - فسبَّحن في يده حتى سمع لهنَّ حنينٌ »، [اللفظ المكرم ٢ / ٦٣٣]، وسحَّ منها: أي تدفق، والضمير يعود على (يمناه)، وقد صح عنه ﷺ، ففي الصحيحين عن أنس - ﷺ - قال: « رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر، فالتُمس الوَضوءُ فلم يجدوه، فأتي رسولُ الله ﷺ بوَضوء، فوضع رسولُ الله ﷺ يدَه في ذلك الإناء، فأمر الناس أن يتوضأوا منه، فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضأوا من عند آخرهم » [فتح الباري، كتاب المناقب، حديث رقم / ٣٥٧٣، مسلم، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ ١٥ / ٣٩].

(٦٤) يشير في هذا البيت إلى معجزة أخرى من معجزات النبي ﷺ، وهي رد عين قتادة بن النعمان البصري بعد أن سقطت من محجرها وسالت على خده، وفي ذلك قال ابنه:

أنا ابنُ الذي سالت على الخدِّ عينُهُ ... فرُدَّتْ بكفِّ المصطفى أحسنَ الردِّ

فعادتْ كما كانت لأوَّلِ أمرِها ... فيا حسن ما عينٍ ويا حُسْنَ ما ردَّ

[دلائل النبوة لأبي نعيم، ص ١٧٤].

(٦٥) أوما: أشار، مخفف من المهموز (أومأ)، لكي يستقيم الوزن، يذكر في هذا البيت ما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: « دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح وعلى الكعبة ثلاثمائة صنم وستون صنمًا، وقد شدَّ لهم إبليس أقدامهم بالرصاص، فجاء ومعه قوس في يده، فجعل يشير بها إلى كل صنم منها فيخرُّ لوجهه ويقول: =

٦٦ - وبريقِ النَّبيِّ أصْبَحَ ماءُ الـ ... ـبِئْرِ سَحًّا وطَاحَ عَنها الرِّشَاءُ

٦٧ - وبِهِ المِلْحُ صَارَ عَذْبًا فُراتًا ... وهْوَ لِلعَيْنِ مِنْ عَلِيٍّ جِلاءُ

٦٨ - ومِنَ المُعْجِزِ المُبِينِ حَنينُ الـ ... ـجِذْعِ لَمَّا عَداهُ مِنْهُ الثَّناءُ

٦٩ - وسُجودُ البَعِيرِ يَشْكو إِلَيْهِ ... ورُكُوبُ البُرَاقِ والإِسْراءُ

٧٠ - ودُرُورِ الشَّاةِ التي لم يُصِبْها الـ ... ـفَحْلُ حَتَّىٰ اسْتَجَاشَ ذَاكَ الإِناءُ

= ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ الإسراء / ٨١ .حتى مر عليها كلها [المعجم الكبير للطبرانى ١٠ / ٣٣٩، دلائل النبوة للبيهقى ٥ / ٧١].

(٦٦) سَحًّا: جاريا على وجه الأرض غزيرا . طاح: ارتمى بعيدا. الرشاء: حبل الدلو. يقول إن ماء البئر تدفق غزيرا وجرى على الأرض بقوة، حتى جرف حبال الدلاء من غزارته وقوته، بفعل ريق النبى ﷺ، روى البخارى عن البراء ﷺ قال: « كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس النبى ﷺ على شفير البئر، فدعا بماء فمضمض ومجَّ فى البئر، فمكثنا غير بعيد، ثم استقينا حتى رَوِينا ورَوَت ركائبنا » [فتح البارى، ك المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام، الحديث رقم ٣٥٧٧].

(٦٧) فراتا: عذبا، تأكيد لما قبله . وفى عجز البيت إشارة إلى معجزة أخرى للنبى ﷺ وهى : أن عليًّا - كرم الله وجهه - أصابه الرمد، فبصق النبى ﷺ فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع [مسلم بشرح النووى، كتاب الفضائل، باب فضائل علىّ بن أبى طالب ﷺ ، ١٥ / ١٧٨].

(٦٨) ومن المعجزات المبينة للنبى ﷺ حنين الجذع (ساق نخلة جافة) الذى كان يخطب مستندا إليه، فلما اتخذ المنبر حنَّ جذع النخلة وصاح صياح الصبى، ثم نزل النبى ﷺ فضمَّه إليه يئنُّ أنين الصبىِّ الذى يُسكَّن فقال النبى ﷺ : « كانت تبكى على ما كانت تسمع من الذكر عندها » [فتح البارى، ك المناقب، الأحاديث رقم ٣٥٨٣ : ٣٥٨٥].

(٦٩) ذكرت قصة سجود الجمل للنبى ﷺ فى كثير من كتب السنة والآثار، وملخصها أن بعض الناس شكوا إلى رسول الله ﷺ جملا استصعب عليهم فلم يستطع أحد أن يقترب منه، فمشى النبى ﷺ نحوه، فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خرَّ ساجدا بين يديه، فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذلَّ ما كانت قط حتى أدخله فى العمل [مسند أحمد ٣ / ١٥٨ ، دلائل النبوة لأبى نعيم ٢ / ٤٩١]. وأما ركوب البراق والإسراء فأمرهما مشهور.

(٧٠) درور الشاة: تدفق ضرعها باللبن. لم يصبها الفحل: أى أنها صغيرة لم تبلغ بعد سنَّ إدرار اللبن ، استجاش الإناء: فاض باللبن. يذكر هنا ما رواه أحمد وغيره عن ابن مسعود قال: « كنت غلاما يافعا أرعى غنما لعقبة بن أبى معيط، فجاء النبى ﷺ وأبو بكر ﷺ وقد فرَّا من المشركين، فقال: « يا غلام، هل عندك من لبن فتسقينا؟ قلت: إنى مؤتمن، ولست ساقيكما . فقال النبى ﷺ : « هل عندك جذعة لم يَنْزُ عليها الفحل؟ » قلت: نعم . فأتيتهما بها، فاعتقلها النبى ﷺ ومسح الضرع ودعا، فحفل الضرع (أى امتلأ باللبن) فاحتلب، فشرب وشرب أبو بكر ثم شربت، ثم قال للضرع: « اقلص » (أى عد كما كنت) فقلص . [مسند أحمد ١ / ٣٧٩ ، الطبقات الكبرى ١ / ١٨٤].

٧١ - وكَـــــلامُ الـذِّراعِ والـضَّبِّ والـذِّئْـ ... ـبِ جِـهَـارًا والظَّبْـيَـةُ الأَدْمـاءُ

٧٢ - ولَهُ فى الـمَـعَـادِ فى الظَّمَـأِ الأكْـ ... ـبَـرِ حَـوْضٌ يَرْوِى الأَنَامَ رَوَاءُ ٣/أ

٧٣ - وهُوَ الشـافِعُ الـمُـشَـفَّعُ فى الحَـشْـ ... ـرِ وفى كَـــفِّـــهِ يَكونُ اللِّواءُ

---

(٧١) الذراع: هى الذراع المسمومة التى أهدتها يهودية إلى النبى ﷺ فلما جلس وحوله الصحابة لتناولها قال لهم رسول الله ﷺ: «ارفعوا أيديكم» وأرسل إلى اليهودية فدعاها فقال لها: «أسممت هذه الشاة؟» قالت اليهودية: من أخبرك؟ قال ﷺ: «أخبرتنى هذه فى يدى» يعنى الذراع [سنن أبى داود، ك الديات، حديث رقم ٤٥١٢].

أما حديث الضب فقال عنه الخيضرى: هو حديث مشهور على الألسنة، لكنه حديث غريب ضعيف، روى البيهقى عن ابن عمر رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان فى محفل من أصحابه إذ جاءه أعرابى قد صاد ضبًا جعله فى كمه... ، ثم ساق الحديث وفيه أن الأعرابى أغلظ القول للنبى ﷺ ثم قال: واللات والعزى لا أومن بك أو يؤمن بك هذا الضب! وأخرج الضب من كمه فقال رسول الله ﷺ: «يا ضب». فأجابه بلسان عربى يسمعه القوم جميعا: لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة...، ثم دار حوار طويل بين النبى ﷺ والضب، انتهى بإيمان الأعرابى [اللفظ المكرم ٢ / ٦٥٥ : ٦٥٦].

وأما حديث الذئب فقد رواه الإمام أحمد بإسناد جيد على شرط الصحيح: عن أبى سعيد الخدرى قال: « عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبها الراعى فانتزعها منه ... فقال الذئب للراعى: ألا تتقى الله، تنزع منى رزقًا ساقه الله عز وجل إلىّ؟! فقال الراعى: يا عجبا، ذئب يكلمنى بكلام الإنس!! فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟! محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق. فأقبل الراعى إلى المدينة فأتى رسول الله ﷺ فأخبره، ثم نادى منادى رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة، وقال للأعرابى: أخبرهم. فأخبرهم بما كان من أمر الذئب، فقال ﷺ: «صدق، والذى نفس محمد بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباعُ الإنسَ...» [اللفظ المكرم ٢ / ٦٥٣].

وأما حديث الظبية الأدماء (الغزال السمراء) فذكره البيهقى فى دلائل النبوة، وملخصه أن رسول الله ﷺ رأى ظبية مقيدة فى الصحراء بجانب أعرابى نائم، فقالت الظبية: يا رسول الله، أطلقنى كى أطعم أطفالى ثم أعود إلى قيدى ، فأطلقها فمضت ثم عادت ، فبينما النبى ﷺ يوثقها انتبه الأعرابى، فقال: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، ألك فيها من حاجة؟ قال: نعم. قال الأعرابى: هى لك. فأطلقها رسول الله ﷺ فراحت تعدو فى الصحراء فرحًا وهى تضرب برجليها الأرض وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله [اللفظ المكرم ٢ / ٦٥٥].

(٧٢) المعاد: القيامة. حوض رَوَاء: ممتلئٌ بالماء. وهو حوضه الذى وصفه ﷺ بقوله: « حوضى مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدًا » [صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الفضائل، باب حوض نبينا ﷺ وصفاته، ١٥ / ٥٥].

(٧٣) الشافع: طالب الشفاعة، المشفَّع: المقبول شفاعته عند الله. والنبى ﷺ لا يشفع فى أحد يوم القيامة إلا شُفِّع فيه، وقد اختصه الله - سبحانه وتعالى - بأنواع من الشفاعة =

٧٤ - ولَهُ المَقْعَدُ المُقَرَّبُ أسْنَىٰ ... شَرَفًا والوَسيلةُ العَلْياءُ

٧٥ - ثم لا تَهتدى العُقولُ إلىٰ ما ... بَعْدَ هٰذا ، ما لِلْمَزيد انتهاءُ

٧٦ - يا حَبيبَ الرَّحْمَنِ فى الخَلْقِ يا مَنْ ... تَعْرِفُ الأرضُ فَضْلَهُ والسَّماءُ

٧٧ - يا كريمَ الأنساب يا مَنْ أنافَتْ ... بِعُلاهُ الآباءُ والأبناءُ

٧٨ - أنتَ ذُخْرٌ لَنا وغَوْثٌ عَلىٰ خَطْـ ... ـبِ زَمانٍ به اللَّبيبُ يُساءُ

٧٩ - فأغثْني وكُنْ لِضَعْفى مُجيرًا ... فى مَقامٍ تَخافُهُ الأتْقياءُ

٨٠ - واصِلَ اللهُ بالمَواهبِ مَغْنَا ... كَ وَدامَتْ بِرَبْعِكَ النَّعْماءُ

٨١ - وأحاطَتْ بِكَ اللَّطائفُ والأنْـ ... ـسُ ورَوْحُ المَزيدِ والَّلألاءُ

*****

= ليست لغيره ﷺ . وقد أجمع أهل العلم على أن المقام المحمود الذى جاء فى قول الله تعالى: ﴿ **عسىٰ أن يبعثك ربك مقاما محمودا** ﴾ الإسراء / ٧٩ ، هو شفاعته ﷺ لأمته.
[انظر : نهاية السول فى خصائص الرسول ﷺ ٢١٨].

(٧٤) أسنى : أعلى وأرفع. الوسيلة : مقام النبى ﷺ ومنزلته فى الجنة.

(٧٥) يقول : ثم لا أحد يدرك مقدار شرف النبى ﷺ وعلو منزلته عند الله عز وجلَّ.

(٧٧) أنافت : ارتفعت وازدادت شرفا.

(٧٨) غوث : نجدة. خطب : مصيبة. اللبيب : العاقل.

(٨٠) النعماء : النعمة.

(٨١) روح المزيد : خيره وطيبه. والمزيد هنا إشارة إلى قوله عز وجل: ﴿ **لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيد** ﴾ ق / ٣٥ . وهو المزيد الذى لا انتهاء له من إكرام الله لعباده فى الجنة ومننه التى لا تنقطع أبدا.

قافية البـاء

البائية الأولى

(عدتها ٩٥ ـ الطويل الأول)

كرس الشاعر القصيدة الأولى من قافية الباء لسرد جزء من السيرة العطرة للنبى ﷺ، وبخاصة مآثره وخصائصه ومعجزاته الحسّية والمعنوية التى تفرَّد بها فى الدنيا والآخرة، كتعظيم الله – عزَّ وجلَّ – له، وذكره فى الكتب السماوية، وإيمان الذين لم يدركوه بنبوته، وولادته ﷺ مختونًا، وتصدع إيوان كسرى وانطفاء نار المجوس، وشرح صدره ﷺ ... إلى آخر ما ساق الشاعر من خصائصه ومعجزاته ﷺ، وكلها منقولة بأسانيد صحيحة، وبعضها وقائع ثابتة رواها العدول من الصحابة الكرام، ونقلها عنهم الفضلاء من التابعين رضوان الله عليهم أجمعين.

وتنتهى القصيدة بالإقرار بالعجز عن حصر صفاته ﷺ، والاستغاثة به فى موقف يماثل ما نحن فيه من عجز وخوف وبلاء، فما أحرى أن نرفع أصواتنا مع الشاعر مبتهلين:

ألاَ يا رسولَ اللهِ، نحنُ عَلىٰ شَفًا ... من الخَوْفِ والتهديدِ والكَرْبِ والنَّقَبْ

وليسَ لَنَا إلاَّ عَلىٰ حُسْنِ وَعدِكَ الْـ ... ـكَريمِ اعْتِمادٌ فهْوَ أصْدَقُ مُرْتَقَبْ

أَغِثْنا، أغثنا ! مَسَّنا الضُّرُّ مَسَّنا! ... فأنْتَ لنا عونٌ عَلىٰ نازِلِ النُّوَبْ

لَقَدْ كَدَّرَ الخَوْفُ المُلازِمُ عَيْشَنا ... وما حَسَنٌ مِمَّنْ يلوذُ بِكَ الهَرَبْ!

وقال يمدحه ﷺ :

١ - قَليلٌ لِمَدْحِ المصْطَفَىٰ الخَطُّ بالذَّهَبْ ... علىٰ فِضَّةٍ منْ كَفٍّ أحسَنِ مَنْ كَتَبْ

٢ - وأَنْ تنْهَضَ الأشْرافُ عِنْدَ سَمَاعِهِ ... قِيامًا صفوفًا أو جِثِيًّا عَلَىٰ الرُّكَبْ

٣ - أَمَا اللهُ تعظيمًا لهُ كَتَبَ اسْمَهُ ... عَلَىٰ عَرْشِهِ؟ يا رُتْبَةً سَمَتِ الرُّتَبْ !

٤ - أَمَا أُخِذَ المِيثاقُ قَبْلُ لِنَصْرِهِ ... عَلَىٰ الأنبياءِ المرسَلِينَ أُولِي القُرَبْ

٥ - أَمَا خُطَّ فِي التَّوْراةِ وَصْفُ مُحَمَّدٍ ... فَهَاجَ لِمُوسَىٰ وَصْفُ أُمَّتِهِ الرَّغَبْ ؟

٦ - أَمَا أُودِعَ الإنجيلُ غُرَّ صِفَاتِهِ ... فأَبْدَتْ لنَا الرُّهْبانُ تَعْظِيمًا الرَّهَبْ ؟

٧ - أَمَا قَامَ أَرْمِيَّا وشَعْيَا بوَصْفِهِ ... وحِزْقِيلُ والأَحْبَارُ فِي سالِفِ الحِقَبْ ؟

---

(٢) جثيًّا: جمع جاث، وهو الجالس على ركبتيه.

(٣) جاء في الحديث الشريف: «مكتوبٌ على العرش: لا إله إلا الله، محمد رسول الله» [الإتحافات السنية، ٢٧٤].

(٤) قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ آل عمران / ٨١ .

(٥) يقول: أليس الله - عز وجل - قد أنزل في التوراة وصف محمد ﷺ .ووصف أمته، فكان هذا دافعا لموسى عليه السلام أنْ تمنى أن يكون من هذه الأمة. قال الله عز وجل: ﴿ **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ** ﴾ الأعراف / ١٥٧ .

(٦) يقول: إن الرهبان يعظّمون أهل الإسلام؛ لأنهم يعرفون أن رسالة نبينا ﷺ حقٌ لا شك فيه، يشير إلى قوله تعالى: ﴿ **وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ المائدة / ٨٢،٨٣ .

(٧) أرميّا وشعيا وحزقيل: من أنبياء بني إسرائيل، وقد نقل النويري نصوصًا من كتابي شعيا وحزقيل فيها بشارات برسالة النبي محمد ﷺ ومن ذلك في كتاب شعيا عليه السلام: «أرى راكبين مقبلين: أحدهما على حمار، والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه: سقطت بابل وأصنامها». قال النويري: فهذه بشارة صريحة بمحمد ﷺ؛ لأنه راكب الجمل لا محالة، ولأن مُلْكَ بابل إنما ذهب بنبوته ﷺ وعلى يد أصحابه. ومن كتاب حزقيل عليه السلام: « لم تلبث تلك الكرمة أن قلعت بالسخطة ورُمِيَ بها على الأرض، فأحرقت السمائمُ أثرها، فعند ذلك غُرِسَ غَرْسٌ في البدو وفي الأرض المهملة العطشى، فخرجت من أغصانه الفاضلة نارٌ فأكلت تلك الكرمة حتى لم يوجد فيها قضيب». فالكرمة إشارة إلى ظهور اليهود وازدهار اليهودية، والغرس الذي غرس في أرض البدو المهملة العطشى هو سيدنا محمد ﷺ وقد أخزى الله به اليهود [نهاية الأرب في فنون الأدب ١٦/ ١١٢ : ١١٥].

٨ - أَمَا بَثَّ كَعْبٌ وَصْفَهُ قبلَ بعْثِهِ بِخَمْسٍ مِنَ الأحْقابِ فى قَوْمِهِ النُّجُبْ ؟

٩ - أَمَا آمَنَ القَيْلُ المُتَوَّجُ تُبَّعٌ بِمَبْعَثِهِ إيمانَ مَنْ بَرَّ واحْتَسَبْ؟

١٠ - أَمَا قَامَ قُسٌّ فى عُكاظَ مُبَشِّراً بِأحْمَدَ خيرِ الخَلْقِ فى أفْصَحِ الخُطَبْ؟

١١ - أَمَا سَرَّ سَيْفٌ شَيْبَةَ الحَمْدِ جَدَّهُ بِأنبائِهِ إذْ قالَ صِدْقًا وما كَذَبْ؟ ٣/ب

---

(٨) كعب: هو كعب بن لؤى، جد النبى ﷺ، قال السيوطى: كان بينه وبين مبعث النبى ﷺ خمسمائة وستون سنة، وقيل: خمسمائة وعشرون سنة (وقد أشار الصرصرى إلى ذلك فى قوله: بخمس من الأحقاب - أى بخمسمائة عام). وكان كعب يخطب الناس يوم عروبه (أى يوم الجمعه) ويذكر فى خطبته النبىَّ ﷺ ويبشِّر به، ومن ذلك قوله: «حَرِّمُكم زينوه وعظِّموه، فسيأتى له نبأ عظيم وسيخرج منه نبى كريم» وأنشد كعب بن لؤى فى إحدى خطبه:

على غفلةٍ يأتى النبىُّ محمدٌ فيخبر أخباراً صدوقٌ خبيرُها

[انظر: حجة الله على العالمين ص ١٤٩، السيرة الحلبية ١ / ٢٥].

(٩) القيل: لقب لكل ملك من ملوك اليمن القدماء. ذكر ابن إسحاق خبر بشارة تبع بالنبى ﷺ، وقد جاء تبعٌ إلى مكة ومعه ألف من العلماء والحكماء، فلم يظهر له أهل مكة التعظيم، فحقد عليهم ونوى أن يهدم الكعبة، فأصابه الله بداء شديد، لم يُشْفَ منه إلا بالرجوع عمَّا همَّ به من تخريب البيت المحرم، نزولاً على رأى أحد علمائه الذى أخبره بأن هذا بيت الله. ولما همَّ تُبَّعٌ بالرحيل عن مكة تخلَّف عن موكبه أربعمائة من رجاله وأرادوا البقاء بمكة وقالوا له: إن شرف ذلك البيت بشرف رجل يبعث فى آخر الزمان يقال له محمد، ووصفوه. فأمرهم تبع بأن يقيموا فى هذا المكان الظاهر رجاء أن يدركوا زمان النبى محمد ﷺ، وكتب لهم كتابا وأوصاهم أن يدفعوه إلى النبى ﷺ إن أدركوه، وكان فى الكتاب: «أما بعد، فإنِّى آمنت بك وبكتابك الذى أُنزل عليك، وأنا على دينك وسنتك، وآمنت بربك وربِّ كل شىء، وآمنت بكل ما جاء من ربك من شرائع الإيمان والإسلام، فإن أدركتك فبها ونعِمَتْ، وإن لم أدركك فاشفع لى ولا تنسنى يوم القيامة...» وكان هذا قبل مبعث النبى ﷺ بألف عام [نهاية الأرب فى فنون الأدب ١٦ / ١٢٤ : ١٢٧].

(١٠) قس: هو قس بن ساعدة الخطيب الجاهلى المعروف، خطب الناس بعكاظ وبَشَّرهم بمبعث النبى ﷺ وحثَّهم على اتباعه. [انظر حديث قس بن ساعدة فى: دلائل النبوة للبيهقى ٢ / ١٠١، الأغانى ١٤ / ٤٠].

(١١) سيف: هو سيف بن ذى يزن ملك الحبشة. وشيبة الحمد: لقب عبد المطلب بن هاشم جد النبى ﷺ وقد سرَّه سيفٌ حين بشره بنبوة محمد ﷺ بعد ميلاده بعامين، فقال سيف: «إنى أجد فى الكتاب المكنون خبرا عظيما وخطرا جسيما... إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة، كانت له الإمامة، ولكم به الزعامة إلى يوم القيامة...»، وذكر سيف بن ذى يزن لعبد المطلب أن هذا النبى قد آن أوان مولده - أو هو قد وُلِدَ - واسمه محمد... إلخ [راجع: نهاية الأرب فى فنون الأدب ١٦ / ١٣٨، البداية والنهاية لابن كثير: ١ / ٣٢٩ : ٣٣٥].

١٢ - أمَّـا لِهِـرَقْلِ الرُّومِ بانَتْ صِـفَـاتُهُ ... فَـهَـمَّ بإسـلامٍ فـمـا تمَّ مـا طَلَبْ؟

١٣ - بَلِ العـادلُ القَـيْلُ النَّجـاشِيُّ أبصَـرَ الْـ ... ـيَـقـينَ فَلَمْ يَعْـدِلْ وأسْلَمَ عن كَـثَـبْ

١٤ - أمَـا عَـايَنَتْ عَـيْنَا بَحـيـرَاءَ فـوقَـه الْـ ... ـغَـمَـامَ لهُ من شِـدَّةِ الحَـرِّ قـد حَـجَـبْ

١٥ - أمَـا ابْنُ سَـلامٍ أبصَـرَ الحَقَّ عِنْدَهُ ... فأسْلَمَ لم يَخْشَ اليـهـودَ ولم يَهَـبْ ؟

١٦ - أمَـا جَـابَ سَلْمـانُ البِـلادَ لأجْلِه ... فلمَّـا أتاهُ لم تَشُبْ عِلْمَـهُ الرِّيَبْ ؟

---

(١٢) جاء فى صحيح البخارى أن هرقل ملك الروم كان كاهنًا، وأنه نظر ذات ليلة فى النجوم، فرأى ملكَ الختان قد ظهر، فسأل بطارقته عمن يختتن، فأخبروه أن اليهود يختتنون. ثم جاء رجلٌ أرسل به ملك الغساسنة يخبر عن خبر رسول الله ﷺ، فسأله عن العرب هل يختتنون ؟ فقال: نعم. فجمع هرقل فى قصره عظماء قومه ودعاهم إلى مبايعة هذا النبى، لكنهم نفروا منه ولم يستجيبوا له. عندئذ تراجع هرقل وقال لهم: لقد كنت أختبرتكم. فلم يتم له الإيمان بعد أن كان قد همَّ به.[فتح البارى، كتاب بدء الوحى ٦، ١/ ٤٢ : ٤٤].

(١٣) النجاشى: ملك الحبشة الذى أرسل إليه رسولُ الله ﷺ كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام، فتناول كتاب النبى ﷺ فوضعه على عينيه ونزل عن كرسيه فجلس على الأرض، ثم أسلم، وبعث بإجابته إلى النبى ﷺ مع جعفر بن أبى طالب ﷺ، وقد أحسن النجاشى إلى المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة، وزوَّدهم بما يصلحهم عند عودتهم [نهاية الأرب ١٨/ ١٥٨].

(١٤) عاينت: رأت. بحيراء: هو بحيرا الراهب [انظر الهامش ٢٦ ص ١٠ فى الهمزية الثانية].

(١٥) ابن سلام: هو عبد الله بن سلام ﷺ كان أعلم أحبار اليهود، ولما سَمِعَ بأخبار النبى ﷺ عرفه بصفته وآمن به، فلما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة ذهب إليه ابن سلام وأسلم بين يديه، ثم عاد إلى اليهود ودعاهم إلى الإيمان فلم يتبعوه، فثبت على إيمانه وآمن معه أهل بيته وعمته خلدة بنت الحارث [انظر إسلام عبد الله بن سلام فى: فتح البارى ٧ / ٣١٩، ك مناقب الأنصار، باب مسائل عبد الله بن سلام، نهاية الأرب ١٦ / ٣٦٣ : ٣٦٤، نقلاً عن ابن إسحاق، وانظر: حجة الله على العالمين ص ١٠١]

(١٦) جاب: قطع. لم تشب: لم تخالط. الرِّيَب: الشكوك. وسلمان هو سلمان الفارسى ﷺ، صحابى جليل، أصله من أصفهان، وكان أبوه دهقان قريته (رئيسها)، وكان سلمان مجوسيًا، فمر يومًا بكنيسة من كنائس النصارى فسمع صلاتهم فأعجبته ثم إنه ذهب إلى الشام بحثًا عن أصل الدين المسيحى، وهناك دلَّه أسقف على رجل بالموصل من الباقين على أصل الديانة النصرانية، وأرسله هذا إلى أسقف آخر فى نصيبين فوجده على خير وأقام عنده حتى حضرته الوفاة، ثم ذهب إلى عمورية فأقام عند قس صالح حتى نزل أمر الله بهذا القس فأخبره عند احتضاره بأنه قد أظل زمان النبى العربى، ودلَّه على علامات هذا النبى المنتظر، فمكث سلمان بعمورية حتى جاء تجار من العرب حملوه معهم إلى أرض العرب. وقد واجه سلمان أهوالاً قاسية فى تطوافه الطويل بحثًا عن الدين الحق، فقد باعه هؤلاء التجار لرجل يهودى ظلَّ سلمان عبدًا عنده زمنًا طويلاً حتى هاجر النبى ﷺ إلى المدينة، فذهب إليه سلمان ﷺ، وعرف صفاته وأنه النبى العربى فآمن به، ثم أعانه النبى ﷺ وخلَّصه من الرق،=

١٧ - أَمَـــا انْصَـــدَعَ الإيوانُ عِنْدَ وِلادِهِ ... جِهاراً وِمنْ نارِ المجوسِ خَبَا اللَّهَبْ؟

١٨ - أَمَـا جـاءَ طِفـلاً عَنْ خِـتَـانٍ مُنَزَّهًا ... وعَنْ سُرَرٍ يَهْوِى سُجوداً ويقـتـربْ ؟

١٩ - أَمَـــا شَـــرَحَ اللهُ العظيمُ لأَرْبَعٍ ... من العُمْرِ منهُ الصَّدْرَ فى المربَعِ الخَصِبْ

٢٠ - أَمَـا أَرْسَلَ اللهُ العظيمُ لِبَـعـثِـهِ ... عَلَىٰ كُلِّ شَيْطانٍ غَوَىٰ ثاقبَ الشُّهُبْ؟

٢١ - أَمَا سَلَّمَ الأَحْجَارُ فى البَعْثِ والحَصَىٰ ... عَلَيْـهِ وأَشْـجَارُ الحـدائقِ والكُثُبْ ؟

٢٢ - أَمَـا خَـرَّتِ الأصنامُ لَيْلَةَ بَعـثِـهِ ... وأَيْقَنَ أَحْـزَابُ الشَّـيَـاطينِ بالعَطَبْ؟

= وأصبح سلمان علمًا من أعلام الصحابة الأجلاء [انظر فى إسلام سلمان : سيرة ابن هشام ١ / ٢١ ، البداية والنهاية ٢ / ٣١٠ ، سير أعلام النبلاء ١ / ٥٠٦ ، طبقات ابن سعد ٤ / ٥٤].

(١٧) انصدع : تشقق . الإيوان : قصر كسرى ملك الفرس ، ولاده : ولادته . خبا اللهب : انطفأ . من معجزاته ﷺ التى رافقت ليلة ميلاده تصدع إيوان كسرى وسقوط أربع عشرة شرفة من شرفاته ، وانطفاء نار المجوس التى ظلت مشتعلة على الدوام مدة ألف عام لم تنطفئ إلا فى ليلة ميلاد النبى ﷺ [تاريخ الطبرى ٢ / ١٦٦ ، والشفا للقاضى عياض ١ / ٣٦٦].

(١٨) فى النسخة (أ) : من ختان . . . ومن سرر ، وما أثبته من النسخة (ب) هو الأصح تركيبًا ودلالة . يشير هنا إلى ولادة النبى ﷺ مختونًا ، جاء فى الحديث عن العباس ﷺ قال : « ولد رسول الله ﷺ مختونًا مسرورًا » لكنه حديث ضعيف ، وكذا سائر ما روى فى ولادته ﷺ مختونًا أو مسرورًا [راجع : اللفظ المكرم ٢ / ٥٥٧ : ٥٦١].

(١٩) شرح الله صدر نبيه ﷺ ، وجاء ذكر ذلك فى القرآن الكريم ، قال عز من قائل : ﴿ **ألَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** ﴾ الشرح / ١ . وذكر فى صحيح الحديث أنه ﷺ أتاه ملكان فشقا بطنه من عند صدره إلى أسفل بطنه ، فأخرجا منه علقتين سوداوين ثم غسلا قلبه ونثرا فيه السكينة . [مسند أحمد ٤ / ١٨٤ ، المستدرك للحاكم ٢ / ٦١٦ ، دلائل النبوة للبيهقى ٢ / ٥].

(٢٠) جاء فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ۝ وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا** ﴾ الجن / ٨،٩ . أن الشياطين أرادوا استراق السمع فوجدوا السماء محروسة بالملائكة تمنعهم من ذلك وترميهم بالشهب (النجوم المحرقة) ؛ وذلك لما بعث النبى ﷺ [تفسير الجلالين ، ص ٧٦٤].

(٢١) الكثب : جمع كثيب ، وهو التل . روى الترمذى عن على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - قال : « كنت مع النبى ﷺ بمكة فخرجنا فى بعض نواحيها ، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول : السلام عليك يا رسول الله » [سنن الترمذى ، كتاب المناقب ، باب إثبات نبوة النبى ﷺ ، ٥ / ٥٩٣].

(٢٢) ذكر البيهقى أن نفرًا من قريش كانوا عند صنم لهم يجتمعون إليه قد اتخذوا ذلك اليوم من كل سنة عيدا ، فدخلوا على الصنم بالليل فرأوه مكبوبًا على وجهه ، فردّوه إلى حاله ، فلم يلبث أن انقلب انقلابًا عنيفًا ، فردّوه إلى حاله فانقلب الثالثة . . . فقال أحدهم : إن هذا لأمر قد حدث ، وذلك فى الليلة التى ولد فيها رسول الله ﷺ ، فأخذوا الصنم فردوه إلى حاله فسمعوا هاتفًا يهتف من جوف الصنم : =

٢٣ - أَمَـا عَمَّ بالبَـعْثِ البَـرِيَّةَ كُلَّهـا ... مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ الأَعَـاجِمِ والعَـرَبْ؟

٢٤ - أَمَـا نَسَخَ الأديانَ بالحقِّ دِينُهُ ... وخُصَّ بقُـرآنٍ أَنَافَ عَلىٰ الكُتُبْ ؟

٢٥ - أَمَـا جعلَ اللهُ البسيطةَ مَسْجِداً ... لهُ وطَهُـوراً للضرورةِ مُحْتَسَبْ ؟

٢٦ - أَمَـا سَارَ فى ظَهْـرِ البُـراقِ مُعظَّمًـا ... إلىٰ أَنْ عَلا السَّبْعَ الطَّرَائقَ فاقتَرَبْ؟

٢٧ - أَمَا اسْتَبْشَرَ السَّبْعُ الطِّباقُ وأهْلُها ... بِهِ ورأىٰ الآياتِ واخْتَرَقَ الحُجُبْ؟

٢٨ - أَمَـا صَفَّ كُلُّ الأَنْبِيَـاءِ وَرَاءَهُ ... فصَلَّىٰ بِهِمْ تَشْرِيفَ رَبٌّ لَهُ انْتَخَبْ ؟

٢٩ - أَمَـا رَدَّ - عَنْ زُهْدٍ وعلمٍ وقُـدْرَةٍ - ... جَمِيعَ كُنُوزِ الأَرْضِ رَدًّا عَلىٰ سَغَبْ؟

= تـردَّى لـمـولـود أنـارتْ بـنـوره ... جميعُ فجاج الأرض فى الشرق والغرب
وخـرَّتْ له الأوثان طُرًّا وأُرْعـدتْ ... قـلـوبُ مـلـوك الأرض طُـرًّا مـن الـرُّعْـب
ونارُ جـمـيعِ الفُـرسِ باخَتْ وأظلمتْ ... وقـد باتَ شـاهُ الفـرس فى أعظم الكَرْب

[البداية والنهاية لابن كثير ١ / ٣٤٠ : ٣٤١].

(٢٣) من خصائص سيدنا محمد ﷺ عموم رسالته جميع الإنس والجن، قال عز وجل: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الأنبياء / ١٠٧ . أى: الإنس والجن [تفسير الجلالين، ص ٤٣٨].

(٢٤) أناف: زاد شرفًا وعلوًّا. ودليل نسخ الشرائع السابقة بشريعة الإسلام قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ الفتح / ٢٨ .

(٢٥) البسيطة: الأرض. قال ﷺ: « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً » [فتح البارى، ك الصلاة، حديث رقم ٤٣٨، ١ / ٦٣٥].

(٢٦) البراق: الدابة التى حملت سيدنا النبى ﷺ ليلة إسرائه، والسبع الطرائق: السماوات السبع. قال ﷺ: « أتيتُ بالبراق، وهو دابةٌ أبيض طويل، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه... » ، وفى حديث المعراج من الكرامات والمعجزات التى اختص بها نبينا ﷺ ما يأخذ بالألباب [انظر فى قصة الإسراء والمعراج: الشفا للقاضى عياض ١ / ١٧٦].

(٢٧) السبع الطباق: السماوات السبع.

(٢٨) جاء فى حديث الإسراء أنه ﷺ صلَّى إمامًا وتبعه الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين [المرجع السابق].

(٢٩) سغب: جوع شديد. قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها: « لقد مات وما فى بيتى شىءٌ يأكله ذو كبدٍ إلا شَطْرُ شعيرٍ فى رفٍّ لى، وقال لى: « إنى عُرِض علىّ أن يُجعَلَ لى بطحاءُ مكة ذهباً، فقلت: لا يارب، أجوعُ يوماً وأشبع يوماً، فأمَّا اليوم الذى أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك، وأما اليوم الذى أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك »
[الشفا للقاضى عياض ١ / ١٤١].

٣٠ - أَمَـا جَـاءَهُ مِنْ ذِى الجَـلالِ هَدِيَّةٌ ... مِن الجَنَّةِ العَلْيَـاءِ قِطْفٌ من العِنَبْ؟

٣١ - أَمَا خَصَّهُ الرَّحْمٰنُ بالنَّصرِ بالصَّبَا ... وكَانَ عَلىٰ شَهْرٍ نصيراً لهُ الرُّعُبْ ؟

٣٢ - أَمَـا قَـاتَلَ الأَمْـلاكُ تَحْتَ لِوَائِه ... بِبِيضِ الظُّبا والسُّمْرِ والبَيْضِ واليَلَبْ؟ ٤/أ

٣٣ - أَمَا اجْتَمَعَ الأحزابُ يَبْغُونَ كَيْدَهُ ... فكانَ لهُ التَّأييدُ بالنَّصْرِ والغَلَبْ؟

٣٤ - أَمَـا حَـصَبَ الآلافَ يَوْمَ هَوَازِنٍ ... بِكَفٍّ بِهِ أَعْمىٰ النَّواظِرَ إِذْ حَصَبْ؟

٣٥ - أَمَـا ردَّ عنهُ اللهُ ردَّ مُـمَـاحِلٍ ... عَلىٰ الخَصْمِ فاجْتاحَ التَّبابُ أَبَا لَهَبْ؟

٣٦ - أَمَـا دَعَّ بالإبعَـادِ ربَّةَ بَيْتِـهِ ... فَبَاءَتْ بِطُولِ الخِزْىِ حَمَّالةُ الحَطَبْ؟

٣٧ - ورَامَ أَبُو جَـهْلٍ أذَاهُ بِجَـهْلِهِ ... فلَمَّا رَأىٰ الأهوالَ وَلَّىٰ عَلىٰ العَقِبْ؟

---

(٣٠) قال ﷺ :« عرضتْ علىَّ الجنَّةُ حتى لو تناولت منها قطفًا أخذته » [صحيح مسلم بشرح النووى، ك الكسوف ٦/٢٠٧].

(٣١) قال ﷺ :« نُصِرْتُ بالصَّبَا » [الفتح ٢/٤٣٢ ، ٦/٢١٥ ، مسند أحمد، حديث رقم ١٩٥٥ ، ٢٠١٣ ، مسلم ١/٢٤٥]. وقال ﷺ :« بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب » [فتح البارى ، حديث رقم ٢٩٧٧ ، كتاب الجهاد والسير ٦/١٤٩].

(٣٢) الأملاك : يريد الملائكة، وهو خطأ صرفى . بيض الظبا : السيوف . السمر : الرماح . البيض : الخوذ . اليلب : الدروع . جاء ذكر قتال الملائكة مع النبى ﷺ فى القرآن الكريم، قال تعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ الأنفال / ٩ . وكان ذلك فى غزوة بدر .

(٣٣) يشير إلى انتصار المسلمين فى غزوة الأحزاب .

(٣٤) حصب : رمى بالحَصَى . وذلك فى غزوة حنين (وتسمى غزوة هوازن أيضًا) حين انهزم المسلمون فى بادئ الأمر وفرُّوا ولم يثبت مع النبى ﷺ سوى نفر قليل من الصحابة، فلمَّا أحاط المشركون بالنبى ﷺ نزل من فوق بغلته ثم قبض قبضة من تراب وقذف بها فى وجوههم وهو يقول : شاهت الوجوه، فما بقى إنسان منهم إلا ملئت عينه ترابا، فولوا منهزمين [صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/١٢١ ، طبقات ابن سعد ٢/١٠٨].

(٣٥) مماحل : مدافع مجادل . التباب : الهلاك . من خصائص سيدنا محمد ﷺ أن الله ـ عز وجل ـ تولَّى الدفاع عنه وجادل عنه خصومه، فلما اتهموه بالجنون أجاب الله تعالى عنه بقوله : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ التكوير / ٢٢ ، وقالوا إنه شاعر، فأجاب الله عز وجل عنه بقوله : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ﴾ يس / ٦٩ [وانظر لمزيد من التفصيل : اللفظ المكرم، ٢/٦٦٥].

(٣٦) دَعَّ : دفع بعنف وزجر . باءت : لزمها الخزى والعار، وذلك لأن الله عز وجلَّ أهانها فى كتابه الكريم وتوعَّدها ـ مع زوجها ـ بالعذاب والهلاك، فى سورة المسد .

(٣٧) كان أبو جهل (عمرو بن هشام) من أشد الناس كفرا وعداءً للنبى ﷺ، فجاء يومًا يحمل صخرة يريد أن يسقطها على النبى ﷺ وهو ساجد، فلما دنا أبو جهل من النبى ﷺ رجع =

٣٨ - كـمـا رَامَ شَـيْطانٌ أذَاهُ فَـشَكَّهُ ... بِبَعضِ السَّوَارِى ثُمَّ خَلاَّهُ فَانْسَرَبْ

٣٩ - أمَـا طَارَ فَـوْقَ الجَـوِّ بالخُفِّ طائرٌ ... فَـأرْسَلَ صِلاًّ فِـيـهِ للشـرِّ يَرْتَقِبْ؟

٤٠ - أمَـا اشْـتَـدَّ تَطْلابُ العُـدَاةِ فـأجْـزَلُوا ... لِمَنْ جاءَهُمْ بالمُصْطَفَىٰ أنْفَسَ النَّشَبْ؟

٤١ - فـعـمَّىٰ عَلَيْـهِ العَنْكَبُـوتُ مُـقَـابِلاً ... لِكَيْـدِهِمُ الوَاهِى وقَلْبِـهِـمُ الحَـرِبْ؟

٤٢ - ورَدَّ حَـمَـامٌ كَـيْـدَهُمْ ولَقَـدْ رَأىٰ ... سُـرَاقَـةُ لَـمَّـا أنْ قَـفَى إثْرَهُ العَـجَبْ؟

٤٣ - أمَـا فى ذِرَاعِ الشَّـاةِ والسَّمُّ عِـبْـرَةٌ؟ ... فَـفِـيـهـا ثَلاثٌ تَسْتَبِينُ لِذِى الأدَبْ:

٤٤ - تَوَكُّلُهُ فى أكْلِهـا، وكَـلامُـهَـا ... لَهُ مُعجِزٌ، والحِلْمُ عَمَّنْ جَنَىٰ السَّبَبْ

= إلى القوم منتقعًا مرتعدًا وقد تيبست يداه، فسألوه: ما الخبر؟ فقال: لمَّا دنوت منه عرض لى جمل ضخم كأنه داهية عظيمة، وقد همَّ أن يأكلنى. وفى رواية قال: رأيت بينى وبينه كخندق من نار [السيرة الحلبية ١ / ٤١٠].

(٣٨) شكَّه: ربطه. السوارى: أعمدة المسجد، جمع سارية. خلاَّه: تركه. انسرب: أفلت وهرب. روى الشيخان أن عفريتًا من الجن تعرض للنبى ﷺ ليقطع عليه صلاته، فهمَّ النبى ﷺ أن يربطه فى عمود من أعمدة المسجد، لكنه لم يفعل لأنه تذكر دعوة أخيه سليمان ﴿ **رب اغفر لى وهب لى ملكًا لا ينبغى لأحد من بعدى** ﴾ ص / ٣٥ ، فردَّ الله هذا الشيطان مطرودًا [فتح البارى، كتاب الصلاة، حديث رقم ٤٦١ ١ / ٦٦١ ، مسلم ١ / ١٥٢].

(٣٩) يشير هنا إلى رواية ابن عباس رضى الله عنهما: كان النبى ﷺ إذا أراد الحاجة أبعد، فذهب يومًا فقعد تحت شجرة فنزع خُفيه، فلما لبس أحدهما جاء طائر فأخذ الخُف الآخر فحلَّق به فى السماء فاستلبه منه أسودٌ سالخ، فقال النبى ﷺ : « هذه كرامة أكرمنى الله بها » [حجة الله على العالمين / ٣٣٥].

(٤٠) تطلاب: بحث وطلب. العداة: المعتدون. أجزلوا: قدَّموا مكافأة سخية. النشب: المال.

(٤١) عمَّى: غطَّى. الواهى: الضعيف. الحَرِب: الغاضب الشديد الخصومة. يشير إلى ما حدث ليلة الغار حين نسجت العنكبوت نسيجها على باب الغار لكى تستر وجود النبى ﷺ وصاحبه فيه، فكان نسيج العنكبوت الهش الضعيف معادلاً لكيدهم الضعيف الذى لم ينل من رسول الله ﷺ [انظر قصة الحمامتين والعنكبوت فى الشفا للقاضى عياض ١ / ٣١٣]

(٤٢) سراقة: هو سراقة بن مالك، صحابى مشهور، مات فى خلافة عثمان بن عفان سنة ٢٤هـ [تقريب التهذيب / ٣٦٦]. وكان من أمر سراقة أنه أراد قتل النبى ﷺ ليحصل على المكافأة التى جعلها المشركون لمن يقتله، فركب سراقة فرسه واتَّبع النبىَّ ﷺ وأبا بكر، حتى إذا دنا منهما دعا عليه النبى ﷺ فساخت قوائم فرسه فى الرمال، فنزل عن فرسه، ثم دنا حتى سمع قراءة النبى ﷺ فالتفت أبو بكر فرآه فقال للنبى ﷺ : أُتينا. فقال: « لا تحزن؛ إن الله معنا ». فساخت قوائم الفرس مرة أخرى، فناداهما سراقة طالبًا الأمان، فكتب له النبى ﷺ أمانًا، وأمره ألا يترك أحدًا يلحق بهما. فوفى بعهده للنبى ﷺ [الشفا للقاضى عياض ١ / ٣٥١].

(٤٣) سبق ذكر قصة الشاة المسمومة. وهنا يضيف الشاعر أن فى هذه القصة ثلاث معجزات.

٤٥ - أَمَا القَمَرُ المُنْشَقُّ نِصفَيْنِ مُعْجِزٌ ... بِمَشْهَدِ حُضَّارٍ عَنِ الحَقِّ كالغُيُبْ ؟

٤٦ - أَمَا ذَهَبَتْ فى الحَرْبِ عَيْنُ قَتَادَةٍ ... فَرَدَّ بِإِذْنِ اللهِ مَا كَانَ قَدْ ذَهَبْ؟

٤٧ - أَمَا انْهَلَّ مَاءٌ من أَصَابِعِ كَفِّهِ ... فلمَّا جَلا الجيشُ الصَّدَىٰ أَفْعَمُوا القِرَبْ؟

٤٨ - أَمَا جَمَعُوا زَادًا كَرُبْضَةِ دَاجِنٍ ... فأَشْبَعَ جُوعَ الجَيْشِ وامْتَلأَ الجُرُبْ؟

٤٩ - أَمَا سَدَّ مِنْ مُدٍّ ومُدَّيْنِ جُوعَ مَنْ ... حَوَتْ صُفَّةُ الإِسلامِ مَأْوَىٰ أُولِى الحَسَبْ؟

٥٠ - وَرَوَّاهُمُ بالقَعْبِ مِنْ لَبَنٍ وكَمْ ... لَهُ بَرَكَاتٍ مِثْلُهَا شَفَتِ الوَصَبْ!

---

(٤٦) قتادة : هو قتادة بن النعمان، وقد أصيبت عينه إصابة بالغة حتى سقطت على خدِّه يوم بدر، فردَّها رسول الله ﷺ كما كانت وأحسن، حتى كان قتادة لا يعرف أى عينيه أصيبت! [دلائل النبوة للبيهقى ٣ / ١٠٠].

(٤٧) انْهَلَّ : سال . الصَّدَىٰ : العطش . أفعموا القرب : ملأوها بالماء . روى البخارى عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبى ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ فجهش الناس نحوه فقال : ما لكم؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك . فوضع يده فى الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا . قلت (أى قال الراوى) : كم كنتم؟ قال : لو كُنَّا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة [الفتح، ك المناقب ٦ / ٦٧٢، حديث رقم ٣٥٧٦].

(٤٨) رُبضة داجن : أى بمقدار حجم حيوان صغير . الجُرُب : جمع جراب، وهو الوعاء . روى البخارى عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ أنه رأى النبى ﷺ فى حفر الخندق وقد ربط على بطنه حجرا من شدة الجوع، وكان قد مضى على المسلمين ثلاثة أيام يحفرون ولم يذوقوا طعاما، فذهب جابر إلى امرأته كى تصنع للنبى ﷺ طعاما، فلم يجد فى البيت إلا شاة وبعض الشعير، فطحنت الشعير وذبحت الشاة، ثم انطلق الرسول ﷺ ومعه أهل الخندق إلى بيت جابر، فبصق فى العجين والقدر وبارك . ثم أكل من هذا الطعام اليسير ألف رجل . قال جابر : « فأقسم بالله، لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن بُرْمَتَنا لَتَغِطُّ كما هى، وإن عجيننا لَيُخْبَز كما هو » [الفتح، ك المغازى ٧ / ٤٥٧ ، حديث رقم ٤١٠٢].

(٤٩) المُدُّ : إناء يسع ـ من التمر ونحوه ـ ما يملأ اليدين ممدودتين، أى حوالى رطلين . الصُّفة : مكان فى مؤخر المسجد النبوى، أعدَّ لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل، وكان عدد أهل الصفة نحو المائة كما ذكر أبو نعيم فى الحلية .

جاء ذكر طعام أهل الصفة فى الصحيحين وغيرهما، وذلك أن أبا بكر الصديق ﷺ دعا عشرة منهم على عشاء، فأتى بجفنة أكلوا منها جميعا ثم بقيت على حالها، فحمل الجفنة إلى النبى ﷺ، فأطعم النبى ﷺ منها الجيش كله [انظر: الفتح، ك المناقب ٦ / ٦٧٩ ، ح رقم ٣٥٨١].

(٥٠) القعب : القدح . الوَصَب : المريض . يشير هنا إلى ما رواه أبو هريرة ﷺ أن النبى ﷺ سقى أهل الصُّفَّة من قدح فيه لبن، حتى ارتووا جميعا وارتوى أبو هريرة حتى لم يجد للبن مسلكا، ثم شرب النبى ﷺ فضلة الإناء [الفتح، ك الرقاق ١١ / ٢٨٦، ح رقم ٦٤٥٢].

٥١ - أَمَـا قَـاتَ مِنْ تَمْـرٍ بِكَفَّـيْـهِ كلَّ مَنْ ... حَوَىٰ الخَندَقُ الميمونُ من عَسْكَرٍ لَجِبْ؟

٥٢ - أَمَـا كَـانَ فى إِحْـدىٰ وعـشرينَ تمـرةً ... حَـبَـاهـا أبا هرٍّ بَيَـانٌ لِـذى طَلَبْ؟

٥٣ - أَمَـا شُـفِـيَتْ عَـيْنَا عَلِىٍّ بِرِيقِـهِ ... وسَاحَ زكيًّا والأُجَاجُ بِهِ عَذُبْ؟ ٤/ب

٥٤ - أَمَـا هُوَ رَوَّىٰ منْ ذَنوبٍ حـديقـةً ... فَأَسْقَطَ عَمَّنْ كانَ يَملكُها النَّصَبْ؟

٥٥ - أَمَـا مَـدَّ كَـفَّـيْـهِ وقـد مُنِعَ الحَـيَـا ... فَـدَرَّ لَهُ فى الحَالِ مُنْعَنْجِرُ السُّحُبْ؟

٥٦ - أَمَـا حَنَّ لَمَّـا أنْ عَـدَاهُ كَـلامُـهُ ... إليهِ حَنينَ العَوْدِ جِذْعٌ منَ الخَشَبْ؟

---

(٥١) قات: أطعم. لجب: كثير العدد.

روى البيهقى عن ابنة بشير بن سعيد قالت: بعثتنى أمى بتمر فى طرف ثوبى إلى أبى وخالى وهم يحفرون الخندق، فمررت على رسول الله ﷺ، فنادانى فأتيته، فأخذ التمر منى فى كفيه وبسط ثوبا فنثره عليه، فتساقط فى جوانبه، ثم أمر بأهل الخندق فاجتمعوا وأكلوا منه حتى صدروا عنه [دلائل النبوة للبيهقى ٣/ ٤٢٧].

(٥٢) حباها: أعطاها. أبا هر: هو سيدنا أبو هريرة ﷺ. روى الترمذى والبيهقى عن أبى هريرة ﷺ أنه أتى النبى ﷺ ببعض التمر، فأدخل النبى ﷺ يده فى الوعاء وأخرج التمر الذى فيه فإذا هو إحدى وعشرون تمرة، فدعا فيه وبارك، ثم أمر أبا هريرة أن يدعو عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة حتى أكل الجيش كله وبقى شىء من التمر تركه لأبى هريرة، فظل أبو هريرة يأكل من هذا التمر ويُطعِم منه حياة النبى ﷺ، ثم فى عهد أبى بكر، ثم فى عهد عمر، ثم فى عهد عثمان، إلى أن قُتل عثمان فنهب بيت أبى هريرة، ونهب الوعاء الذى فيه هذا التمر المبارك [دلائل النبوة للبيهقى ٦/ ١٠٩ ، سنن الترمذى، مناقب أبى هريرة ٥/ ٥٨٥].

(٥٣) الأجاج: الشديد الملوحة. عَذُب: صار عذبًا. والضمير يعود على ريق النبى ﷺ. وسبقت الإشارة إلى شفاء عين علىّ بن أبى طالب من الرمد ببركة ريق النبى ﷺ. وروى أنه ﷺ مر على ماء فسأل عنه فقيل: اسمه بَيْسانُ وماؤه ملحٌ. فقال ﷺ: « بل هو نُعمانُ وماؤه طيِّبٌ » فطاب ماؤه [الشفا للقاضى عياض ١/ ٣٣٢].

(٥٤) ذَنُوب: دلو. النَّصَب: التعب.

أخرج ابن سعد عن أنس ﷺ قال: جئنا مع رسول الله ﷺ إلى قباء، فانتهى إلى بئر غرس وكان يستسقى منها على حمار ثم نقوم عامة النهار فما نجد فيها ماء، فمضمض النبى ﷺ فى الدلو فجاشت (أى فاضت) بالرواء [انظر: حجة الله على العالمين، ص ٤٥٠].

(٥٥) الحَيَا: المطر. مثعنجر: كثير غزير.

روى الشيخان حديث الاستسقاء، عن أنس ﷺ أن الناس أصابتهم مجاعة أهلكت الحرث والنسل، فرفع رسول الله ﷺ يديه فقال: « اللهم اسقنا » ثلاثا. قال أنس: والله ما نرى فى السماء من سحاب، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس (أى مستديرة)، فأمطرت ورسول الله ﷺ على منبره، حتى عمَّ المطر كل مكان [الفتح، ك الاستسقاء٢/ ٥٨١ ، حديث رقم ١٠١٣ ، مسلم، ك صلاة الاستسقاء باب الدعاء فى الاستسقاء ٥/ ١٩٢].

٥٧ - أَمَا سَجَدَ النَّابُ المُسِنُّ كَرَامَةً ... لهُ فحَمَاهُ أن يُقَدَّ لَهُ عَصَبْ؟

٥٨ - أَمَا ظلَّ يهْوِى نَحْوَهُ عِذْقُ نَخْلةٍ ... وعادَ إلَيْها لا يُفارِقُهُ الرُّطَبْ؟

٥٩ - أَمَا سَبَّحَتْ فى كَفِّهِ وبأمْرِهِ ... صَوامتُ صُمٌّ منْ حَصًى نُطْقُهُ عَجَبْ؟

٦٠ - أَمَا مَسَّ شاةً حائلاً بيَمِينِهِ ... فجاءَت بِدَرِّ الضَّرْعِ فى حادثٍ جَدِبْ؟

٦١ - أَمَا شَهِدَ الضَبُّ المَصِيدُ ببَعْثِهِ ... وحَارِشُهُ للدِّينِ منْ بَعْدِهِ انْتُدِبْ؟

٦٢ - أَمَا أَطْلَقَ الرِّيمَ القَنِيصةَ رحْمَةً ... لأطفالِها بالإذْنِ مِمَّنْ لَهَا كَسَبْ؟

٦٣ - أَمَا قَبْرُهُ فى الأرضِ حِرْزٌ ورَحْمَةٌ ... بِحَقٍّ يَشُدُّ المُتَّقِى نَحْوَهُ القُتُبْ؟

---

(٥٦) عداه: تجاوزه. العود: الجمل. سبقت الإشارة إلى قصة حنين الجذع.

(٥٧) النَّاب: الجمل. يُقَدَّ: يقطع.

روى البيهقى عن جابر ﷺ قال: جاء جملٌ إلى النبى ﷺ فخرَّ ساجداً بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: «من صاحب هذا الجمل؟» فقال فتيةٌ من الأنصار: هُوَ لَنا يا رسول الله. قال: «فما شأنه؟» فأخبروه أنهم أرهقوه بالعمل الشاق وأنهم أرادوا ذبحه غداً. فأمرهم أن يحسنوا إليه حتى يأتيه أجله [دلائل النبوة للبيهقى ٦ / ١٩ ، واللفظ المكرم ٢ / ٦٤٨].

(٥٨) عذق النخلة: الغصن الذى يحمل الرطب.

روى البيهقى وأحمد والحاكم أن أعرابيًا جاء إلى النبى ﷺ فقال: بِمَ أعرف أنك رسول الله؟ قال: «أرأيتَ لو دعوتُ هذا العذقَ من هذه النخلة، أتشهد أنى رسول الله؟» قال: نعم. فدعا رسولُ الله ﷺ العذق فجعل ينزل من النخلة حتى سقط فى الأرض، فجعل يقفز حتى أتى النبىَّ ﷺ. ثم قال له: ارجع. فرجع حتى عاد إلى مكانه. فقال الأعرابى: أشهد أنك رسول الله [دلائل النبوة للبيهقى ٦ / ١٥ ، المستدرك للحاكم ٢ / ٦٢٠ ، مسند أحمد ٣ / ٢٩٣ ، حديث رقم ١٩٥٤].

(٥٩) صوامت صمٌّ: حجارة لا تنطق ولا تسمع. وقعت معجزة تسبيح الحصى فى يد النبى ﷺ فى وجود ثلاثة من خيرة الصحابة هم أبو بكر وعمر وعثمان ـ رضى الله عنهم ـ وقد سمع للحصيات حنين كحنين النحل، ثم وضع النبى ﷺ الحصيات فى يد أبى بكر فسبحن، ثم فى يد عمر فسبحن، ثم فى يد عثمان فسبحن [دلائل النبوة للبيهقى ٦ / ٦٤].

(٦٠) حائل: لم يصبها الفحل. وقد تقدمت قصة الشاة التى درَّت بلبنها عندما مسها سيدنا رسول الله ﷺ.

(٦١) حارشه: صائده، وهو لفظ خاص بمن يصيد الضَّبَّ دون غيره. يقول: لقد شهد الضبُّ لنبينا ﷺ بالرسالة، ثم إن حارشه (أى صائده) انتدب للدين فصار مؤمنا بعد هذه المعجزة، وتقدم ذكرها.

(٦٢) الريم: الغزال. القنيصة: المَصيدة، فعيل بمعنى مفعول. يقول: إن النبى ﷺ أطلق الريم رحمة بأطفالها، بالإذن ممن اصطادها. وقد سبق ذكر قصة الغزال التى أطلقها سيدنا رسول الله ﷺ.

(٦٣) حرز: حصن وحفظ. القُتُب: الرحال. قال ﷺ: «لا تُشَدُّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد:=

٦٤ - يُحَفُّ مِنَ الأَمْلاكِ كلَّ صَبِيحَةٍ ... بِسَبْعِينَ أَلْفًا فَهْوَ سَامٍ عَلَىٰ التُّرُبْ

٦٥ - أَمَا جاءَهُ ذِئْبٌ يَرومُ قَطِيعَةً ... فلمَّا أَبَىٰ المُثْرونَ خالَسَ وانْتَهَبْ؟

٦٦ - أَمَا جَمَعَ اللهُ المَحاسِنَ كلَّها ... لهُ وبِهِ سَادَ الوَرَىٰ مَنْ لهُ صَحِبْ؟

٦٧ - أَلَيْسَ حَبِيبَ اللهِ وهْوَ خليلُهُ ... وكلَّمهُ تكليمَ مَنْ عَنْهُ ما احْتَجَبْ؟

٦٨ - أَمَا كانَ أَعْلَىٰ النَّاسِ قَدْرًا ومَنْصِبًا ... وأَشْرَفَهُمْ أَصْلاً إذا ذُكِرَ النَّسَبْ؟

٦٩ - أَمَا كانَ أَبْهَىٰ العَالَمِينَ وأَجْمَلَ الْـ ... ـبَرِيَّةِ قَدًّا مَاشِيًا وإذا رَكِبْ؟

٧٠ - أَمَا كانَ بَيْنَ النَّاسِ أَفْصَحَ منطِقًا ... إذا ما تَلاَ أو حدَّثَ الناسَ أو خَطَبْ؟

٧١ - أَمَا اللهُ أَعْطَاهُ الجَوَامِعَ كُلَّها ... وأَدَّبَهُ - سُبْحانَهُ - أحسنَ الأَدَبْ ؟

٧٢ - أَمَا كانَ أسخَىٰ النَّاسِ كَفًّا لمُجْتَدٍ ... هَنِيءَ العَطَايَا لا يَمُنُّ إذا وَهَبْ؟

= المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى » [متفق عليه واللفظ للبخارى، الفتح، كتاب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة ٣ / ٧٦ ، حديث رقم ١١٨٩].

وفى المخطوط جاء ترتيب الأشطر فى البيتين (٦٢، ٦٣) معكوسا، على النحو التالى :

أما أطلق الريمَ القنيصةَ رحمةً ... بحقٍّ يَشُدُّ المُتَّقِي نَحْوَهُ القُتُبْ ؟

أما قَبْرُهُ فى الأرضِ حرزٌ ورحمةٌ ... لأطفالِها بالإذْنِ مِمَّنْ لَهَا كَسَبْ ؟

وقد كتب الشطران الأخيران على هامش المخطوط .

(٦٤) يُحَفُّ : يحاط به . الأملاك : يريد بها : الملائكة . سام : رفيع القدر . التُّرُب : التراب .

وجاء فى مسند أحمد عن النبى ﷺ : « إن لله ملائكة فى الأرض سياحين يبلغونى من أمتى السلام » [مسند أحمد ٥ / ٢٤٤ ، حديث رقم ٣٦٦٦].

(٦٥) يروم : يطلب . قطيعة : شيئا يُقطع له من أموال الزكاة . المُثرون : الأغنياء . خالس : سرق . انتهب : نهب . يشير إلى ما رواه البيهقى وغيره عن حمزة بن أبى أسيد قال : خرج رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار بالبقيع، فإذا الذئب . مفترشا ذراعيه على الطريق، فقال رسول الله ﷺ : « هذا أويسٌ يستفرض فافرضوا له » . قالوا : نرى رأيك يا رسول الله . قال : « من كل سائمة شاةٌ فى كل عام » . قالوا : كثير . فأشار إلى الذئب أنْ خَالِسْهُمْ، فانطلق الذئب [دلائل النبوة للبيهقى ٦ / ٤٠].

(٦٦) الورى : البشر .

(٦٩) البرية : الخلق .

(٧١) يشير فى صدر البيت إلى قوله ﷺ : « أوتيت جوامع الكلم » [صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب المساجد ٥ / ٦] ويشير فى عجز البيت إلى قوله ﷺ : « أدّبنى ربى فأحسن تأديبى » [كشف الخفاء للعجلونى ١ / ٧٢].

(٧٢) أسخى الناس : أكثرهم عطاء . مُجْتَدٍ : طالب عطاء .

٧٣ - أَمَـا كـانَ أوفَىٰ النَّاسِ حِلْمًـا وعِـفَّـةً ... وحُـسْنَ ثبـاتٍ لا يُزَلْزِلُهُ الغَـضَبْ؟

٧٤ - أَمَـا كـانَ أَوْلَىٰ النَّاسِ بالزُّهْدِ والرِّضـا ... بِأَغْلَظِ مَلْبُوسٍ وبِالـمَطْعَمِ الجَـشِبْ؟

٧٥ - أَمَـا كـانَ أَقْـوَىٰ العـالَمـينَ توكُّـلاً ... وصبرًا عَلَىٰ البَلْوَىٰ ودَفْعًا لمَنْ حَرَبْ ٥/أ

٧٦ - أَمَـا كـانَ فى الحَـرْبِ العَـوَانِ أَشَـدَّهُمْ ... إذا انْحَطَمَ العَسَّالُ وانْفَلَّتِ القُضُبْ؟

٧٧ - أَمَـا كـانَ فى نُصْحٍ ولُطْفٍ ورَحْـمـةٍ ... لأُمَّـتـه كـالوَالِدِ الـمـشـفقِ الحَـدِبْ؟

٧٨ - أَمَـا حـبُّـهُ فَـوْقَ النُّفـوسِ وفـوقَ مـا ... يُحَبُّ من الأمْـــوالِ حَقٌّ لهُ وَجَبْ؟

٧٩ - أَمَـــا بلَّغَ الخَلْقَ الرِّســالةَ جـاهدًا ... إلىٰ أنْ عَلا دينُ المُـهَيْـمِنِ وانْتَصَبْ؟

٨٠ - أَمَـا هُوَ بَعـدَ الـمَـوْتِ بالنَّفْعِ كـافِلٌ ... لأمَّتِـه فى عَـرْضِ كَسْبٍ ومُكْتَسَبْ؟

٨١ - أَمَـــا صَلَواتُ اللهِ فى كُلِّ مـــرَّةٍ ... عليه بعشْرٍ عند ذى العَرْشِ تُحْتَسَبْ؟

٨٢ - أَمَـا هُوَ فى اليَـوْمِ الثَّـقـيلِ إذا طَغَىٰ ... عَلَىٰ النَّاسِ هَولُ الموقفِ الكاشفُ الكُرَبْ؟

٨٣ - أَمَـا هُوَ فى يومِ الـمَـعَـادِ مُـشَـرَّفٌ ... برَفْعِ اللواءِ الشَّـامِلِ السَّـابغِ الشُّـعَبْ؟

٨٤ - أَمَـا هُو فى يَوْمِ القِـيَـامـةِ رَاكِبُ الْـ ... ـبُـرَاقِ وكُلُّ النَّاسِ فى السَّعْىِ والدَّأَبْ؟

---

(٧٤) الجَشب من الطعام: الغليظ الخشن.
وفى الحديث أنه ﷺ كان يأكل الجَشِبَ من الطعام [النهاية لابن الأثير ١ / ٢٧٢].

(٧٥) حَرَب: خاصم أشد الخصومة.

(٧٦) الحرب العوان: التى قوتل فيها مرة بعد مرة. العسَّال: الرمح. انْفَلَّت: تكسَّرت. القُضُب: السهام والقسىّ، جمع قضيب.

(٧٧) الحَدب: العطوف.

(٧٨) من خصائصه ﷺ أن حبه مقدم على النفس والمال والولد، قال الله عز وجل:
﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ الأحزاب / ٦ .
وقال ﷺ: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين ».
[متفق عليه واللفظ للبخارى: الفتح، كتاب الإيمان ١ / ٧٥ ، حديث رقم ١٥ . مسلم بشرح النووى، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ ٢ / ١٥].

(٨١) قال ﷺ: « من صلَّى علىَّ صلاةً صلَّى اللهُ عليه بها عشرًا ».
[مسند أحمد ٩ / ٧٦ ، حديث رقم ٦٥٦٨].

(٨٢) هول الموقف: أهوال يوم القيامة. يقول: أليس النبى ﷺ هو كاشف الكرب حين تطغى على الناس أهوال يوم الحساب؟ حيث ينعم الله على نبينا ﷺ بالشفاعة العظمى التى يرحم بها الناس بتعجيل الحساب وقطع طول انتظارهم للحساب يوم القيامة.

(٨٣) السابغ: الكامل التام. الشعب هنا بمعنى: الجوانب والأطراف.

(٨٤) السعى: المشى السريع. الدَّأب: المبالغة فى السَّير. وعن ركوبه ﷺ البراق يوم =

٨٥ - أَمَـا هُوَ يَوْمَ البَـعْثِ أَكْـثَـرُ تابعًـا ... إذا قلَّ أتبـاعُ النَّبـيِّـينَ فى الحـقَبْ؟

٨٦ - أمَـا هُوَ فى مَـتْنِ الصِّـرَاطِ مُـجيـزَنَا ... إذَا قَـالَ رُسْلُ اللهِ: سَلِّمْ مِن الكُرَبْ

٨٧ - أَمَـا هُوَ يَوْمَ الحَـشْـرِ أَنْجَحُ شَـافعٍ ... لِكُلِّ مُـسِـيءٍ دَأْبُهُ اللَّهْـوُ واللَّعِبْ؟

٨٨ - أَمَـا هُوَ ذُو الحَـوْضِ الهَنِيءِ شَـرابُهُ الـ ... ـمَـرِيءِ من الفِـرْدوْسِ مِيزابُهُ انْتُخِبْ

٨٩ - أَمَـا اللهُ أعْطَاهُ مَـقَـامًـا وكَـوْثرًا ... ومَـقْـعَـدَ صِـدْقٍ والوَسِيلةَ فـاقْـتَـرَبْ؟

٩٠ - ويَعْـجِـزُ كُلُّ الناسِ عَنْ حَصْرِ وَصْفِـهِ ... ولكنَّ كُـلاًّ فى المَـقـال عَلىٰ حَسَبْ

٩١ - فـصَلَّىٰ عليـه اللهُ مَـرْضـاةَ نفْـسِـه ... وصلَّىٰ عَلىٰ أصحـابِهِ السَّـادةِ النُّجُبْ

٩٢ - ألاَ يا رسـولَ اللهِ، نحنُ عَلىٰ شَـفًـا ... من الخَوْفِ والتهديدِ والكَرْبِ والنَّقَبْ

٩٣ - وليسَ لَنَا إلاَّ عَلىٰ حُـسْنِ وَعـدِكَ الـ ... ـكَـريمِ اعْـتِـمـادٌ فـهْـوَ أَحْـسَـنُ مقـتَـرَبْ

٩٤ - أَغِـثْنا، أغـثنا ! مَـسَّنا الضُّـرُّ مَـسَّنا! ... فـأنْتَ لنا عـونٌ عَلىٰ نازِلِ النُّوَبْ

٩٥ - لَقَـدْ كَـدَّرَ الخَـوْفُ المُـلازِمُ عَـيْـشَنا ... ومـا حَـسَنٌ مـمَّنْ يلوذُ بِكَ الهَـرَبْ!

*****

= القيامة، فقد جاء فى الحديث قوله ﷺ : «أنا أُبعثُ على البراق»
[تاريخ أصفهان لأبى نعيم ٢ / ١٩٨].

(٨٥) الحقب: الأزمنة الطويلة. قال ﷺ: «أنا أكثر الأنبياء تبعًا يوم القيامة».
[مسلم، كتاب الإيمان، ١ / ١٨٨].

(٨٦) هذا البيت زيادة من النسخة (ب). مجيزنا: الذى يمكننا من اجتياز الصراط، أى عبوره.

(٨٨) الميزاب: المنبع.

(٨٩) المقام: هو المقام المحمود الذى للنبى ﷺ. الكوثر: الخير الكثير الذى أعطاه الله لنبيه ﷺ، وهو نهر فى الجنة، من شرب منه فلا يظمأ أبدا [انظر فى صفة الحوض، والكوثر: فتح البارى، كتاب الرقاق ١١ / ٤٧٢ ، الأحاديث ٦٥٧٧ : ٦٥٨٣].

(٩٢) على شفا: على حافة هاوية. النقب: الضعف الشديد، وأصله داء يصيب الإبل فى أخفافها من طول السير وعنائه.

(٩٤) النُّوَب: المصائب.

(٩٥) كلمة القافية (الهرب) فى ب،هـ: الرَّهَبْ.

البائية الثانية

(عدتها ٦٧ ـ المنسرح الأول)

فى هذه القصيدة يمزج الشاعر بين العروبة والإسلام فى وحدة واحدة، ويتجلى هذا المزج من أول القصيدة :

عَنْ أَيْمَنِ السَّفْحِ بِالحِمىٰ عَرَبُ بَيْنَ فُـــؤادِى وبَيْنَهُمْ نَسَبُ

ثم يبين هذا النسب الذى يربط بين فؤاده وأولئك العرب، وذلك لأنهم هم القادة ذوو الهمم العالية، وهم الهداة إلى الخير، وأهل الجود والكرم، والإيمان والصبر والتقوى . ثم هم قد نالوا هذا الشرف بكون النبى المختار ﷺ انتخب من بينهم، وساروا على هديه، مقتبسين منه الصبر والزهد والعلم والحلم والشجاعة، فبهم تجبر البلاد وتحفظ إلى قيام الساعة.

ثم يذكر وليًّا منهم عرفه ورأى كراماته، يدعوه ابن إدريس، ويذكر شيخه ابن الهيتىّ، مُعَلِّلاً ذكر ابن إدريس بكونه أنموذجًا لأمة محمد ﷺ .

وتتناول القصيدة الموضوعات الآتية:

- مآثر أهل الحرم الشريف وفضائلهم.
- كل فضائل الأمة مستقاة من هدى نبى الأمة ﷺ .
- زهده ﷺ، وصبره، وبعض فضائله. .
- فضل صحابته ومن اتبع سنته من أمته.
- أنموذج لأمة محمد ﷺ .
- فى مناجاة النبى ﷺ .
- استعطاف واستغاثة.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - عَنْ أَيْمَنِ السَّفْحِ بالحِمىٰ عَرَبُ ... بَيْنَ فُؤادى وبَيْنَهُمْ نَسَبُ ٥/ب

٢ - أعِزَّةٌ قادةٌ لَهُمْ هِمَمُ ... تَقْصُرُ عَنْها الرِّماحُ والقُصُبُ

٣ - زِينَتْ سَماءُ العُلا بِهِمْ فَهُمُ ... شُموسُها والبُدورُ والشُّهُبُ

٤ - إنْ حارَ رَكْبٌ فَهُمْ أدِلَّتُهُ ... أوْ جارَ جَدْبٌ فَرِفْدُهُمْ سُحُبُ

٥ - مِنْ كُلِّ شَهْمٍ خِيامُ رُتْبَتِهِ ... فى كُلِّ قُطْرٍ نَاءٍ لَها طُنُبُ

٦ - أبْلَجَ سَهْلِ الأخْلاقِ مُمْتَنِعٍ ... يُبْرِزُهُ الدَّهْرُ وهْوَ مُحْتَجِبُ

٧ - إذا تَسامَتْ بِهِ عَزائِمُهُ ... فَوْقَ الثُّرَيَّا رَسَا بِهِ الأدَبُ

٨ - بَحْرُ المَعانى حَدِّثْ ولا حَرَجٌ ... فكُلُّ شىءٍ من أمْرِهِ عَجَبُ

٩ - يدٌ بِها يدفَعُ البَلاءَ عن الـ ... ـخَلْقِ وعَيْنٌ فى الخَلْقِ تَرْتَقِبُ

١٠ - قد قامَ مِنْ نَضْرَةِ النَّعيمِ عَلىٰ ... صَفْحَتِهِ للجَمالِ مُحْتَسَبُ

---

(١) السفح: أسفل الجبل. الحمى: كل ما يُحْمَى ويمنع، وأراد به هنا: الحرم الشريف.

(٢) القَصَب: كذا فى الأصل، ولا يتفق مع السياق، فلعله: القُضُب، جمع قضيب وهو السهم والقوس. وفى (أ): القصب بالصاد المهملة، وما أثبته من (هـ).

(٤) الرفد: العطاء. يقول: إن هؤلاء الفتية هم أدلة الحيارى، وهم أهل العطاء والجود إذا طغى الجدب وأقفرت الأرض. فى (أ): سُخُب، بالخاء المعجمة.

(٥) ناء: بعيد. الطُّنُب: الحبل الذى تشد به الخيمة. يقول: إن فيهم من كل شهم رفيع الرتبة عالى المنزلة، وشبَّه رفعة القدر وانتشار الذكر بخيمة ضربت حبالها فى كل الأقطار.

(٦) أبلج: أبيض حسن واسع الوجه، مشرقه. سهل الأخلاق ممتنعٌ: سمحٌ مع من يحبه، ممتنع على أعدائه. يريد أن هؤلاء الرجال مشرقة وجوههم سهلة أخلاقهم سمحة لكنهم ممتنعون على العدو، ولهم شهرة وبُعْد ذِكْر لكنهم يؤثرون الاحتجاب عن الشهرة.

(٧) الثُّرَيَّا: نجم، يقول: إذا ارتقت بهم همَّتهم إلى العُلا، كان الأدب وحسن الخلق مانعًا لهم من الكبر.

(٩) يصف هذا الممدوح بقدرته على التصرف لصالح الأمة، فهو يدفع عنها البلاء، فاليد إشارة إلى القدرة، والعين إشارة إلى الوعى بحال الأمة والتنبه لما يصلحها.

(١٠) نضرة النعيم: الحسن والبهاء الذى يعلو وجوه المؤمنين، والشاعر متأثر بلغة القرآن الكريم، كما فى قوله تعالى: ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴾ المطففين / ٢٤ . صفحته: وجهه. محتسب: قدر يحتسب عند الاختبار. يقول: من صفات هذا الممدوح أن فى وجهه بهاء وإشراقًا يبدو للناظر المختبر.

١١ - يَجْلُوهُ مَعْناهُ فى تَقَلُّبِهِ ... وَهْوَ بِصَوْنِ الأسْرارِ مُنتَقِبُ

١٢ - مُشْتَهِرٌ خامِلٌ لهُ نَبَأٌ ... مُجاوِرٌ لِلأنيسِ مُغْتَرِبُ

١٣ - تُخْفِيهِ أحْوالُهُ وتُظْهِرُهُ ... فَهْوَ بَعِيدُ المَرامِ مُقْتَرِبُ

١٤ - يَهُزُّ مِنْ نَشْوَةٍ شَمائِلَهُ ... حُبُّ المَعالِى لا الكَأسُ والحَبَبُ

١٥ - حُلَّتُهُ الأُنْسُ والوَقارُ وعِـ ... ـزُّ القُرْبِ تاجٌ لا الدُّرُّ والذَّهَبُ

١٦ - وكَنْزُهُ صِحَّةُ اليَقِينِ وحُسْـ ... ـنُ الصَّبْرِ دِرْعٌ لا البَيْضُ واليَلَبُ

١٧ - وفَقْرُهُ فَخْرُهُ، ومَنْصِبُهُ ... تَقْواهُ، والدِّينُ عِنْدَهُ الحَسَبُ

١٨ - مُفَوَّضٌ عارِفٌ إمامُ هُدًى ... مِنْ كُلِّ وَصْفٍ سامٍ لهُ سَبَبُ

١٩ - فاقَ رِجالَ الزَّمانِ إذْ هُوَ مِنْ ... أمَّةِ خَيْرِ الأنامِ مُنْتَخَبُ

٢٠ - مُحَمَّدٌ خاتَمُ الرِّسالةِ مِفْـ ... ـتاحُ الهُدَى بشَّرَتْ بِهِ الكُتُبُ

٢١ - كلُّ المَوالِى مِنْ فَضْلِ مَوْرِدِهِ الـ ... ـعَذْبِ بِكاساتِ وِرْدِهِ شَرِبوا

٢٢ - بِحُسْنِ أخْلاقِهِ اهْتَدَوْا، وإلَى ... طَرِيقِهِ فى سُلُوكِهِمْ ذَهَبُوا ١/٦

٢٣ - فالفَقْرُ والصَّبْرُ مِنْهُ مُقْتَبَسٌ ... إذْ لَمْ يَكُنْ لِلكُنُوزِ يَجْتَذِبُ

٢٤ - وشَدَّ إذْ رُدَّ لِلطَّوَى حَجَرًا ... وما انْطَوَى حِينَ مَسَّهُ السَّغَبُ

---

(١١) يجلوه: يبرزه ويكشفه. منتقب: مستتر.

(١٢) خامِلٌ: لا ذكر له. الأنيس: البشر. فى البيتين السابقين والبيت التالى يصف الشاعر ممدوحه من أمة محمد ﷺ بصفات متضادة، فهو مشتهر أى معروف، خامل: لا ذكر له، أى هو معروف بذاته وصفاته، لكنه لا يريد لنفسه الشهرة وبعد الذكر، فهو خامل، وهو مجاور للناس بجسده، لكنه مغترب عنهم؛ لأن همته قد تعلقت بالله عز وجل.

(١٤) شمائله: صفاته. الحَبَبُ: الفقاقيع التى تعلو كأس الخمر. يقول: إن هذا لا تهزه نشوة الخمر والكأس، بل يهزه حبُّ المعالى. (١٦) البيض: الخوذات، واليَلَب: الدروع.

(١٩) منتخب: مختار. بعد ما تقدم من وصف لهذا الممدوح كشف عن سرِّ تفوقه وامتيازه بكل هذه الشمائل: لأنه واحد من أخيار أمة خير الأنام محمد ﷺ.

(٢١) الموالى: الأتباع. وِرْده: مشربه. أى شربوا من النبع الذى شرب منه النبى ﷺ.

(٢٣) الفقر هنا مرادف للتصوف والزهد [انظر: الرسالة القشيرية / ٢٧١].

(٢٤) الطَّوَى: الجوع. السغب: الجوع الشديد. يشير إلى ما كان يفعله النبى ﷺ إذ يشد حجرا على بطنه من شدة الجوع. ومن ذلك ما رواه البخارى أنه ﷺ لبث ثلاثة أيام مع أصحابه يحفرون الخندق ولم يذوقوا طعاما، وقد عصب بطنه بحجر من شدة الجوع. [الفتح، كتاب المغازى، ٧/٤٥٦، حديث رقم ٤١٠١].

٢٥ - جَفَا نَعِيمَ الدُّنْيَا وأَقْنَعَهُ ... عن طِيبِهَا مَطْعَمٌ لَهُ جَشِبُ

٢٦ - مِعْيَارُ أَهْلِ الوَلاءِ سُنَّتُهُ ... مَنْ يَتَّبِعْهَا فَذَلِكَ القُطُبُ

٢٧ - وكُلُّ مَنْ زاغَ عَنْ مَحَجَّتِهِ ... طَرْفَةَ عَيْنٍ أَوْدَى بِهِ العَطَبُ

٢٨ - أَرْسَلَهُ اللهُ ذو الجَلالِ لأَهْـ ... ـلِ الْحَقِّ نُوراً تُجْلَىٰ بِهِ الرِّيَبُ

٢٩ - وأَيْنَعَ العِلْمُ فى القُلُوبِ بِهِ ... فَمَرْبَعُ الرُّشْدِ مَرْبِعٌ خَصِبُ

٣٠ - مُؤَيَّدٌ طَاهِرٌ، بِعِزَّتِهِ ... عَزَّتْ مُلُوكَ الأعاجِمِ العَرَبُ

٣١ - لَقَدْ عَلا بالمِعْرَاجِ مَرْتَبَةً ... تَقَاصَرَتْ أَنْ تَنالَهَا الرُّتَبُ

٣٢ - وانْبَجَسَ الماءُ مِنْ أَصَابِعِهِ ... فَامْتَلأتْ مِنْ نَمِيرِهِ القِرَبُ

٣٣ - وسَوْفَ يَروِى العِطَاشَ فى الظَّمَأ الْـ ... أَكْبَرِ حَيْثُ الأكْبادُ تلتَهِبُ

٣٤ - جَلا ظَلامَ الضَّلالِ ثُمَّ لَهُ ... شَفَاعَةٌ تَنْجَلِى بِهَا الكُرَبُ

٣٥ - سَمَتْ بِهِ فى الأَنَامِ أُمَّتُهُ ... وَسَادَ فِيهَا أَصْحَابُهُ النُّجُبُ

٣٦ - مَعَادِنُ الحِلْمِ واليَقِينِ رِجَا ... لُ الحَرْبِ فُرْسَانُهَا إذا رَكِبُوا

---

(٢٥) جفا: ترك وبَعُدَ عنه. مطعم جشب: طعام خشن غليظ.

(٢٦) المعيار: المرجع الذى يحتكم إليه. القُطْب فى اللغة: المحور والمدار، وفى اصطلاح الصوفية: الإنسان الكامل، وهو أعلى الأولياء مرتبة، وهو موضع نظر الله من العالم، ويسمى «الغوث» أيضا [انظر: اصطلاحات الصوفية للقاشانى ص ١٤٥، معجم ألفاظ الصوفية للدكتور/ حسن الشرقاوى ص ٢٣٥]. وحركت الطاء بالضم للضرورة الشعرية.

(٢٧) المَحَجَّة: الطريق الواضح، ويعنى به هدى النبى ﷺ. أودى به: أهلكه. العطب: الهلاك.

(٢٨) تُجْلَى: تكشف. الرِّيَب: الشكوك.

(٢٩) أينع: أثمر ونضج. المربع: الموضع الذى ينزل فيه أيام الربيع. شبه العلم بالثمار الناضجة، والرشدَ بالأرض المخضرة فى أوان الربيع.

(٣٠) عَزَّت: غَلَبت وقَهَرت. أى: إن العرب قد قهروا الأعاجم بعزة نبيهم ﷺ.

(٣١) تقاصَرَتْ: عجزت وقصرت. يشير إلى معراج النبى ﷺ، وهو من خصائصه المشهورة.

(٣٢) انبجس: تدفق. النمير: الماء العذب. يشير إلى نبع الماء من أصابعه ﷺ كأمثال العيون. [انظر الحديث بتمامه فى: الفتح، كتاب المغازى ٧/ ٥٠٥، حديث رقم ٤١٥٢].

(٣٣) الظمأ الأكبر: يكون يوم القيامة. والنبى ﷺ يروى أمته من حوضه الشريف.

(٣٥) سمت: ارتفع قدرها. الأنام: البشر. النُّجُب: الكرام الفضلاء، جمع نجيب.

(٣٦) معادن الحلم واليقين: أصوله التى يؤخذ منها.

٣٧ - يُسْفِرُ صُبْحُ السُّيوفِ عن غَسَقِ الـ ... ـنَّقْعِ بِأَيْدِيهِمُ إذا انْتُدِبُوا

٣٨ - ويَسْخَطُ المالُ إنْ رَضُوا، وتَرَىٰ ... للنَّصْرِ بِشْرًا إذا هُمُ غَضِبُوا

٣٩ - يَلِينُ لِلْجارِ عِطْفُهُمْ وَهُمُ الْـ ... أَشْرافُ فى قومِهِمْ إذا انْتَسَبُوا

٤٠ - أُمَّتُهُ نَفْعُها لهُ مَثَلٌ ... مِنَ الحَديثِ الرِّضِيِّ مُجْتَلَبُ

٤١ - كالغَيْثِ: منهُ الوَسْمِيُّ أَنْفَعُهُ ... ونَفْعُهُ فى الرَّبيعِ مُرْتَقَبُ

٤٢ - ما الفَضْلُ عَنْها يَوْمًا بِمُنْتَقِلٍ ... إلىٰ سِواها ما دامَتِ الحِقَبُ

٤٣ - أَبْدالُها تُجْبَرُ البِلادُ بِهِمْ ... حتَّىٰ بِعيسَىٰ تُكَسَّرَ الصُّلُبُ ٦/ب

٤٤ - هُمْ أَوْلِياءُ الرَّحْمٰنِ حُبُّهُمُ ... لِلْمَرءِ حِرْزٌ تَهابُهُ النُّوَبُ

٤٥ - قُبُورُهُمْ لِلعِبادِ مُلْتَجَأٌ ... لِلّٰهِ ما ضَمَّ مِنْهُمُ التُّرَبُ

٤٦ - رَأَيْتُ مِنْهُمْ بِمُقْلَتِى رَجُلاً ... أَحْوالُهُ بِالنُّضارِ تُكْتَتَبُ

---

(٣٧) يُسْفِر: يشرق. غَسَق: ظلمة. النقع: غبار الحرب. شبه السيوف بالصبح المشرق، وغبار الحرب بظلمة الليل. انتدبوا: دعوا للحرب والجهاد.

(٣٨) يريد أنهم ينفقون المال بسخاء حتى يسخط المال لأنهم أهلكوه بكرمهم. وأنهم إذا غضبوا ابتسم النصر لهم، أى كان النصر حليفهم؛ لشجاعتهم ونصر الله تعالى. وفى (أ): ويُرى للبشر بشرٌ، وما أثبته من (جـ).

(٤١) الغيث: المطر. الوَسْميُّ: مطر أول الربيع، سُمِّى بالوسمى لأنه يَسِمُ الأرض بالنبات. يشير فى هذا البيت وسابقه إلى المثل الذى ضربه النبى ﷺ لأمته فى قوله: «أمتى كالمطر لا يدرى أوله خيرٌ أم آخره» [الاستذكار لابن عبد البر ١ / ٢٣٩].

(٤٣) الأبدال أو البدلاء: مرتبة من مراتب الأولياء عند الصوفية، وهم رجال الله، وسُمُّوا بالبدلاء لأن البدل إذا مات أُبدل مكانه شخص آخر على صورته، وعددهم مختلف فيه، فقيل: هم سبعة، وقيل: أربعون، وقيل: ثلاثمائة. ومقام الأبدال مقام شريف حيث تتنزل العلوم على قلوبهم، والرأى الغالب أن عددهم أربعون وأنهم فى الطبقة الخامسة من طبقات الأولياء [راجع: معجم ألفاظ الصوفية، د. حسن الشرقاوى، ص ٢٢: ٢٥ ، المعجم الصوفى، د. عبد المنعم الحفنى، ص ١٠، ٤١]. ويعوِّض الله بهم كل نقص أو ضعف فى هذه الأمة إلى يوم القيامة، حين ينزل عيسى عليه السلام فيكسر الصليب وفى الحديث: «الأبدال فى أمتى أربعون رجلا» [كنز العمال حديث رقم ٦٤٦٠٩ ، جمع الجوامع، حديث رقم ١٠٢٨٢].

(٤٤) تهابه: تخافه. النُّوَب: المصائب.

(٤٦) بمقلتى: بعينى. الأحوال فى اصطلاح الصوفية: ما يرد على القلب من مشاعر كالفرح والحزن والألم والسرور... إلخ، من غير اكتساب، فالأحوال مواهب [معجم ألفاظ الصوفية، د. حسن الشرقاوى، ص ١١٥]. النضار: الذهب.

٤٧ - هُوَ ابْنُ إِدْرِيسَ مَنْ رآهُ فَقَدْ ... رَأَىٰ مَعِينًا يُشْفَىٰ بِهِ الوَصَبُ

٤٨ - دَوْحَتُهُ ابْنُ الهِيتِيِّ كَانَ لَهَا ... أَصْلاً لَقَدْ أَيْنَعَتْ بِهِ الهُدُبُ

٤٩ - إِيوانُ كِسْرَىٰ يُدَلُّ منهُ عَلَىٰ ... جِهَادِ صِدْقٍ مَا شَانَهُ كَذِبُ

٥٠ - يُكَابِدُ اللَّيْلَ فَوْقَ شُرْفَتِهِ ... وهو لِذِكْرِ الرحمنِ مُنتَصِبُ

٥١ - ذَكَرْتُ أُنْمُوذَجًا لأُمَّتِهِ ... تُعرَفُ مِنْهُ بالحَاضِرِ الغَيبُ

٥٢ - باللهِ يا رَاكِبَ المُضَمَّرَةِ الْـ ... ـوَجْنَاءِ لاَيَسْتَفِزُّهُ الدَّأَبُ

٥٣ - يَرْفَعُهَا الآلُ فى الضُّحَاءِ كَمِثْـ ... ـلِ الفُلْكِ يَطْفُو طَوْرًا وَيَرْتَسِبُ

٥٤ - وَيَهْجُرُ الظِّلَّ فى الهَجِيرِ ولَوْ ... أَنْضَىٰ مَطَاهَا الذَّمِيلُ والخَبَبُ

٥٥ - عَرِّجْ وَقِفْ وَقْفَةً بِسَفْحِ حِمَىٰ ... سَلْعٍ فَلِى فى قِبَابِهِ أَرَبُ

---

(٤٧) ابن إدريس: على بن أبى بكر محمد بن عبد الله بن إدريس الروحائى، نسبة إلى الروحاء (قرية قرب بغداد)، صاحب الشيخ عبد القادر الجيلانى، وكان ابن إدريس شيخ وقته وصاحب قرآن وأدب وفضل، توفى سنة ٦١٩ هـ [سير أعلام النبلاء ٢٢ / ١٧٧].
المعين: الماء العذب. الوصب: المرض.

(٤٨) دوحته: الدوحة: الشجرة العظيمة، وأراد بها: أصله. أينعت: نضجت وأثمرت. الهدب: الأغصان. وابن الهيتى: شيخ ابن إدريس المذكور فى البيت السابق.

(٤٩) شانه: خالطه. ويبدو أن هذا البيت مقحم فى هذا الموضع؛ لأنه قطع سياق الحديث عن ابن إدريس، وسيعود إليه فى البيت رقم (٥٠). وترتيب الأبيات كما هو هنا فى (أ)، (جـ). وسبق ذكر ارتجاس إيوان كسرى من معجزات النبى ﷺ فى البائية الأولى.

(٥٠) يكابد الليل: يعانى أرقه وسهره.

(٥٢) المضمرة: الناقة التى عُلِفَتْ حتى سمنت ثم ترد إلى طعام قليل مدة أربعين يومًا، كى تقوى على السير والحمل. الوجناء: الضخمة. لا يستفزه: لا يزعجه ولا يفزعه. الدأب: السير الطويل.

(٥٣) الآل: السراب. الضُّحاء: قبل منتصف النهار، تفتح الضاد وتضم. شبه سير الناقة فى منتصف النهار بسفينة تطفو فوق الماء تارة ثم يغمرها الموج فترسب تارة أخرى، وذلك بتخييل السراب الذى يبدو كالماء وتبدو الإبل فيه كالسفن.

(٥٤) الهجير: اشتداد الحر. أنضى: أتعب وأرهق. مَطَاها: ظهرها. الذَّميل: ضرب من سير الإبل السريع فى لين. الخبب: عَدْو الإبل السريع.

(٥٥) عَرِّج على المكان: اتجه نحوه وأقام به. سلع: جبل بالمدينة المنورة [وفاء الوفا ٤ / ١٢٣٥ ، معجم البلدان ٣ / ٢٦٨]. قبابه: جمع قُبَّة، وهى كل بناء مستدير، وأراد: قبور الصحابة رضوان الله عليهم. أرب: حاجة.

٥٦ - إذَا ذَكَرْتُ العَهْدَ القَديمَ بِها ... يَهُزُّ عِطْفَىَّ نَحْوَها الطَّرَبُ

٥٧ - لأنَّ فيها للمُقْتَدى عَلَمًا ... إليه فى الأرضِ يَنْتَهِى الطَّلَبُ

٥٨ - قُلْ يا رَسُولَ المَليكِ حُبُّكَ فى الـ ... ـدُّنْيا عَلَيْنا فَريضةٌ تَجِبُ

٥٩ - وصَحْبُكَ الأكْرَمُونَ سادَتُنا ... والأَوْلِياءُ الخُلاصةُ الذَّهَبُ

٦٠ - زُرْناهُمُ فى الخَميسِ مِنْ رَجَبٍ ... أوَّلَ يومٍ وقَدْ مَضىٰ رَجَبُ

٦١ - وجاءَ شَعْبانُ بَعْدَهُ وعَلىٰ الـ ... أعْطافِ مِنْهُ مَلابِسٌ قُشُبُ

٦٢ - وقد قَصَدْناهُمُ لِتَزْكُوَ مِنْ ... أعْمالِنا فى مَعادِنا القُرَبُ

٦٣ - وأنْتَ فيهِمْ سِرُّ الزيارةِ يا ... أكْرَمَ مَنْ يُرْتَجَىٰ ويُرْتَهَبُ

٦٤ - يا مَنْ لَهُ الرُّعْبُ ناصِرٌ وبِهِ الـ ... أمْنُ غَداً حينَ يكْثُرُ الرُّعُبُ ١/٧

٦٥ - عَطْفًا علىٰ عَبْدِكَ الفَقيرِ ومَنْ ... دَعَاهُ مِنَّا إلَيْهِمُ الرَّغَبُ

٦٦ - واسْألْ لَنَا ذَا الجَلالِ خاتِمَةً ... يَدْنو رِضَاها مِنَّا ويَقْتَرِبُ

٦٧ - عَلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ السَّلامُ مَعَ الـ ... ـدَّهْرِ مَديدٌ فَلَيْسَ يَنْقَضِبُ

*****

---

(٥٦) عطْفَىَّ: جانبَىَّ، أراد: يهزُّنى. الطرب: الشوق.

(٥٧) عَلَم: معروفٌ لكل إنسان، ويعنى به النبى ﷺ.

(٦١) قشب: جُدُد، جمع قشيب.

(٦٢) تزكو: تنمو وتزيد. القُرَب: جمع قُربة، وهى كل عمل يُتَقَرَّب به إلى الله عز وجلّ.

(٦٤) والرُّعْب فى قافية البيت ضمت عينه لأجل الوزن، وأراد به رعب يوم القيامة.

(٦٧) ينقضب: ينقطع.

البائية الثالثة

(عدتها ٨٤ ـ البسيط الأول)

تبدأ هذه القصيدة بذكر منازل الحجيج فى طريقهم من العراق إلى مكة المكرمة، ويذكر كثيراً من معالم الطريق نحو البقاع الطاهرة، كأنما يرسم خريطة بالكلمات لهذه البقاع الطاهرة الطيبة، بديلاً عن ذكر ديار الأحبة فى قصائد الغزل ونحوها. ثم يستنزل على هذه البقاع الغيث والرحمة من الله عز وجل، ويدعو للراحلة التى حملته إلى الأرض المباركة وأوصلته إلى حمى رسول الله ﷺ.

تتناول القصيدة الموضوعات الآتية:

- ذكر منازل الحجيج فى طريقهم إلى الحرم.
- فى رحاب النبى ﷺ.
- سرد لبعض مآثر النبى ﷺ وفضله على الناس.
- مديح للصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وبخاصة العشرة المبشرين بالجنة، وأهل بدر.
- بقاء الخير فى أمة محمد ﷺ إلى قيام الساعة.
- فى ذكر العارف بالله ابن إدريس وشيخه الهيتى.
- مناجاة واستعطاف للنبى ﷺ.

وقال يمدحه عليه الصلاة والسلام ويذكر منازلَ طريقِ مكةَ شرَّفهـا الله تعالى:

١ - سَقَىٰ العُذَيْبَ مِنَ الأَمْوَاهِ ما عَذُبا ... وهزَّ نَفْحُ الصَّبَا مِنْ بانِهِ العَذَبَا

٢ - ودَوَّمَ الغَيْثُ فى أرضِ المُغيثَةِ والـ ... ـجَرْعاءِ مُنْبَجِسَ الشُّؤْبوبِ مُنْسَكِبَا

٣ - وَمِنْ أُلورَةَ ذاتِ البِرْكَتَيْنِ إلىٰ ... شَرَافِ القَطْرُ لا يَنْفَكُّ مُقْتَرِبَا

٤ - وحَلَّ واقِصَةَ الجَوْنُ الرُّوَىٰ طَبَقًا ... حَتَّىٰ يَمُدَّ عَلىٰ أكْنافِها طُنُبَا

٥ - وهَيْنَمَ الرَّعْدُ فى أرجائِها هَزِجًا ... فصَفَّقَ الماءُ فى غُدْرانِها طَرِبَا

٦ - واسْتَقْبَلَ الهَيْثَمَيْنِ الودْقُ مُنْهَمِرًا ... حتَّىٰ تَرَىٰ فيهِما السَّلْسالَ مُصْطَخِبا

٧ - وعن زُبَالَةَ لا انْفَكَّ الحَيَا غَدِقًا ... حَتَّىٰ يُرَوِّىَ مِنْها جَوُّها التُّرُبا

٨ - والثَّعْلَبِيَّةُ لا زالتْ مَوارِدُها ... تَشْفِى الصَّدَىٰ وتُزِيلُ الهَمَّ والوَصَبا

---

(١) العُذَيب: موضع على بعد أربعة أيام من المدينة المنورة [معجم البلدان ٤/١٠٣ : ١٠٤، وفاء الوفا ٤/١٢٦٣]. الأمواه: جمع ماء. الصَّبَا: ريح تستقبل البيت الحرام، يقال: لأنها تحنُّ إليه. البان: شجر طويل مستوى الأغصان. العَذَب: جمع عَذَبة: الأغصان.

(٢) دوَّم: دَامَ. المغيثة: موضع فى طريق مكة بعد العُذيب [معجم البلدان ٥/١٩٠]. الجرعاء: موضع فى طريق مكة من الكوفة بين المغيثة وواقصة [معجم البلدان ٤/٣٧٠]. منبجس: متفجر. الشؤبوب: الدفعة من المطر.

(٣) ألورة: ذكر ياقوت موضعا اسمه « اللُّوزة » وقال إنه: بركة على تسعة أميال من القرعاء. وشك ياقوت أهى بالراء أم بالزاى [معجم البلدان ٥/٣٠]. فلعلها (ألورة) كما فى (أ)،(ب)، ولا يستقيم الوزن إلا بذلك. شراف: ماء بنجد له ذكر كثير فى آثار الصحابة [معجم البلدان ٣/٣٧٥].

(٤) واقصة: موضع على طريق مكة المكرمة [معجم البلدان ٥/٤٠٧]. الجَوْنُ: السحاب الأسود. الرُّوى: الماء الكثير العذب. طبقًا: غطاء، يريد الماء الكثيف الذى يغطى الأرض ويشملها. أكنافها: جوانبها. الطُّنب: الأطراف.

(٥) هَيْنَمَ: الهينمة: الصوت الخفى. هَزِجًا: طَرِبًا كأنه يُغَنِّى.

(٦) الهيثمين: موضع فى طريق مكة [معجم البلدان ٥/٤٨٤].
الودق: المطر. السلسال: الماء العذب.

(٧) زُبالة: قرية فى الطريق من الكوفة إلى مكة المكرمة، بين واقصة المذكورة والثعلبية (فى البيت الثامن) [معجم البلدان ٣/١٤٥]. الحيا: المطر. غَدِقًا: غزيرًا.

(٨) الثعلبية: موضع فى الطريق من الكوفة إلى مكة المكرمة [معجم البلدان ٢/٩١].
الصَّدَى: العطش. الوَصَب: المرض.

٩ - ولا نَبَا عن زَرُودٍ صَوْبُ سارية ... إذا اسْتَهَلَّ عَلَيْها لَبَّدَ الكُثُبَا

١٠ - وأَجْفُرُ البِيدِ لا زَالتْ مَنَاهِلُها ... بِوَافِرِ الماءِ منْها تُفْعِمُ القِرَبَا

١١ - ودامَ فى حِصْنِ فَيْدٍ ما يُزِيلُ به ... رَكْبُ الحِجازِ صَدَىٰ الأحشاءِ والسَّغَبَا

١٢ - وجادَ بِرْكَةَ نُورٍ عارِضٌ هَتِنٌ ... وعَنْ سَمِيرَاءَ ثَوْبُ الأمْنِ لا سُلِبَا

١٣ - وطابَ فى حَاجِرٍ وِرْدُ الرِّكابِ ولا ... غَبَّ العُسَيْلَةَ قَطْرٌ يَمْلأُ القُلُبَا

١٤ - وأَوْدَعَ السَّيْلُ فى وَادِى العَرُوسِ حَيًا ... يَجْلُو بِهِ الرَّكْبُ إنْ حَلُّوا بِهِ الكُرَبَا

١٥ - ونَوَّرَ الرَّوضُ فى قَاعِ الغَزَالِ إلىٰ ... وَادِى الشُّظَا فَأَرَىٰ مِنْ نَبْتِهِ عَجَبَا

١٦ - وَصَادَفَ الرَّبعَ رُكْبانَ الحَجِيجِ من الـ ... ـسُّوَارِقِيَّةِ مَحْمُودَ القِرَىٰ خَصِبا ٧/ب

١٧ - وامْتَدَّ فى غَمْرَةَ الماءُ الرَّوِىُّ ودَنَا ... مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ نَمِيرُ الماءِ واقْتَرَبَا

١٨ - وبَطْنُ نَخْلَةَ لا زالَ المَعِينُ بِها ... يَسْقِى بِها بَاسِقَاتِ النَّخْلِ والعِنَبَا

---

(٩) نَبَا: بَعُدَ وأخطأ الهدف. زرود: موضع على الطريق من الكوفة إلى مكة المكرمة، بعد الثعلبية [معجم البلدان ٣/١٥٦]. صَوْب: نزول المطر. سارية: صفة لموصوف محذوف، والتقدير: سحابة سارية. استَهَلَّ: ظهرَ. لبَّد: جعلها قوية متماسكة. الكثب: تلال الرمل، جمع كثيب.

(١٠) أجفر البيد: موضع فى الطريق إلى مكة المكرمة [معجم البلدان ١/١٢٨]. مناهلها: موارد مائها. تفعم: تملأ.

(١١) حصن فيد: بلدة فى منتصف الطريق بين الكوفة ومكة المكرمة، ينزلها الحجاج فيتزودون منها. السغب: شدة الجوع.

(١٢) بركة نور: لكذا وردت فى جميع النسخ، ولم أقف عليها. عارض: سحاب يملأ الأفق. هَتِن: دائم المطر. سميراء: موضع فى طريق مكة [معجم البلدان: ٣/٢٩٠].

(١٣) حاجر: موضع فى طريق مكة [معجم البلدان ٢/٢٣٦]. وِرْدُ الرِّكاب: ما يَرِدون عليه من الماء. غبَّ: ترك وبَعُدَ. العسيلة: موضع فى جبل القنان شرقى سميراء [معجم البلدان ٤/١٤١]. قطر: مطر. القُلُب: الآبار، جمع قليب.

(١٤) السيل: فى الأصل (النِّيل) والتصحيح من التنبهانية.

(١٥) نوَّر الروض: أزهر. قاع الغزال: منزل فى طريق مكة، بعد العقبة [معجم البلدان ٤/٣٣٨]. وادى الشظا: جبل قرب مكة المكرمة [معجم البلدان ٣/٣٩١].

(١٦) السُّوارقية: قرية أبى بكر ﷺ، بين مكة والمدينة وهى قرية خصبة غنَّاء فيها مزارع من نخيل وموز وتين وعنب ورمان [وفاء الوفا ٤/١٢٣٨].

(١٧) غمرة: منزل على طريق مكة وهو فصل ما بين تهامة ونجد [معجم البلدان ٤/٢٤٠]. الرَّوِى: الكثير. ذات عرق: جبل بطريق مكة بين نجد وتهامة، وهو مُهَلُّ أهل العراق. [معجم البلدان ٤/١٢١].

(١٨) بطن نخلة: قرية قريبة من المدينة على طريق البصرة [معجم البلدان ١/٥٣٣]. =

١٩ - وبَثَّ فى أرضِ نَعْمانَ الحَيَا زَهَرًا ... يُناظِرُ الدُّرَّ واليَاقُوتَ والذَّهَبا

٢٠ - وعاجَ نَحْوَ مِنَىً والخَيْفِ فاتَّشَحَا ... منهُ بُرُودًا عَلىٰ عِطْفَيْهِما قُشُبا

٢١ - ولا عَدَا سَاحةَ البَطْحاءِ مُرْتَجِسٌ ... مُجَلْجِلٌ يَمْلأُ الغُدْرانَ إنْ سَكَبا

٢٢ - وجَاوَزَتْ رَبَّةَ السِّتْرِ الشَّرِيفِ صَبًا ... إذا سَرَتْ نَحْوَ مَحْزونِ الفُؤادِ صَبَا

٢٣ - وفَاحَ بَيْنَ المُصَلَّىٰ والصَّفَا أَرَجٌ ... كَأنَّما المِسْكُ منهُ طِيبَهُ اكْتَسَبا

٢٤ - ومَاءُ زَمْزَمَ لا زَالتْ مَوَارِدُهُ ... فِيها شِفاءُ الأَذىٰ صِرْفًا لِمَنْ شَرِبا

٢٥ - وبَاكَرَتْ بَطْنَ مَرٍ مُزْنَةٌ فَكَسَتْ ... شِعَابَهُ الزَّهْرَ عُشْبًا يُشْبِعُ النُّجُبا

٢٦ - ولا جَفَا أَرْضَ عُسْفَانَ الرَّبِيعُ، وعنْ ... وَادِى خُلَيْصٍ غَزِيرُ الماءِ لا نَضَبا

٢٧ - وصَبَّحَتْ خَيْمَتَىْ وَادِى القُرَىٰ سُحُبٌ ... يَعْمُرْنَ بالخِصْبِ ما بالجَدْبِ قد خَرِبا

= المعين: الماء الجارى. باسقات: طوال.

(١٩) أرض نعمان: واد بين مكة والطائف [معجم البلدان ٥ / ٣٣٩]. الحيا: المطر.

(٢٠) منى: موضع النَّحر، سُمِّى بذلك لما يُمْنَى به من الدماء، أى يُراق، وعلى رأس منى عقبة تُرْمَى عليها الجمار يوم النحر، وتعد منى جزءا من مكة المكرمة [معجم البلدان ٥ / ٢٢٩]. الخيف: بداية وادى البطحاء بمكة المكرمة، ويسمى خيف منى لأنه جزء منها [معجم البلدان ٢ / ٤٧١]. اتَّشحا: لبسا وشاحًا.

(٢١) البطحاء: وادى مكة المكرمة [معجم البلدان ١ / ٥٢٨].
مرتجسٌ: مطر شديد الصوت. مجلجل: فيه صوت الرعد. الغدران: جمع غدير، وهو ما تجمّع من ماء المطر.

(٢٢) ربة الستر: الكعبة المشرفة. صبا (فى صدر البيت): ريح الصَّبَا الباردة. صبا (فى عجز البيت): حن واشتاق.

(٢٣) الصَّفَا: أحد جبلين بين بطحاء مكة والمسجد الحرام، وهما الصفا والمروة [معجم البلدان ٣ / ٤٦٧]. أَرَجٌ: رائحة طيبة.

(٢٤) زمزم: البئر المباركة المعروفة، سميت زمزم لكثرة مائها [معجم البلدان ٣ / ١٦٦]، وقال ﷺ: «ماء زمزم لما شرب له» [مسند أحمد ٣ / ٣٥٧ ، المستدرك ١ / ٤٧١].
صِرْفًا: خالصًا.

(٢٥) بطن مر: من نواحى مكة المكرمة. وفى الأصل: بطن مرو، وهو خطأ والتصويب من ياقوت [معجم البلدان ١ / ٥٣٣]. مزنة: سحابة. شعابه: وديانه. الزُّهر: المشرقة المباركة. النجب: الإبل النجيبة.

(٢٦) عُسفان: من منازل الطريق بين المدينة المنورة ومكة المكرمة [معجم البلدان ٤ / ١٣٧]. وادى خليص: حصن بين مكة والمدينة. نضب: نَفِدَ وذهب فى الأرض.

(٢٧) وادى القرى: فى الأصل «ذات القرى» والتصحيح من وفاء الوفا، معجم البلدان وهو وادٍ بين المدينة والشام كثير القرى [معجم البلدان ٥ / ٣٩٧].

٢٨ - وسَحَّ فى رَابغٍ صَوْبُ الغَمامِ إلىٰ ... بَدْرٍ فأصبَحَ واهِى النَّبْتِ مُنْتَصِبا

٢٩ - جادَ الحَيَا وَادِىَ الصَّفْراءِ وانْبَجَسَتْ ... عُيُونُهُ وكَسَا منْهُ الرَّبابَ رُبَا

٣٠ - ولا نَأَىٰ القَطْرُ عن وادِى العَقِيقِ ولا ... زالَ الرَّبِيعُ عَلَيْهِ مُشْفِقًا حَدِبا

٣١ - ولا عَدا سَفْحَ سَلْعٍ والحِمىٰ الحَرَمَ الـ ... ـشَّرِيفَ مِنْ طَيْبَةَ الحَسْنا وأَرْضِ قُبَا

٣٢ - جَوْدٌ إذا صَابَ أرضًا مَيْتَةً حَيِيَتْ ... واهتَزَّ هَامِدُها مِنْ وَقْتِهِ وربَا

٣٣ - وأَضْحَتِ النَّاجِيَاتُ القَوْدُ من مَرَحٍ ... لا تَسْأَمُ الوَخْدَ فى البَيْداءِ والخَبَبا

٣٤ - تَطْوِى الفَلاةَ فلا فُلَّتْ مَناسِمُها ... ولا اشْتَكَتْ مِنْ وَجًى أَخْفافُها النَّقَبا

٣٥ - كَلاَّ ولا عَدِمَتْ وِرْدًا ولا كَلاَّ ... وَلا رَأَتْ سَبَبًا تَلْقَىٰ بِهِ عَطَبا

---

(٢٨) سحَّ: انصبَّ بشدة وكثرة. رابغ: وادٍ يقطعه الحاج بين الجحفة وودَّان [معجم البلدان ٣/١٢]. بدر: البئر التى دارت عليها غزوة بدر المباركة وهى بين مكة والمدينة [معجم البلدان ١/٤٢٥ ، وفاء الوفا ٤/١١٤٥]. واهى النبت: النبات الضعيف الذابل.

(٢٩) جاد: سَقَى. الحيا: المطر. وادى الصفراء: وادٍ كثير النخل والزرع فى طريق الحجاج، وسلكه رسول الله ﷺ غير مرة، بالقرب من بدر [معجم البلدان ٣/٤٦٨]. انبجست: انفجرت. الرَّباب: موضع قريب من مكة المكرمة [معجم البلدان ٣/٢٥]. رُبا: جمع ربوة، وهى كل ما ارتفع من الأرض، يريد: وكسا المطرُ الرباب بالنبات الذى يشبه الرُّبا فى علوه ونمائه.

(٣٠) نأى: ابتعد. القطر: المطر. وادى العقيق: وادٍ كثير العيون والنخل بناحية المدينة، بين الحرة والبقيع. [معجم البلدان ٤/١٥٦]. حدبا: عطوفا مشفقا.

(٣١) سلع: جبل بقرب المدينة [معجم البلدان ٣/٢٦٨]. طيبة: اسم لمدينة الرسول ﷺ، مشتق من الطِّيب؛ لحسن رائحة تربتها، وقيل: مشتق من الطَّيِّب، لخلوصها من الشرك وتطهيرها منه [معجم البلدان ٤/٦٠]. الحَسْنا: مقصور من الحسناء؛ لضرورة الوزن. قُبا: قُباء، يقصر ويمد، وهى قرية على بعد ميلين من المدينة على يسار المتجه إلى مكة، وبها مسجد قباء الذى أسس على التقوى من أول يوم [معجم البلدان ٤/٣٤٢].

(٣٢) جودٌ: مطر، وهو فاعل (عَدَا) فى البيت السابق. صاب: سقى. هامدها: نباتها اليابس الذابل. ربا: نما واخضر.

(٣٣) الناجيات: النوق السريعة، كأنها تنجو بمن ركبها. القود: الخيل أو الإبل التى تقاد ولا تركب، وتكون مُودَعَةً مُعَدَّةً لوقت الحاجة إليها. مرح: نشاط. لا تسأم: لا تَمَلّ. الوخد والخبب: نوعان من سير الإبل فيهما سرعة ونشاط.

(٣٤) الفلاة: الصحراء. لا فُلَّت: لا كسرت. المناسم: أخفاف الإبل. الوَجَى: داء يصيب أخفاف الإبل، والنَّقَب: داء أشد من الوجى يصيب أخفاف الإبل فَتَرِقّ حتى تتخرق.

(٣٥) وردا: مَشْرَبًا. كلا: عشبا. سببا: فى الأصل (صَيِّبًا) وهو غير ملائم للسياق، والتصويب من النبهانية. عطبا: هلاكا.

٣٦ - حتَّىٰ تَحُلَّ بنا نَعمانَ والحَرمَ الـ ... أعْلَىٰ فَنقْضِى عَلىٰ عِلاَّتنا أَرَبا

٣٧ - وتسْتَقِلَّ بِنا والشَّوقُ يَقْدُمُها ... فلا نُحِسُّ عَلىٰ طولِ المَدىٰ نَصَبا ١/٨

٣٨ - إلىٰ حِمًى طاهِرٍ رَحْبِ الذُّرَا عَطِرٍ ... إذا أَتَتْهُ المَطَايَا تَحْمَدُ الدَّأَبا

٣٩ - خَيْرُ البَسِيطةِ أرضًا شَدَّ مُنْتَجِعٌ ... يَبْغِى النَّجاحَ إلىٰ أقْطارِها القُتُبا

٤٠ - حِمًى بِهِ العِزُّ والعَلْياءُ عاكِفةٌ ... ومَجْمَعُ البِرِّ والتَّقْوَىٰ لِمَنْ رَغِبا

٤١ - حِمًى سَمَا بِرَسُولِ اللهِ كلَّ حِمًى ... كَمَا سَمَا هُوَ عُجْمَ الأرضِ والعَرَبا

٤٢ - أزْكَىٰ القَبَائلِ إنْ عُدَّت مَناسِبُها ... أُمًّا وأكْرَمُهُمْ عِنْدَ الفَخَارِ أَبَا

٤٣ - أسخَىٰ البَرِيَّةِ كَفًّا وهْوَ أغْزَرُهُمْ ... نَدًى وأفْصَحُهُمْ لفْظًا إذا خَطَبا

٤٤ - وأجْمَلُ النَّاسِ فى خَلْقٍ وفى خُلُقٍ ... وَأَشْجَعُ النَّاسِ فى حَرْبٍ إذا رَكِبا

٤٥ - أتىٰ الوَرَىٰ وزَنادُ الشِّرْكِ قَدْ قَدَحَتْ ... يدُ الضَّلالِ بِهِ البُهْتانَ فالْتَهَبا

٤٦ - فجاءَهُمْ بِكتابٍ فِيهِ تَبْصِرةٌ ... للمُهْتَدِى صَدَّقَتْ آياتُهُ الكُتُبا

٤٧ - فقابَلَ الحَقُّ لمَّا جاءَ مُتَّضِحًا ... وَقَدَ الهَوَىٰ بِسَنَا أَنْوَارِهِ فَخَبَا

٤٨ - ولَمْ يَزَلْ فى هُدًى فى اللهِ يُعْمِلُ فى ... حِزْبِ الأعادِى القَنَا العَسَّالَ والقُضُبا

٤٩ - مُؤَيَّدُ الجَيشِ بالأمْلاكِ يَقْدُمُهُ ... لِلنَّصْرِ فى حَوْمَةِ الهَيْجاءِ رِيحُ صَبَا

---

(٣٦) على علاتنا: برغم ما واجهنا من الشدائد. أربًا: غرضًا.

(٣٧) تستقلّ: ترحل، وفى الأصل (وتستهل)، والتصويب من النبهانية. يَقْدُمها: يسبقها. نَصَبًا: تعبا.

(٣٨) المطايا: الرواحل، جمع مطية. الدَّأب: السير الطويل.

(٣٩) منتجع: طالب الكلأ والباحث عنه، يريد طالب خير، شدَّ القُتُب: شدَّ الرحال، أى سافر.

(٤٠) عاكفة: مقيمة.

(٤١) سما: شرُف وعلا.

(٤٣) النَّدَى: الكرم والجود.

(٤٥) البُهتان: الزُّور والباطل. يقول: جاء النبى ﷺ إلى الناس وقد طغى الباطل والضلال عليهم حتى كأنه نار ملتهبة.

(٤٧) وَقَد: نار. سنا: نور. خبا: انطفأ، أى انطفأت نيران الباطل بنور الحق الذى جاء به ﷺ.

(٤٨) يُعْمِل: يَضَع. القَنَا: الرماح، والعسَّال صفة لها، القُضُب: السهام والقسى.

(٤٩) مؤيد بالأملاك: بالملائكة. حومة الهيجاء: ساحة المعركة.

٥٠ - وكانَ ذُو العِزَّةِ الرَّحْمٰنُ يَقْذِفُ فى قَلْبِ العَدُوِّ عَلىٰ شَهْرٍ لَهُ الرُّعْبا

٥١ - فذَلَّلَ الشُّوسَ تذْليلاً وحَكَّمَ فى أعدائِه القاهرينَ القَتْلَ والسَّلْبا

٥٢ - فَدَمَّرَ الرِّجْسَ والأوثانَ والنِّحَلَ الـ ـحِرَابَ والبَغْىَ والأزْلامَ والنُّصُبا

٥٣ - وحَرَّمَ اللَّهوَ من زَمْرٍ ومِعْزَفَةٍ وخَمْرةٍ ونَهانَا عن زِنًا وَرِبَا

٥٤ - وعلَّمَ النَّاسَ أحْكامَ الصَّلاةِ وأحْـ ـكامَ الزَّكاةِ وَصَوْمًا فرضُهُ وَجَبا

٥٥ - وبَيَّنَ الحَجَّ فامْتازَتْ مناسِكُهُ بفِعْلِه لفَقيهِ أحْسَنَ الطَّلَبا

٥٦ - وَأَوْضَحَ السُّنَّةَ المُثْلَىٰ لِصَاحِبِها منًّا فكانَتْ إلىٰ مَنْجَاتِه سَبَبا

٥٧ - فَأَصْبَحَ الدِّينُ مَعْمُورَ الجَنَابِ بِهِ وَمَرْبَعُ الكُفْرِ أَضْحَىٰ مُقْفِرًا خَرِبا

٥٨ - فَفَازَ قَابِلُ ما وَافَىٰ به ونَجَا وخابَ عَبْدٌ أَتَاهُ أَمْرُهُ فَأَبَىٰ ٨/ب

٥٩ - حَازَتْ بِهِ قَصَبَاتِ السَّبْقِ أُمَّتُهُ وأحْرَزَتْ رُتْبَةً تَسْمُو بِها الرُّتَبا

٦٠ - هُمُ الأواخِرُ فى الخَلْقِ الأوائلُ فى الـ ـفَضْلِ الذى لَهُمُ الرَّحْمٰنُ قد وَهَبا

٦١ - لما تَبَيَّنَ مُوسىٰ وَصْفَهُمْ طَلَبَ الـ ـدُّخولَ فِيهِمْ عَلىٰ تَخْصِيصِهِ رَغَبا

---

(٥٠) سبق ذكر قوله ﷺ : « نصرت بالرعب مسيرة شهر » .

(٥١) الشُّوس : المتكبرون ، جمع أشْوَس . السَّلَب : ما يأخذه المنتصر من غنائم العدو .

(٥٢) الرِّجس : النجاسة وكل عمل قذر أو قبيح . الأوثان : الأصنام التى تعبد من دون الله . النِّحَل : الأديان ، جمع نِحْلَة . الحراب : ذات الحَرَب ، أى الخصومة والعداء . البغى : الظلم . الأزلام : سهام كان عرب الجاهلية يتخذونها يكتبون على بعضها « نعم » وعلى الآخر « لا » ، ثم يضربون بها فإذا خرج الأمر توجهوا إلى مقاصدهم ، وإذا خرج الناهى كَفُّوا ؛ فحرَّم الإسلام هذا . النُّصُب والأنصاب : حجارة كانت تُنْصَب حول الكعبة يذبحون عليها لغير الله تعالى ، وقد دمَّرها النبى ﷺ يوم فتح مكة وهو يتلو قول الله تعالى : ﴿ **وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** ﴾ الإسراء / ٨١ .

(٥٣) جاء تحريم اللهو من المزامير والمعازف فى قوله ﷺ : « أمرنى ربِّى - عز وجل - بمحق المعازف والمزامير والأوثان والصُّلُب وأمر الجاهلية » [مسند أحمد ، حديث رقم ٢١٢٧٥] .

(٥٧) معمور الجناب : عامرًا قويًّا .

(٥٨) وافَى به : جاء به .

(٥٩) حازت به قصبات السبق : تفوقت وسبقت غيرها من الأمم .

(٦٠) يريد أن أمة محمد ﷺ ، وإن تأخر زمانها ، فهم الأولون بما لَهُمْ من فضل عند الله عز وجل .

٦٢ - وخَيْرُهُمْ صَحْبُهُ الزُّهْرُ الكِرامُ ولَوْ ... عَبْداً لَهُ سَاعَةً فى دَهْرِهِ صَحِبا

٦٣ - وخَيْرُ أَصْحَابِهِ الصِّدِّيقُ مُنْفِقُ ما ... أفادَهُ فى رِضَا الرَّحْمٰنِ مُحْتَسِبا

٦٤ - وبَعْدَهُ عُمَرُ الفاروقُ ذو النَّظَرِ الـ ... ـمَحْمُودِ فَارِثُ أَكْبَادِ العِدَا رَهَبَا

٦٥ - والبَرُّ عُثْمانُ مَنْ بثَّ المصاحِفَ فى الـ ... أَمْصَارِ مِنْ خَطِّهِ يا نِعْمَ ما كَتَبا!

٦٦ - والهاشِمِىُّ عَلِىٌّ كاشِفُ الكُرَبِ الـ ... ـسَّدَّادُ عنهُ بِخِرْصَانٍ لهُ وَظُبَا

٦٧ - أَكْرِمْ بِأَرْبَعَةٍ ما حَلَّ حُبُّهُمُ ... قَلْبَ امْرِئٍ صادقٍ إلاَّ حَوَىٰ القُرَبا

٦٨ - والفضْلُ فى طَلْحَةَ التَّيْمِىِّ بَعْدَهُمُ ... وفى الزُّبَيْرِ وفى سَعْدٍ لِمَنْ طَلَبا

٦٩ - وفى سَعِيدِ بنِ زَيْدٍ ذِى الوَفَاءِ وفى ... سَلِيلِ عَوْفٍ وفى مَنْ صَدَّقَ اللَّقَبا

٧٠ - أَبِى عُبَيْدَةَ، ثمَّ الأفْضَلُونَ أُولُو ... بَدْرٍ وَمَنْ بَرَّ فى الرِّضْوانِ واحْتَسَبا

٧١ - والفَضْلُ فى كُلِّ أَصْحابِ النَّبِىِّ إلىٰ ... يَوْمِ القِيامِ مَدِيدٌ ليسَ مُقْتَضَبا

٧٢ - وفَضْلُ أُمَّتِهِ لا يَنْقَضِى أَبَداً ... حَتَّىٰ يُنَزِّلَ عِيسَىٰ يَكْسِرُ الصُّلُبا

٧٣ - فيها رِجالٌ بِهِمْ يَهْمِى الحَيَا فَلَقَدْ ... شَاهَدْتُ منهُمْ وَلِيًّا عارِفًا قُطُبا

---

(٦٢) أى: وخير أمة محمد ﷺ أصحابه، ولو كان عبداً صحبه ساعة من الزمان.

(٦٣) أفاده: اكتسبه. محتسبًا: طالبًا أجره من الله عز وجلّ.

(٦٤) ذو النظر المحمود: ذو الرأى السديد الصحيح. فارث أكباد العدا: ممزّقها غمًّا وغيظًا.

(٦٥) الأمصار: البلاد، جمع مِصْر.

(٦٦) السَّدَّاد: المدافع. الخِرْصان: الرماح. الظُّبَا: السيوف.

(٦٨) طلحة بن عبيد الله التيمى: أحد العشرة المبشرين بالجنة، وسيذكرهم، وهم بعد الأربعة الراشدين: طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد، وعبد الرحمن بن عوف (سليل عوف)، وأبو عبيدة عامر بن الجراح.

(٦٩) وفيمن صدق اللقبا: أى من صَدَق عليه تسميته، يريد أبا عبيدة عامر بن الجراح، ولقبه أمين الأمة، وقد صدق عليه هذا اللقب.

(٧٠) أولو بدر: الذين شهدوا غزوة بدر. من بَرَّ فى الرضوان: أصحاب بيعة الرضوان، الذين صدقوا ما عاهدوا عليه الله ورسوله ﷺ.

(٧١) يوم القيام: يوم القيامة، وصح تسميته يوم القيام؛ مصدراً من (قام)؛ لقوله تعالى: ﴿ **يوم يقوم الناس لربّ العالمين** ﴾ المطففين / ٦ . ليس مقتضبا: ليس منقطعا.

(٧٣) يهمى: ينزل بغزارة. قُطُبًا: القُطْب في اللغة: المدار والمحور، وفى اصطلاح الصوفية: الإنسان الكامل، وهو أعلى الأولياء مرتبة، وهو موضع نظر الله من العالم، ويسمى « الغَوْث » أيضا [انظر: اصطلاحات الصوفية للقاشانى، ص ١٤٥، معجم ألفاظ الصوفية للدكتور حسن الشرقاوى، ص ٢٣٥]. وحرّك الطاء بالضم لضرورة الوزن.

٧٤ - هُوَ ابْنُ إِدْرِيسَ تاجُ الأَوْلِيـــاءِ أبو ... مُحَمَّدٍ نُورُ مَنْ عَنْ رُشْدِهِ حُجِبا

٧٥ - وكانَ بالعارِفِ الهِيتِيِّ مُقْتَدِيًا ... مَنْ بالمكارِمِ منهُ طَرَّزَ الحُقُبَا

٧٦ - يا مُزْجِيَ النَّاقَةِ الوَجْناءِ يَدْأَبُها ... فى البيدِ كَيْ يُحْرِزَ العَلْياءَ والحَسَبا

٧٧ - عَرِّجْ عَلىٰ طَيْبَةَ الفَيْحاءِ خَيْرِ حِمًى ... حَوَىٰ الهُدَىٰ والتُّقَىٰ والعِلمَ والأَدَبا

٧٨ - فِيهَا المَلائِكُ أَفْواجٌ وتُرْبَتُها ... تَسْمُو بِمَنْ حلَّ فى أكنافِها التُّرُبا

٧٩ - فَأَدِّ عنِّى سَلامًا زاكِيًا أرِجًا ... لا لَغْوَ فيهِ ولا إِثْمًا ولا كَذِبا ١/٩

٨٠ - وقُلْ: عُبَيْدُكَ يَرْجُو مِنْكَ مَقْرُبَةً ... رجاءَ عَافٍ لوَعْدٍ ظلَّ مُرْتَقِبَا

٨١ - يا فاتِحَ الخَيْرِ فى الدُّنيا بِمَبْعَثِهِ ... وبالشَّفاعَةِ فى الأُخْرَىٰ إذا انْتُدِبا

٨٢ - لقد أتَتْ فى جُمَادَىٰ مِنْكَ عَاطِفَةٌ ... نَحْوِى فَأَلْحِقْ بها يا سيِّدِى رَجَبا

٨٣ - فَأَنْتَ تَعْلَمُ ما قَصْدِى ومَا أَرَبِى ... فَاسْأَلَ لِىَ اللهَ أنِّى أَبْلُغُ الأَرَبا

٨٤ - لا زَالَ رَوْحُ الرِّضَا القُدْسِيُّ مُنهَمِرًا ... عَلىٰ حِمَاكَ انْهِمارًا يُخْجِلُ السُّحُبا

*****

---

(٧٦) مُزْجِيَ: سائق. يَدْأَبها: يواصل السير بها. يُحرز: يحقِّق. الحَسَب: المجد.

(٧٧) عرِّج: توجه ومل. الفيحاء: الواسعة الكثيرة الخير.

(٧٨) أفواج: جماعات. أكنافها: نواحيها. يقول إن أرض طيبة (المدينة المنورة) تسمو على غيرها من البلاد بمن حلّ فيها، يعنى النبى الكريم ﷺ.

(٧٩) زاكيًا: متناميا.

(٨٠) عُبَيْد: تصغير(عَبْد). عاف: فقير. مرتقبًا: منتظرًا، وفى (أ): مقتربًا، والتصويب من النبهانية.

(٨٤) منهمرًا: نازلاً بغزارة ووفرة.

قافية التاء

التائية الأولى

(عدتها ٤٥ ـ الطويل الثانى)

تعبر هذه القصيدة عن عاطفة مشبوبة تجاه الديار المباركة وأهلها، وما قضاه الشاعر فيها من عيشٍ حسنٍ، فى ظل قباب سلع وقباء، وفى حمى النبى الكريم ﷺ، ممدوحه الوحيد، الذى حبب إليه هذه الأرض وساكنيها، وملجئه وملجئنا فى الشدائد والعسرات.

تتوزع الشاعرَ فى هذه القصيدة عواطف متعددة :

الشوق إلى البلاد الحبيبة والحمى الحبيب، والحزن على ما يتهدد أرض الخلافة من ترك وتتر، والحب الخالص لهذه الأمة المحمدية المحاصرة بكيد الأعداء، ولا يجد شاعرنا من يفزع إليه فى هذه المحنة إلا من صنع هذه الأمة وبنى قواعد مجدها وحضارتها، يستغيث به أن يكيد كلَّ باغ أراد أمة الإسلام بالشر، فما الخلافة الإسلامية ـ المحاصرة فى بغداد ـ إلا محلة تستظل بظل رسول الإسلام ﷺ، فى زمن كثر فيه الشرك وتكالب الطغاة على الإيمان والمؤمنين، ولكن أهل الإيمان لا بد هم الغالبون، بوعد النبى الأمين ﷺ لهم بالنصر والظفر.

وكأنّى بشاعرنا الصرصرى منذ ثمانية قرون كان يصف حال الأمة اليوم: تمزق وضعف أصاب أهلها، وتكالب الأعداء عليها وكيدهم لها، وها نحن نشهد حصار بغداد (دار السلام) كما حاصرها المغول منذ ثمانية قرون، ولا نملك إلا أن نتضرع إلى الله عز وجل، متوسلين بجاه النبى الكريم ﷺ، آملين أن يفرق الله شمل الباغين ويردهم عن دار السلام، وأن يمدنا بالهمة والقوة، ويخرجنا من الذل والهوان إلى العزة والكرامة.

تدور القصيدة حول الموضوعات الآتية :

- ذكريات الشاعر فى حمى الأرض المباركة.
- النبى ﷺ وسيلة إلى الله عز وجل وإلى كل خير.
- دعاء واستغاثة بالنبى الكريم ﷺ.
- فى الثناء عليه ﷺ.
- وعد النبى ﷺ لأمته بالنصر على الأعداء.
- حصار المغول لبغداد.
- لاتزال فى الأمة بقية قائمة على الحق.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - رَعىٰ اللهُ بالبَطْحَـــاءِ أيَّامَنا الَّتى ... بَدَتْ كَـوَمِـيضِ البَـرْقِ ثمَّ تَوَلَّتِ

٢ - وَحَـيَّـا قِـبَـابًا بَيْنَ سَلْعٍ إلىٰ قُـبَـا ... لِعِـزَّتِهـا يَحْلُو خُـضُـوعِى وذِلَّتِى

٣ - نَعِـمْتُ بِهـا لَكِنْ كـأَحْـلامِ نائِمٍ ... كَـأَنْ لَمْ تَزُرْها العِيسُ حتَّىٰ اسْتَقَلَّتِ

٤ - فَلا ما مَضَىٰ فِيهـا مِنَ العَيْشِ عائِدٌ ... ولا النَّفْسُ عَنْهـا بالبِـعَـادِ تَسَلَّتِ

٥ - فَـهلْ لِى إلىٰ تِلْكَ المَـعـالِمِ عَـوْدَةٌ ... ولو دُونَهـا بِيضُ الصَّـوارِمِ سُلَّتِ

٦ - فَـأَلثُمَ إجْـلالاً ثَراها وأَجْـتَلِى ... شُـمُـوسِىَ فى أرْجـائِهـا وأَهِلَّتِى

٧ - فَكَمْ لِبَنِى الآمَـالِ دُونَ طُلُولِهـا ... دِماءٌ بِسَيْفِ الشَّوقِ فى البِيدِ طُلَّتِ

٨ - سَقىٰ اللهُ ذاتَ الظِّلِّ مِنْ دارَةِ الحِمىٰ ... حَـيًـا نَهَلَتْ مِنهُ رُباهُ وعَلَّتِ

٩ - وسَحَّتْ عَلىٰ أعْلامِ سَلْعٍ سَحابَةٌ ... مِنَ الجَوِّ بالنَّوْرِ الرَّواءِ اسْتَهَلَّتِ

١٠ - فَتِلْكَ لَعَمْرُ اللهِ دارُ أحِبَّتِى ... وسُكَّانُها نَحْوَ الرَّشادِ أدلَّتِى

١١ - ألا لَيْتَ شِعْرِى هل أزُورُ قِبَابَها ... فَتَحْمَدَ فِيها العِيسُ شَدِّى ورِحْلَتِى

١٢ - وأُنْشِدُ فى أكنافِها مُتَعَرِّضًا ... لِمَنْ نَظْمُ مَدْحِى فِيهِ تاجِى وحُلَّتِى

١٣ - ألا يا رسُولَ اللهِ، أنْتَ وَسِيلَتِى ... إلىٰ اللهِ إنْ ضاقَتْ بِما رُمْتُ حِيلَتِى

---

(١) فى البيت تقديم وتأخير، والتقدير: رعى الله أيامنا التى مضت بالبطحاء، وكانت كوميض (أى لمعان) البرق ثم تولّت.

(٢) قبابا: جمع قُبَّة، وهى البناء المستدير، ويعنى بها قبور الصحابة، والمساجد بين سلع وقباء.

(٣) العيس: الإبل. استقلّت: رَحَلَت. يصف سرعة مرور الأوقات الطيبة فشبهها بالزيارة الخاطفة، كأن الزائر لا يلبث أن يرحل.

(٤) تَسَلَّت: وجدت السلوى، أى العزاء والصبر.

(٥) بيض الصوارم: السيوف اللامعة القاطعة.
سُلَّت: أخرجت من أغمادها.

(٦) ألثم: أقبّل. ثراها: ترابها. أجتلى: أنظر.

(٧) طُلَّت: أهدرت ولم يُثْأر لها.

(٩) سَحَّتْ: نزلت بغزارة. النَّوْر: الزهر.
الرَّواء: المرتوى المزدهر. استهلَّتْ: أمطرت بشدة.

(١٠) لعَمْرُ الله: قسم بالله عز وجل.

(١١) ليت شعرى: أسلوب تعجب، معناه ليتنى أعلَمُ كذا. شَدِّى: سفرى.

(١٣) رُمْتُ: أردت.

١٤ - وأنْتَ إذا ما حِرْتُ نُورِى وحُجَّتِى ... وأنْتَ إلىٰ التَّقْوَىٰ إمامِى وقِبْلَتِى

١٥ - وأنْتَ نَبِيِّى، باتِّباعِكَ أهْتَدِى ... ومِلَّتُكَ الزَّهْراءُ دِينِى ومِلَّتِى ٩/ب

١٦ - وأنْتَ نَصِيرِى فى خُطوبٍ تتابَعَتْ ... عَلَىَّ، وذُخْرِى عِنْدَ فَقْرِى وشِدَّتِى

١٧ - وأنْتَ الذى أرْجُوهُ يَوْمَ نُشُورِنا ... يُرَوِّى الصَّدَىٰ منِّى ويَنْقَعُ غُلَّتِى

١٨ - فَلا تُخْلِنِى مِنْ حُسْنِ عَطْفِكَ واسْأَلِ الـ ... ـمُهَيْمِنَ رَبَّ العَرْشِ فى سَدِّ خَلَّتِى

١٩ - وكُنْ لِىَ فى ذَا اليَوْمِ ثُمَّتَ فى غَدٍ ... شَفِيعًا إلىٰ الرَّحمٰنِ فى مَحْوِ زَلَّتِى

٢٠ - وأنْ يُسْكِنَ الإخلاصَ قَلْبِى بِذِكْرِهِ ... ويَهْدِيَنى عِنْدَ انحرافِى وضَلَّتِى

٢١ - ويُلْهِمَنى فى العُسْرِ واليُسْرِ شُكْرَهُ ... عَلىٰ حالِ إثرائِى وفى وَقْتِ قِلَّتِى

٢٢- لَئِنْ نَوَّرَ الرَّحْمٰنُ قَلْبِى بِفَضْلِهِ ... غَنِيتُ بِذَاكَ النُّورِ عن نُورِ مُقْلَتِى

٢٣ - فَقُرْبِى وعِزِّى فى حُضُورِى ويَقْظَتِى ... وبُعْدِى وذُلِّى مِنْ سُهُوِّى وغَفْلَتِى

٢٤ - وإقْبالُهُ فيهِ شِفَائِى وراحَتِى ... وإعْراضُهُ فِيهِ سَقَامِى وعِلَّتِى

٢٥ - أيا ابْنَ الكِرامِ الغُرِّ مِنْ آلِ هاشِمٍ ... بِمَبْعَثِكَ الغَمَّاءُ عنَّا تجَلَّتِ

٢٦ - وأوْضَحْتَ إذْ أُرسِلْتَ بالحَقِّ لِلوَرَىٰ ... مَعَالِمَ دَقَّتْ فى الفُهُومِ وجَلَّتِ

٢٧ - جَلَتْ ذِكْرَكَ التَّوْراةُ فى عُلَمائِها ... وَسَمَّتْكَ فى العَصْرِ القَدِيمِ وحَلَّتِ

٢٨ - وشَرَّفْتِ البَطْحاءَ أنْوَارُكَ التى ... بِعِقْدِ مَعانِيها لِطَيْبَةَ حَلَّتِ

---

(١٤) حِرْت: تحيَّرت.

(١٦) خُطوب: مصائب، جمع خَطْب.

(١٧) يوم النشور: يوم البعث. يروِّى: مبالغة من «يَرْوِى». الصدى: العطش. ينقع: يَرْوِى. الغُلَّة: شدة العطش وحرارته.

(١٨) لا تُخْلِنى: لا تَحْرِمْنى. خَلَّتى: فقرى وحاجتى.

(١٩) ثُمَّتَ: ثُمَّ. زَلَّتى: خطأى.

(٢٠) ضَلَّتِى: ضلالى.

(٢٣) السُّهُوّ: مصدر (سها يسهو) سَهْوًا وسُهُوًّا.

(٢٤) السَّقام والعِلَّة: المرض.

(٢٥) الغَمَّاء: الغَمّ والكرب.

(٢٦) أى أوضحت للناس كل ما دقَّ (أى خَفِى وصغُر) وجلَّ (أى ظهر وكبُر).

(٢٧) جَلَتْ: أوضحت. حَلَّت: من الحلْية، أى وصفت وبينت علاماته ﷺ.

(٢٨) حَلَّت: زيَّنت، من الحِلْية وهى الزِّينة.

٢٩ ـ وما الفَخْرُ إلاَّ حَيْثُ كُنْتَ، فأيْنَما ... حَلَلْتَ ففيه دارَةُ المجدِ حَلَّتِ

٣٠ ـ بُعِثْتَ وعَقْدُ الكُفْرِ حَزْمٌ فأوْهَنَتْ ... قُوىٰ يَدِكَ الطُّولَىٰ قُواهُ وحَلَّتِ

٣١ ـ وجِئْتَ ـ وطَعْمُ العَيْشِ مُرٌّ ـ بِشِرْعَةٍ ... أطابَتْ بتَقْواها المَذاقَ وحَلَّتِ

٣٢ ـ وأُيِّدْتَ بالأمْلاكِ والرُّعْبِ والصَّبَا ... وفي دِينِكَ الحَقِّ الغَنائمُ حَلَّتِ

٣٣ ـ وكانَتْ جُنودُ الشِّرْكِ ذاتَ عَزازَةٍ ... فلمَّا رأَتْ أعلامَ نَصْرِكَ ذَلَّتِ

٣٤ ـ وأيْدِي ذَوِي العُدوانِ كانتْ مَديدةً ... فَلَمَّا رَمَاها سَهْمُ عَزْمِكَ شَلَّتِ

٣٥ ـ وكَمْ قَمَعَتْ بالنَّصْرِ والقَهْرِ في الوَغىٰ ... رِجالُكَ خَيْلَ المُشْرِكينَ وفَلَّتِ

٣٦ ـ بِعِزِّكَ أوْهَتْ كَيْدَ كلِّ مُعانِدٍ ... وشادَتْ مَنارَ المكرُماتِ وأعْلَتِ ١٠/أ

٣٧ ـ بِوَعْدِكَ نَرْجو النَّصْرَ يا سَيِّدَ الوَرَىٰ ... عَلىٰ عُصْبَةٍ عن خُطَّةِ الرُّشْدِ ضَلَّتِ

٣٨ ـ أتَتْ تَبْتَغي دارَ السَّلامِ بِكَيْدِها ... فلمَّا رأَتْ أجْنادَكَ الغُرَّ وَلَّتِ

٣٩ ـ وها هِيَ في التَّهْديدِ ما فَتَرَتْ ولا ... ضَمائرُها عَمَّا وعَدْتَ تَخَلَّتِ

٤٠ ـ وما بَيْضَةُ الإسلامِ إلا مَحَلَّةُ الـ ... إمامِ التي بالعِزِّ مِنْكَ اسْتَظَلَّتِ

---

(٢٩) حَلَّت: أقامت واستقرتْ.

(٣٠) حَزْمٌ: شديد. أوهنت: أضعفت. الطُّولى: تفضيل من الطُّول، واليد الطُّولى كناية عن القوة والقدرة. حَلَّت: فكَّتْ وأضعفت.

(٣١) حَلَّت: من الحلاوة.

(٣٢) حَلَّت: صارت حلالاً مباحة. يلاحظ تكرار كلمة (حلت) في القافية ست مرات. ولا يُعَدُّ هذا عيباً من عيوب القافية؛ لأنها تكررت بمعان مختلفة، أما عيب الإيطاء فهو تكرار كلمة القافية بمعنى واحد، فإذا اتفق اللفظ واختلف المعنى فليس بإيطاء، بل إن هذا دليل اقتدار من الشاعر.

(٣٣) عزازة: عزّة وقوة.

(٣٤) شَلَّت: يقال: شَلَّتْ يَدُهُ إذا أصابها الشَّلَل، ولا يقال: شُلَّتْ.

(٣٥) قمعت: قهرت وأذلَّتْ. الوغى: الحرب. فَلَّت: هزمت.

(٣٦) أوهت: أضعفت. شادت: بَنَتْ.

(٣٨) دار السلام: بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية آنذاك. أجنادك: جنودك.

(٤٠) بيضة الإسلام: أصله ومستقره وموضع سلطانه وقوته. مَحَلَّةُ الإمام: دار الخلافة، فالإمام هنا يعني: خليفة المسلمين. يقول: إن مجد الإسلام ومكمن قوته وعزته في دار الخلافة ـ وهي بغداد ـ التي استظلت بعزّك؛ لأن خليفة المسلمين هو خليفة النبي ﷺ.

٤١ - فَكِدْ كُلَّ باغٍ كادَهَا فَهْيَ مَلجَأٌ ... لعُصْبَةِ إسلامٍ معَ الشِّرْكِ قَلَّتِ

٤٢ - عَلَىٰ أنَّ منها لا تَزالُ بَقِيَّةٌ ... علَىٰ الحقِّ عَنْ دينِ الهُدَىٰ ما اسْتُزِلَّتِ

٤٣ - تُقَابِلُ دَجَّالَ الضَّلالةِ بالقَنَا ... وكلِّ حُسَامٍ ذي غِرارَيْنِ مُصْلَتِ

٤٤ - أجِرْنِي وأَجْزِلْ لِي جَزاءَ قَصيدةٍ ... بوصْفِكَ يا خَيْرَ البَرايا تَحَلَّتِ

٤٥ - جَزاءَ امْتِنانٍ لا وجُوبٍ لأنَّها ... إذا لَمْ تَفُهْ بالمَدْحِ فِيكَ أَخَلَّتِ

*****

---

(٤٢) استُزِلَّت: دُفِعَتْ إلى الزَّلَل، وهو الخطأ والذنب.

(٤٣) دجال الضلالة: الذى ينشر الضلال فى الناس ويدعوهم إليه. القنا: الرماح. حسام: سيف. ذى غرارين: ذى حدَّين. مُصْلَت: مجرَّد من غمده. يشير فى هذا البيت وسابقه إلى قوله ﷺ: «لا تزال عصابة من أمتى يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم، لا يضرُّهم من خالفهم، حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك» [صحيح مسلم، كتاب الإمارة، رقم ٣٥٤٩، ٣٥٥٠، مسند أحمد ١٩٩٧٦، ٢٠٠٢٨، ٢٠٠٧٩، ٢٠١٠٦].

(٤٥) امتنان: عطاء وتفضل. تَفُه: تنطق. أخلَّت: قَصَّرت.

التائية الثانية

(عدتها ٤٤ ـ الكامل الأول)

فى هذه القصيدة ينحو الشاعر منحى بديعيًّا يذكِّرنا ـ مرة أخرى ـ بأبى العلاء المعرى، فلا يكاد بيت من أبياتها يخلو من التلاعب بالألفاظ تجنيسًا وطباقًا.

لكن هذا التلاعب اللفظى بالكلمات لم يصل إلى حد إفساد القصيدة أو الطغيان على المعنى، فالجناس يأتى حليةً لفظية تزيد من قوة الأثر الصوتى للقصيدة، ولا يطغى بحيث يفقد المتلقى الإحساس بوحدة الدلالة والشعور فى القصيدة، انظر إلى قوله :

أألام فى شغفى بمن شرفى بها ... جَبَرَتْ بعطفٍ أم لَحيْفٍ أجبرتْ ؟

أو بى جُنَاحٌ إن سمحتُ بعبرةٍ ... عما تضمنت الجوانحُ عبَّرَتْ ؟

فالجناس يتزاحم فى البيتين على النحو التالى :

شغفى ـــــ شرفى.

جبرت ـــــ أجبرت.

جُناح ـــــ الجوانح.

عبرة ـــــ عبَّرتْ.

ولكن ـ كما نرى ـ كان للألفاظ المتجانسة أثر صوتى هائل، مع عدم إغفال المعنى وتجسيد العاطفة المسيطرة على الشاعر.

وانظر إلى المطابقات البديعة فى قوله مخاطبًا النبى ﷺ :

يا مَنْ ظِلالُ المَكْرُمات به نَمَتْ ... وَصَفَتْ مَشارِبُ بالضَّلالِ تَكدَّرَتْ ١١/٢

وبنُورِ بَهْجَتِهِ انجَلَىٰ غَسَقُ الدُّجَىٰ ... وبهِ السَّحائِبُ فى الجَدائِبِ أَمْطَرَتْ

والألفاظ المتضادة فى البيتين :

صفت ـــــ تكدرت.

نـــور ـــــ دجى.

سحائب ـــــــ جدائب.

والشاعر هنا يقارن بين حال البشرية قبل بعث النبى ﷺ وبعد بعثه، فقبله كانت مشارب الضلال كدرة، فصارت ـ بمبعثه ﷺ ـ منابع صافية، وقبله كانت الأرض مظلمة فأصبحت بعده نوراً، وكانت مجدبة فصارت ممطرة عامرة بالخير.

وهكذا كانت المحسنات البديعية، من جناسٍ وطباق وغيرهما، عناصر جمالية مؤثرة صوتيًّا ودلاليًّا أيضاً.

أهم محاور القصيدة :

- شوق إلى أرض الحجاز.
- ذكريات فى حمى الحرم الشريف.
- الرحلة إلى النبى ﷺ.
- وقفة على أعتاب النبى ﷺ.
- بعض خصائصه ومعجزاته ﷺ.
- توسل إلى النبى ﷺ أن يمنحه الشفاعة.
- دعاء وصلاة على النبى ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - مَـا بَالُ أَنْفَـاسِ النَّسِـيمِ إذا سَـرَتْ ... سَحَـرًا عَلىٰ مَيْتِ الصَّبابَةِ أَنْشَرَتْ

٢ - مـا ذَاكَ إلاَّ أنَّهـا مَـرَّتْ عَلىٰ ... رَنْدِ الحِجـازِ وبَانِهِ فَـتَـعطَّرَتْ

٣ - حَـمَلَتْ إلىٰ المُشْتَـاقِ منهُ رِسالةً ... عَنْ عَرْفِ مَنْ يَهْوَىٰ بِصِدْقٍ أَخْبَرَتْ

٤ - نَفَتِ الأَسَىٰ عنهُ فَيَـا لَكِ نَفْحَـةً ... دارَتْ ثَقِيلَ الخَطْبِ عَنْهُ وما دَرَتْ

٥ - واهًا لأيَّامٍ يَفُـوقُ نَهـارَهـا ... لَيْـلاتُهـا اللاَّتى بِحُبِّىَ أَقْمَـرَتْ

٦ - قَـضَّيْتُـهـا بِحِمىٰ تِهَـامَةَ آمِنًا ... تُهَمَ العَـواذِلَ عَـارِفًـا مـا أَنْكَرَتْ

٧ - وَلَّتْ عَلىٰ عَـجَلٍ فَكَمْ قَلْبٍ سَـهَـا ... لِوَداعِ جِيـرَتِهـا وكَمْ عَـيْنٍ جَـرَتْ

٨ - لَـوْ أَنَّـهـا رُدَّتْ عَلَـىَّ لأَبْـرَأَتْ ... جَـسَـدًا بِأَسْـقَـامِ الغَـرامِ لَهُ بَرَتْ

٩ - أَأُلامُ فى شَـغَـفِى بِمَنْ شَـرَفِى بِهـا ... جَـبَـرَتْ بِعَطفٍ أَمْ لِحَـيْفٍ أَجْـبَـرَتْ

١٠ - أَوْ بِى جُنَاحٌ إن سَـمَـحْتُ بِعَـبْـرةٍ ... عَـمَّـا تَضَـمَّنَتِ الجـوانِحُ عَـبَّـرَتْ

١١ - وإذا القُلوبُ أَتَتْ بِصِـدْقٍ لَمْ تُبَلْ ... بِمَقالِ واشٍ أَظْهَـرَتْ أو أَضْمَـرَتْ. ١٠/ب

١٢ - يا سَـائِقَ البَكَرَاتِ مـا حَنَّتْ إلىٰ ... تَحْـصِـيلِ بِكْرِ المَـجْـدِ إلا بَكَّرَتْ

١٣ - تَعْـتَـاضُ فى طَلَبِ العُـلا مِنْ رَبِّهـا ... بِمَـهَـامِـهَ اغْـبَـرَّتْ وبِيـدٍ أَقْـفَـرَتْ

١٤ - تَتَـجَـشَّمُ الأَهْوالَ، لولا حُبُّ مَنْ ... جَـعَلَتْـهُ غـايةَ قَـصْـدِها لَتَـحَـيَّـرَتْ

---

(١) سَحَرًا: فى وقت السَّحَر، وهو آخر الليل. مَيْت الصبابة: ما ضَعُفَ من الشوق والحنين، فكأنه مات. أنشرت: بعثته من موته.

(٢) الرَنْد: الآس، وهو شجر طيب الرائحة. البان: شجر أملس مستوى الساق.

(٣) عَرْف: رائحة.

(٤) نَفَتِ: أذهبت. نفحة: هَبَّة ريح. دَارَتْ: أخفت. وما دَرَتْ: وما علمت.

(٥) واها: كلمة تحسُّر وتفجُّع.

(٨) أبرأت: شَفَتْ. أسقام: آلام وأمراض. بَرَتْ: أهزلت وأضعفت، كما يُبْرَى القلم.

(٩) جبرت: تعطَّفت وأشفقت. حيف: ظلم. أجبرت: قهرت.

(١٠) جناح: ذنب. عَبرة: دمعة. الجوانح: القلب.

(١١) لم تُبَلْ: لم تهتم.

(١٢) البَكَرات: الإبل الفتيَّة، جمع بَكْرة. بِكر: أول مولود، يريد: المجد الذى لا يعادله مجد. بكَّرت: أسرعت.

(١٣) تعتاض: تطلب العوض. مهامه: صحارٍ مقفرة. اغبرَّت: كثر فيها الغبار.

(١٤) تتجشم: تتحمَّل المشاقَّ.

١٥ - تَهْوِى إلىٰ الحَرَمِ الشَّريفِ رِقابُها ... عِندَ الصَّباحِ هُوِىَّ رُبْدٍ نُفَّرَتْ

١٦ - إمَّا حَلَلْتَ بِذلكَ المَغْنَىٰ الَّذى ... فيهِ عُيونُ المَكْرُماتِ تَفَجَّرَتْ

١٧ - فَقُلِ: السَّلامُ عَلَيْكَ يا حَرَمَ الهُدَىٰ ... من مُهْجَةٍ بِكَ أفْلَحَتْ وتَبَصَّرَتْ

١٨ - يا مَنْزِلاً عَكَفَتْ بِهِ غُرَرُ العُلا ... وبِقُدْسِ ساكِنِهِ القُلوبُ تَطَهَّرَتْ

١٩ - هَلْ لِى بِحَضْرَتِكَ العَزيزةِ وَقْفَةٌ ... تُحْيِى الذى بالبُعْدِ مِنِّى أقْبَرَتْ

٢٠ - أحْرَزْتَ غايَةَ كُلِّ مَجْدٍ كامِلٍ ... وزَكَتْ أُصولُ الفَضْلِ فيكَ وأثْمَرَتْ

٢١ - بِمُكَرَّمٍ شَهِدَ المَلائكُ فَضْلَهُ ... هذا وطِينَةُ آدَمٍ ما صُوِّرَتْ

٢٢ - وتُكَوَّرُ الشَّمسُ المُنيرَةُ جَهْرَةً ... وشُموسُ شِرْعَةِ دينِهِ ما كُوِّرَتْ

٢٣ - وَهُوَ الذى يَنْشَقُّ عَنهُ قَبْرُهُ ... وقُبورُ سُكَّانِ الثَّرَىٰ ما بُعْثِرَتْ

٢٤ - وهُوَ المُشَفَّعُ يَومَ يُحْتَبَسُ الوَرَىٰ ... وإذا الجَحيمُ عَلَىٰ بَنِيها سُعِّرَتْ

٢٥ - هُوَ أحْمَدُ الآتى بِخَيْرِ شَريعَةٍ ... بَيْضاءَ عَنْ وَجْهِ الهِدايَةِ أسْفَرَتْ

٢٦ - عَبْدٌ تَخَيَّرَهُ المُهَيْمِنُ مُرْسَلاً ... بَشَّرَاً بِطَلْعَتِهِ السَّماءُ استَبْشَرَتْ

٢٧ - تَاللهِ لَوْ أنَّ الوُجُوهَ بأسْرِها ... نَظَرَتْ بِإيمانٍ إلَيْهِ لَنُضِّرَتْ

---

(١٥) رُبْد: صفة لموصوف محذوف، والتقدير: هوىً نعامٍ رُبْد، أى غبراء اللون. يقول: هذه الإبل تنطلق إلى الحرم الشريف مسرعة كما تنطلق النعام إذا أزعجت وأفزعت، فهى تعدو بأقصى سرعة.

(١٦) إمَّا: أداة شرط تتكون من: إنْ + ما. و(ما) زائدة. يقول: إن حللتَ بذلك المكان الطيب الذى كثرت فيه المكارم...

(١٧) مهجة: قلب.

(١٨) عكفت: أقامت.

(١٩) أقبرت: أماتت.

(٢١) يشير فى هذا البيت إلى قوله ﷺ: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين» [الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة، للسيوطى، ١٢٦ ، سنن أبى داود حديث رقم ١٢٦].

(٢٢) جهرة: علانية، يشير إلى إحدى علامات الساعة الكبرى، وقد وردت فى قوله تعالى: ﴿ إذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ التكوير / ١ . يقول إن الإسلام باقٍ إلى يوم القيامة.

(٢٣) قال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفَّع» [مسلم بشرح النووى، كتاب الفضائل ١٥ / ٣٧].

(٢٥) بيضاء: مشرقة طاهرة منيرة. أسفرت: كشفت.

(٢٧) تالله: التاء حرف قسم كالباء. نُضِّرت: صارت نَضِرة ناعمة مشرقة.

٢٨ - لٰـكِنَّهُ من ذى المَـعـارِجِ رَحـمـةٌ عُظْمَىٰ لأمَّـتِـهِ الكِرامِ تَيَـسَّـرَتْ

٢٩ - رَأَتِ اليَـهـودُ صِـفـاتِهِ ثمَّ امْـتَـرَوْا فـيـهِ وأمَّـتُـهُ رأَتْهُ فـمـا امْـتَـرَتْ

٣٠ - عَـيْـنٌ رَأَتْهُ ومـا اهْتَـدَتْ لِرَشَـادِها بِضِـيـاءِ غُـرَّةِ وَجْـهِـهِ، لا أَبْصَـرَتْ!

٣١ - ومَـحـاجِـرٌ كُـحِلَتْ بِنُورِ وِدَادِهِ قَـرَّتْ بِنُورِ مُـرادِها وتَظَفَّـرَتْ

٣٢ - يا مَنْ ظِلالُ المَكْرُمـاتِ بِهِ نَمَتْ وَصَفَتْ مَشارِبُ بالضَّلالِ تَكَدَّرَتْ ١١/أ

٣٣ - وبِنُورِ بَهْـجَـتِـهِ انجَلَىٰ غَسَقُ الدُّجَىٰ وبِهِ السَّحائِبُ فى الجَدائِبِ أَمْطَرَتْ

٣٤ - والمـاءُ أَصْـبَحَ من أصـابِعِ كَـفِّـهِ يَهْمِى فـأَوْرَدَتِ الظِّمَـاءُ وأَصْـدَرَتْ

٣٥ - ولَهُ لِواءُ الحَـمْـدِ والحَـوْضُ الرَّوِىُّ ولَهُ المَـقَـامُ ومُـعْـجِـزاتٌ أُغْـزِرَتْ

٣٦ - عَطْفًـا عَلَىٰ نَفْسٍ إِلَىٰ خَـلاَّقِـهـا بِكَ فى الخُطوبِ تَوَجَّهَتْ واسْتَنْصَرَتْ

٣٧ - لَيْـسَـتْ تَشُكُّ بِأَنَّ مَـدْحَكَ قُـرْبَةٌ بِسَنَاهُ أوزانُ القَـريضِ تَنَوَّرَتْ

---

(٢٨) ذى المعارج: الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ المعارج / ٣ .والمعارج: مواضع صعود الملائكة، وهى السماوات [انظر تفسير الجلالين للآية، ص ٧٥٨].

(٢٩) امتروا: شكُّوا.

(٣١) محاجر: عيون. قَرَّت: اطمأنت وفرحت. تظفَّرت: فازت وأفلحت.

(٣٢) صَفَتْ: من الصفاء. يقول: يا من كثرت به المكارم، وأصبحت منابع الإيمان صافية بعد أن كدَّرها الضلال.

(٣٣) غسق الدجى: شدة الظلام. الجدائب: أوقات الجدب والجفاف.

(٣٤) يهمى: ينزل بغزارة. أوردت: جاءت إلى مورد الماء. أصدرت: شربت ثم رجعت. الظماء: العطاش، وسبق ذكر حديث نبع الماء من أصابعه ﷺ فى البيت رقم (٤٧) من البائية الأولى.

(٣٥) لواء الحمد: راية يحملها النبى ﷺ يوم القيامة، قال ﷺ: « أنا أول الناس خروجًا إذا بُعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدى » [سنن الترمذى، كتاب المناقب، حديث رقم ٣٥٤٣، ٣٥٤٨]. المقام (يعنى المقام المحمود) وهو مقام الشفاعة العظمى الذى جاء فى قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ الإسراء / ٧٩ . وقد عقد الإمام البخارى فى كتاب التفسير من صحيحه بابا لتفسير هذه الآية الكريمة، وأورد فيه قوله ﷺ: « إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثًا (أى جالسين على ركبهم)، كل أمة تتْبَع نبيَّها، يقولون: يا فلانُ اشفع، حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود » [الفتح ٨/ ٢٥١ ، ٢٥٢ حديث رقم ٤٧١٨] قال ابن حجر العسقلانى: المراد بالمقام المحمود: أخذه بحلقة باب الجنة، وقيل: إعطاؤه لواء الحمد، وقيل جلوسه على العرش، وقيل: شفاعته.

(٣٧) سناه: نوره. القريض: الشعر.

٣٨ - ولقـــدْ دَرَتْ وتَيَـــقَّنَتْ أنْ لوْ بَغَتْ ... حَصْرًا لِبَعْضِ الفَضْلِ فيكَ لَقَصَّرَتْ

٣٩ - لكِنَّهـــا لِعَظيمِ جـــاهِكَ تَرْتَجِي ... فى حـــالَتَـــيْـــهـــا أقْـــبَلَتْ أو أدْبَرَتْ

٤٠ - فَكُنِ الشَّـــفِـــيعَ لهـــا لتُنْجِـــيَـــهـــا إذا ... عَلِمَتْ غَداةَ مَعـادِهَا مـا أحْـضَـرَتْ

٤١ - فَـلأنْتَ منْ أقْـسـامِـهـا العُظْمَىٰ إذا ... مـــا نَابَهـــا قَـــتَـــرٌ وإمَّـــا أقْـــتَـــرَتْ

٤٢ - فـجُـزِيتَ أفـضَلَ مـا يُجـازَى مُـرْسَلٌ ... عَنْ أُمَّـــةٍ رَشَـــدَتْ بِهِ وتَبَـــرَّرَتْ

٤٣ - حَـــيَّتْ جَنابَكَ نَفْـحَـةٌ قُـدُسِـيَّـةٌ ... فـى كُـلِّ يـومٍ أيْـنَ حَـلَّـتْ عَـطَّـرَتْ

٤٤ - ونَمَتْ بِهِ مِنْ ذِى العُـــلاَ بَرَكَـــاتُهُ ... وزَكَـــتْ بِـهِ صَـلَـواتُـهُ وتَـكَـرَّرَتْ

*****

---

(٣٨) بَغَتْ: أرادت.

(٤٠) غداة معادها: يوم بعثها. ما أحضرت: ما عملت، يشير إلى قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ التكوير / ١٤.

(٤١) أقسامها: حظوظها. نابَها: أصابها. قَتَر: غُبْرة يعلوها سوادٌ كالدخان، تعلو وجوهَ الكفرة الفجرة يوم القيامة. وإمَّا: وإنْ، «ما» زائدة. أقترت: أصابها الإقتار، وهو الفقر وضيق العيش.

(٤٢) تبرَّرت: أصبحت من الأبرار، أى الأخيار.

قافية الثاء

نظم الشاعر قصيدتين طويلتين نسبيًّا على هذا الروى الصعب، بلغت أولاهما (٨٠) ثمانين بيتًا، والثانية (٣٥) خمسة وثلاثين بيتًا . وكان شاعرنا الصرصرى يريد أن يتفوق على أبى العلاء الذى نظم لزومياته على جميع حروف المعجم، لكنه لم يزد على مقطوعات قصار فى القوافى التى يسميها (الحُوش) أى التى تحتوى على ألفاظ حوشية صعبة لكونها تنتهى بأحرف كالثاء والضاد والظاء والذال [انظر : مقدمة أبى العلاء للزومياته، وراجع قوافى الثاء والذال والظاء والغين من اللزوميات].

بيد أن صنيع الصرصرى هذا أساء إلى القصائد التى نظمها على مثل هذا الروى الصعب، وذلك لاضطراره إلى اللجوء إلى الألفاظ الغريبة التى تبدو كالطلاسم والأحاجى، وتحتاج إلى مراجعة المعجم فى نهاية كل بيت!

الثائية الأولى

(عدتها ٨٠ ـ الطويل الثانى)

والشاعر فى هذه القصيدة يتبع خطا الشعر القديم إلى حد المطابقة معه، فالقصيدة تبدأ بالوقوف على الطلل، وذكر الديار التى عفاها البلى والقدم منذ رحل عنها أهلها، ثم بالغزل ، ولأول مرة نجد شاعرنا يذكر امرأة تدعى « أم مالك »، ثم يتخلص إلى ذكر عهود الصبا وما كان فيها من عيش مع رفاق شجعان لا تفارقهم سيوفهم، ثم يتخذ واحداً من هؤلاء الرفاق وسيلة للتخلص إلى مدح النبى ﷺ، فينصحه باللجوء إلى حماه من النائبات والكوارث.

تتناول القصيدة المحاور الآتية :

- وقفة على الأطلال البالية .
- ذكر أم مالك ودعاء لأطلالها بالسقيا.

- حنين إلى عهود الصبا والشباب.
- فى مديح النبى ﷺ وذكر بعض مغازيه وشجاعته فى الحروب وتأييد الله - عز وجلَّ - له.
- حصار الترك لبغداد وارتدادهم عنها.
- رجاء بالنصر فى الكرَّة القادمة.
- عود إلى مدح النبى ﷺ وذكر جهاده وبعض معجزاته وخصائصه.
- دعاء بالسقيا لقبر النبى ﷺ وقبور صحابته الكرام ونسائه الطاهرات.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - لِمَنْ طَلَلٌ دُونَ الرُّبَا فالنَّبائثِ ... يُعَفِّيْ بأيدى العاصفاتِ الغَوائثِ

٢ - تَمَشَّتْ به الرُّبْدُ النَّوافرُ مُذْ خَلا ... من الخَفراتِ الآنساتِ الأنائثِ

٣ - وقفْتُ به مُسْتَعْبِرًا بعْدَ فتيَةٍ ... أُحادثُهُ لو قَدْ أَوَىٰ لمُحادثِ

٤ - أَشُمُّ الثَّرىٰ منْهُ وأمْسَحُ تُرْبَهُ ... كَمسْحِ رءُوسِ الطِّفْلِ أَيْدِى الرَّوامثِ

٥ - فما زادَنِى إلاَّ أسًى سُوءُ مَنْظَرِى ... إلىٰ ما عَرَاهُ منْ حُلُولِ الحوادثِ

٦ - تعاقَبَ فيه الأربَعُ الهُوجُ فانْمَحَىٰ ... سِوَىٰ النُّؤْىِ منْهُ والثَّلاثِ المَواكثِ

٧ - ولولا جَوًى فى القَلبِ لمْ أُلْفَ واقفًا ... عَلىٰ كُثُبٍ لا تَسْتَجيبُ عَشاعثِ

٨ - ولا هَاجَنِى رَبْعٌ مُحيلٌ ولا شَجَىٰ ... فُؤادِىَ وادٍ ذُو غَضًا وعَناكثِ ١١/ب

٩ - سَقَىٰ معْهَدًا أضْحَتْ به أمُّ مالكٍ ... بوَادِى النَّقَا صَوْبُ العِهادِ البواعثِ

١٠ - بكلِّ حَيًا واهِىَ العَزَالِى مُجَلْجِلٍ ... مُرِبٍّ بأرجاءِ الرماثِ الأباعثِ

---

(١) الطَّلَل: بقايا الديار. الرُّبا: موضع بين مكة والمدينة [معجم البلدان ٣ / ٢٥].
يُعَفِّي: يمحى أثره. العاصفات الغوائث: أراد بها الرياح.

(٢) الرُّبْد: النعام. النوافر: التى نُفِّرت - أى أزعجت - من مكانها. الخفرات: الخجولات. الأنائث: جمع أنيث، وأنيث مبالغة فى الأنثى.

(٣) مستعبرًا: باكيا. بعد فتية: كذا فى الأصل، ولعله: بعد فينة، أى بعد حين. أوى لمحادث: استمع إليه.

(٤) الطفل هنا جمع جنس، الروامث: الماسحات بأيديهن على رءوس الطفل عطفًا وحنانًا.

(٥) منظرى: مصدر ميمى، بمعنى: نظرى.

(٦) الأربع الهوج: الرياح الأربع العاصفة، وهى الدَّبُور والقَبولُ والصَّبا والنكباء. النؤى: حفر تحفر حول أطراف الخيمة ليتجمع فيها ماء المطر. الثلاث المواكث: الحجارة الثلاثة التى كانوا ينصبون القدْر فوقها.

(٧) جوى: شدة الوَجْد من العشق. لم أُلْفَ: لم يجدنى أحد. كثب: تلال، جمع كثيب. عثاعث: جمع عَثْعَث، وهو الكثيب الذى لا نبات فيه.

(٨) هاجنى: أثار شوقى. مُحيلٌ: متغيِّر، قد تحوَّل عما كان عليه من خصب فأصبح مقفرًا وارتحل عنه أهله. شَجَى: أحزن. ذو غضا: فى الأصل: ذى غضا، وهو خطأ نحوى؛ لأنه صفة (وادٍ) وهو فاعل (شَجَى)، والغضا: من شجر البادية. عناكث: نوع من النبات.

(٩) وادى النَّقا: واد قريب من المدينة [وفاء الوفا ٤ / ١٣٢٢]. صَوْبُ: المطر الشديد يصحبه صوت. العهاد: الأمطار المتتابعة. البواعث: التى تُحيى الأرض وتبعث فيها الخضرة والزرع.

(١٠) حيا: مطر. (واهى العزالى)، ولعله: (داهى العزالى) كذا فى الأصل، أى شديد المطر
مُرِبٌّ: غزير المطر. الرماث: مراعى الإبل. الأباعث: التى بعثها المطر فأحيا مواتها.

١١ - إلىٰ أنْ تَرَىٰ الغُدْرانَ مُفْعَمَةً به ... وتَسْمَعَ فى الوادى جَهِيرَ المَدَالِث

١٢ - فَرَفَّ به النُّوَّارُ مُخْتَلِفَ الحُلَىٰ ... وماسَ به بَقْلُ البِقاعِ الأنابِث

١٣ - وأَنْبَتَ فيه ما تَظَلُّ عِشارُهُ ... رواتِعَ فى جَنَّاتِه والحَرائِث

١٤ - وتُضْحِى به شاءُ **المُقَتِّرِ** حُفَّلاً ... ويَملأُ رِفْدَ البيتِ فضلُ الرَّواغِث

١٥ - فَلِى بِمَغانيه عُهودٌ قديمةٌ ... فَهَلْ لِى إليْها من عُهودٍ حدائث

١٦ - تَمَلَّكَ قَلْبِى فيه شَنْشَنَةُ الصِّبَا ... وكَمْ بعْدَ شَيْبِى لى به منْ شنائث

١٧ - يَكادُ إليها الشَّوْقُ أنْ يَسْتَفِزَّنِى ... ويَصْرِفُنِى عَنهُ صُروفُ الدَّثائث

١٨ - عَلىٰ أنَّنِى ما خُنْتُ عهْداً ولم تَكُنْ ... حَبائِلُ شَوْقِى نَحْوَهُ بِرثائث

١٩ - ومُنْخَرِقِ السِّرْبالِ يخْتَرِقُ الفَلا ... ويُقْدِمُ إقْدامَ الشُّجاعِ الدُّلاهث

٢٠ - حُسامٌ طويلُ السَّاعِدَيْنِ شَرَنْبَثٌ ... لهُ بَطْشُ دِلْهاثٍ هَصُورٍ شُرابث

٢١ - جَرِىءٌ إذا لاقَىٰ يُرِى خَصْمَهُ الرَّدَىٰ ... إذا صالَ فى أنْيابِه والمضابث

٢٢ - تَساوَتْ وحُوشُ البَرِّ فى الأُنْسِ عِنْدَهُ ... فَضِيرانُها كالعَاوياتِ العوائث

---

(١١) جهير: مرتفع الصوت. المدالث: السيول، وصفها بالجهير لإفادة قوة الانصباب والغزارة.

(١٢) رفَّ: برق وتلألأ. النُّوار: الأزهار. ماس: تمايل طرباً. الأنابث: ما يستخرج من البقل المدفون فى التراب.

(١٣) عشاره: جمع عُشَراء، وهى الناقة التى مضى على حملها عشرة أشهر. رواتع: تَرْتَع، أى ترعى فى مرعى خصب. الحرائث: المزارع والمراعى.

(١٤) شاء: جمع شاة، وهى الواحد من الغنم ذكراً أو أنثى. المُقَتِّر هنا بمعنى: الفقير. حُفَّلاً: ممتلئات الضروع باللبن. رِفْد: قدح ضخم يُحلَب فيه اللبن. الرواغث: جمع رَغُوث، وهى الشاة المرضع، وفَضْلها: ما بقى من لبنها بعد إرضاع ولدها.

(١٦) شنشنة: طبيعة وسجيَّة. شنائث: لعله من (شَنِثَ) البعير، إذا خشنت مشافره من أكل النباتات الخشنة كالشوك.

(١٧) يستفزنى: يستخفنى. صروف: تقلُّبات الحوادث. الدثائث: الآلام والأوجاع.

(١٨) رثائث: رثَّة، أى بالية ممزقة، يقول: ليس شوقى إليه بضعيف.

(١٩) منخرق: ممزَّق، مجرور بـ«رُبَّ» المحذوفة. السربال: القميص والدرع وكل ما يلبس. الفلا: الصحارى، جمع فلاة. الدُّلاهث: الجرىء المُقدم الشجاع.

(٢٠) حسام: سيف قاطع. شرنبث: قوىٌّ شديد، ومثله شَرابث. دِلْهاث: أسد. هصور: صفة للأسد، أى الأسد الشديد المفترس.

(٢١) الرَّدَى: الموت. صال: وثب وقاتَلَ. المضابث: مخالب الأسد.

(٢٢) ضيران: وحوش مفترسة، جمع ضارٍ. العاويات: الذئاب. العوائث: التى تعيث فى الأرض، أى تُفْسِد.

٢٣ - يَخُوضُ أَهَاوِيلَ الدُّجَىٰ بِجُلاعِدٍ ... أمونِ السُّرَىٰ بَادِي النَّشاطِ حُثاحِثِ

٢٤ - صَبُورٍ عَلَىٰ الأيْنِ المُبَرِّحِ والوَجَىٰ ... يَهِفُّ هَفِيفًا كالرِّئالِ النَّوافِثِ

٢٥ - يحَثْحِثُهُ حَتَّىٰ يَنالَ مُرادَهُ ... وطالِبُ أسبابِ العُلا ذو حَثاحِثِ

٢٦ - نَصَحْتُ لَهُ نُصْحًا بَرِيئًا من القَذَىٰ ... إذا شَابَ قَوْمٌ نُصْحَهُمْ بالعَبائِثِ

٢٧ - فَقُلتُ لَهُ: إنْ رُمْتَ أَمْنًا وعِزَّةً ... فعُذْ مِنْ عَوادِي النَّائِباتِ الكوارِثِ

٢٨ - بِأفْضَلِ مَبْعوثٍ إلىٰ خَيرِ أُمَّةٍ ... بخَيْرِ كِتَابٍ جاءَ من خَيرِ باعِثِ

٢٩ - وأَيْمَنِ مَوْلُودٍ وأكْرَمِ مُرْضَعٍ ... يَدِرُّ لَهُ ثَدْيٌ وأنْجَبِ مارِثِ ١٢/أ

٣٠ - وأَجْمَلِ مَن عايَنْتَ فى يَمَنِيَّةٍ ... وأَحْسَنِ خَلْقٍ للعِمامَةِ لائِثِ

٣١ - وأعْظَمَ بِشْرًا للعُفاةِ يُقابِلُ الـ ... ـنَّزِيلَ بأخْلاقٍ حِسانٍ دَمائِثِ

٣٢ - وأكْرَمِ مَأمولٍ لِوَفْدٍ تَوجَّهَتْ ... إليهِ نَجِيباتُ المَطَايَا الحَثائِثِ

٣٣ - تَرُوحُ بِطانًا نَحوَهُ ثُمَّ تَغْتَدِي ... لَها بعَطاياهُ وَئِيدُ الحَوائِثِ

٣٤ - أبِي القاسِمِ الهادِي البَشِيرِ مُحَمَّدٍ ... سَلِيلِ الكِرَامِ الأَطْيَبِينَ المَلاوِثِ

---

(٢٣) أهاويل: أهوال. الدجى: الظلام. جُلاعد: جمل قوى شديد. أمُون: قوي الخَلْق يُؤْمَن عليه من الإعياء والتعب. السُّرَى: السير. حثاحث: سريع.

(٢٤) الأَيْن: التعب. المبرِّح: الشديد. الوجى: داء يصيب أخفاف الإبل. يهفُّ: يسرع فى سيره. الرئال: النَّعام. النوافث: التى تنفخ فى تنفسها من شدة الجرى.

(٢٥) يحثحثه: يُسرع به. حَثاحث: سرعة وحركة دائمة.

(٢٦) القذى: اسم جامع لكل ما يؤذى ويؤدى إلى الفساد. العبائث: الخلط بين الجد والهزل.

(٢٧) رُمْتَ: أردتَ. عُذْ: الجأ إلى الله. العوادى: الشدائد والمحن. النائبات: المصائب. الكوارث: الشديدة الشاقة.

(٢٨) بأفضل: الباء متعلقة بالفعل (عُذْ) فى عجز البيت السابق.

(٢٩) أيمن: من اليُمن، أى البركة. يَدِرُّ: ينزل منه اللبن بغزارة. مارث: شارب، وهو مختص بشرب الرضيع من ثدى أمه.

(٣٠) عاينت: رأيت. يمنية: بردة يمنية. لائث: مشتق من (لاثَ) العمامة، أى لفَّها حول رأسه.

(٣١) بشرًا: فرحًا وسرورًا. العُفاة: الفقراء. النَّزيل: الضيف. دمائث: طيبة.

(٣٢) المطايا: الإبل. الحثائث: السريعة.

(٣٣) تروح: تذهب. بطانًا: ممتلئة البطون، وهو كذا فى الأصل، ولعله: خماصًا أى جياعًا ضامرة البطون. تغتدى: تعود. وئيد: ثقيل الحركة عالى الصوت. الحوائث: ثقل الحركة من السِّمَن والشِّبع.

(٣٤) الملاوث: الأشراف.

٣٥ - أعَـزُّ الورَى بَيْـتًـا وأشْـرَفُ عُنْصَـرًا ... وأطْهَـرُ عِـرْضًـا من عَـمِـيـرَةَ مَـالِـثِ

٣٦ - بَنَىٰ لِبَنِى سَـامٍ مَنارًا سَـمَـوْا بِهِ ... حِـمىٰ آلِ حـامٍ فى الفَـخَـارِ ويافِـثِ

٣٧ - تَسَنَّمَ مِنْ عِـزِّ المَناقِبِ ذُرْوَةً ... أَبَىٰ شَـأْوُها أنْ يَسْـتَكِينَ لضـابِـثِ

٣٨ - تَخَـيَّـرَهُ الرَّحـمٰـنُ من آلِ هاشِمٍ ... هَـفِـيًّـا نبـيًّـا وارثًا خَـيْـرَ وارِثِ

٣٩ - أمِـينًا عَلىٰ وَحْيِ السَّـمـاءِ مُـؤَيَّدًا ... بِريحٍ صَـبًـا فى الحَـرْبِ ذاتِ بثـابِـثِ

٤٠ - ورُعْبٍ عَلىٰ مِقْـدارِ شَـهْـرٍ مَسِـيـرُهُ ... مُـخـالِطِ أحْـشـاءِ الكَمِيِّ المُـغـالِـثِ

٤١ - وأنزَلَ أمْـلاكَ السـمـاءِ لِنَصْـرِهِ ... عَلىٰ كُلِّ خـوَّانِ السَّـريـرَةِ ناكِـثِ

٤٢ - وآزَرَهُ فى كُلِّ هَيْـجـاءَ عِـزَّةً ... بأصْحابِهِ الشُّوسِ الكُماةِ المَـمـارِثِ

٤٣ - بِكُلِّ كَـرِيـمِ الأصلِ شَـهْـمٍ مُـهـاجِـرٍ ... وأنْصـارِهِ المُـوفِـينَ عَـهْـدَ النَّكـائِـثِ

٤٤ - هُـمُ حَـفِـظوا مِـيـثـاقَـهُ فى حَـيـاتِـهِ ... وفى مَـوْتِهِ لَمْ يَنقُـضـوا عَـهْـدَ والِـثِ

٤٥ - ولَمَّـا أتَىٰ الأحـزابُ بَدَّدَ شَـمْـلَهُمْ ... بِـريـحٍ وجُـنْـدٍ قـاهِـرٍ لـلـولائِـثِ

٤٦ - ويومَ حُنَيْنٍ حِـينَ جـاءتْ هَوازِنٌ ... بِكُلِّ غَـوِىٍّ ذى شَـدَاةٍ مُـلابِـثِ

---

(٣٥) العميرة: الثوب القوى والنسج. مالث: مطيَّب.

(٣٦) سام وحام ويافث: أبناء نوح عليه السلام، وإليهم تنسب السلالات البشرية، والعرب من بنى سام.

(٣٧) تسنَّم: ارتقى الذروة. شَأْوها: غايتها وقدْرها. يستكين: يخضع ويذلّ، وفى الأصل (يستكنّ) وهو تصحيف. ضابث: قاهر معتد.

(٣٩) بثابث: عواصف وغبار شديد.

(٤٠) الكَمِيّ: المغطَّى بالدروع. المغالث: شديد القتال.

(٤١) خوَّان: مبالغة (خائن). السريرة: الضمير. ناكث: غادر بعهده.

(٤٢) آزره: أعانه ونصره. هيجاء: حرب. الشُّوس: الكرام. الكماة: جمع كمىّ، وهو المغطَّى بالسلاح. المَمَارث: جمع ممْرَث، وهو الشديد الصبور على الخصام والقتال.

(٤٣) النكائث: الأمور الجليلة ذات الخطر. (٤٤) والث: معاهد.

(٤٥) بدَّد شَمْلَهم: فرق جَمْعَهم. الولائث: العهود المبرمة بين الأحزاب. يشير إلى ما أصاب جيوش الأحزاب كما نصت الآية الكريمة: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا** ﴾ الأحزاب / ٩ .

(٤٦) هوزان: قبيلة عربية كبيرة، ويوم حنين يسمى أيضا: يوم هوزان. غَوِىّ: ضال. ذى شداة: ذى قوة. ملابث: يلبث فى القتال أمام خصمه ولا يفر، يقول: جاءت هوازن بكل فارس قوى صبور على القتال.

٤٧ - فَوَلَّوْا عَلىٰ الأعْقَابِ حينَ رَمَاهُمُ ... فَأعْشاهُمُ مِنْ قَبْضَةٍ من كَناكِث

٤٨ - وفى عَصْرِنا جَاءَتْ إلَيْنا عِصابةٌ ... من التُّرْكِ تَعْوِى كالكلابِ اللَّواهِث

٤٩ - يَرُومُونَ منْ بَغْدَادَ رأيًا فأدْبَروا ... بِوَعْدٍ وَفِىٌّ مُنْجَزٍ غَيْرِ ناكِث

٥٠ - وأرْجُو لِمَا يُسْتَقْبَلُ النَّصْرَ واثِقًا ... بذلكَ فى دَفْعِ العُدَاةِ الأخابِث ١٢/ب

٥١ - هوَ الأوَّلُ المُخْتارَ أفضَلُ مُرْسَلٍ ... هوَ الآخِرُ المَبعوثُ خَيْرُ الأباعِث

٥٢ - أتىٰ بِصِراطٍ مُسْتَقيمٍ من الهُدَىٰ ... لَهُ نَبَأٌ بادِى البَيانِ لباحِث

٥٣ - فصادَفَ عُمْيًا يَعْمَهون قُلُوبُهُمْ ... من الغَىِّ غُلْفٌ تابِعِى كُلِّ عائِث

٥٤ - يَتيهونَ فى دَيْمومَةٍ مُدْلَهِمَّةٍ ... يَطُوفونَ بالأحجارِ تَطْوَافَ عابِث

٥٥ - فأخْرَجَهُمْ من ظُلْمَةِ الجَهْلِ نُورُهُ ... وأنْقَذَهُمْ مِنْ مُوبِقاتِ الهَثَاهِث

٥٦ - أحَلَّ لَهُمْ ما طَابَ مِنْ كُلِّ مَطْعَمٍ ... وخَصَّ بتَحريمٍ جَميعَ الخَبائِث

٥٧ - وَعَلَّمَهُمْ سَبْعًا مَثانِىَ آذَنَتْ ... بمَحْقِ مَثانِى لَهْوِهِمْ والمَثالِث

٥٨ - وَنَزَّهَ رَبَّ العَرْشِ عنْ والِدٍ وعنْ ... قَرينٍ ومَوْلودٍ وثانٍ وثالِث

٥٩ - وبَلَّغَ تَبْليغَ النَّصيحِ وجاهَدَ الْـ ... ـعُداةَ أُولِى التَّكْذيبِ مأوَىٰ الغَثائِث

---

(٤٧) أعْشَاهم: أعمَى أبصارهم. كناكث: رمل.

(٤٩) يرومون من بغداد رأيًا: يَنْوون لها خُطَّة، ويدبرون لها شرًّا.

(٥٣) يَعْمَهون: لا يهتدون، فهم ضالُّون حائرون. الغَىّ: الظُّلم. غُلْف: صمَّاء لا ينفذ إليها الهُدَى. عائث: مُفْسد.

(٥٤) يتيهون: يتحيرون. ديمومة: مصدر (دَامَ). مدلهمة: مظلمة. أى هم فى حالة دائمة من التخبط والحيرة والضلال.

(٥٥) موبقات: مُهْلكات. الهثاهث: الفساد والظلم.

(٥٧) السبع المثانى: سورة الفاتحة؛ سميت بذلك لأنها تثنى فى كل ركعة. روى البخارى فى صحيحه عن النبى ﷺ أنه قال: «أم القرآن هى السبع المثانى والقرآن العظيم»، وفى رواية أخرى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ بدل «أم القرآن» [الفتح ٨/ ٢٣٢ ، كتاب التفسير، الحديثان رقم ٤٧٠٣، ٤٧٠٤].

آذنت: أعلمت وبيَّنت. محق: إبطال ومَحْو. المثانى والمثالث: من أوتار العود. يقول: إن النبى ﷺ جاء بالقرآن العظيم الذى أبطل المزامير والمعازف، كما أن نفوس المؤمنين به تأنس إليه أكثر مما تأنس للعود وأوتاره وأنغامه.

(٥٩) العداة: الظالمون. الغثائث: كل ما هو رديء فاسد.

٦٠ - وأطْفَأَ نيرانَ الضَّلالَةِ فانْمَحَتْ ... مَعالِمُها وانْجابَ لَيْلُ الهنابثِ

٦١ - وأضْحَتْ شُموسُ الحَقِّ مُشْرِقَةَ السَّنَا ... قَد اتَّضَحَتْ آثارُها للمباحثِ

٦٢ - وفي الزُّبُرِ الأولَىٰ تبَيَّنَ فَضْلُهُ ... لِكُلِّ عَليمٍ بالدَّلائِلِ نابثِ

٦٣ - لَهُ خَمَدَتْ نيرانُ فارِسَ بعْدَ ما ... غَدَتْ حُقُبًا مَحْشُوشَةً للأخاوثِ

٦٤ - وإيوانُ كِسْرَىٰ انْشَقَّ عندَ ولادِهِ ... فأصْبَحَ ذا هَمٍّ منَ الرُّعْبِ كارثِ

٦٥ - وأرْسَلَ ذو العَرْشِ النُّجومَ لِبَعْثِهِ ... عَلَىٰ كُلِّ شَيْطانٍ عَنِ الحقِّ رائثِ

٦٦ - وما زالَ مَحْفوظًا رَضيعًا وناشئًا ... إلىٰ أنْ وقاهُ اللهُ كَيْدَ النَّوافثِ

٦٧ - وَقَبْلُ وقاهُ اللهُ في أرْضِ مَكَّةٍ ... أذَىٰ كلِّ حَلَّافٍ منَ القَوْمِ حانثِ

٦٨ - إلى أنْ تَرَدَّوْا يَوْمَ بَدْرٍ أذِلَّةً ... بِقَعْرِ قَليبٍ للأساوِدِ مائثِ

٦٩ - وأقْبَلَ يَومَ الفَتْحِ نَحْوَ دِيارِهِمْ ... بِجَيْشٍ لأكْبادِ المُعادينَ فارثِ

٧٠ - ومِنْ قَبْلِها سَلْمانُ طَالَ لأجْلِهِ ... تَطَلُّبُهُ لا يَسْتَريبُ بِحادثِ

٧١ - فلمَّا رآهُ عايَنَ الحَقَّ فاهتَدَى ... ونَجَّاهُ منْ رِقٍّ بغَرْسِ الحَرائثِ ١٣/أ

---

(٦٠) انجاب : انقشع وذَهَب . الهنابث : الشدائد ، واختلاط الأمور وفسادها .

(٦١) للمباحث : لمن يبحث وينقِّب .

(٦٢) الزُّبر الأولى : كتاب داود عليه السلام . نابث : باحث عن الأمور الخفيَّة .

(٦٣) من دلائل نبوته ﷺ خمود (أى انطفاء) نار الفرس ، وسبق تحقيق ذلك فى البائية الأولى . حقبا : أزمنة طويلة . محشوشة : موقدة . الأخاوث : الذين امتلأت بطونهم وسمنوا ، كناية عن النعمة والثراء والطمع .

(٦٤) ولاده : ولادته ﷺ . كارث : شديد شاق .

(٦٥) رائث : مُبْطِئٌ لا يسرع إلى الحق .

(٦٦) النوافث : الساحرات .

(٦٧) حانث : كاذب فى يمينه .

(٦٨) تردَّوا : هلكوا . بقعر قليب : بقاع بئر . الأساود : الحيَّات . مائث : يُذيب الحيَّات من شدته وقسوته .

(٦٩) فارث : ممزِّق .

(٧٠) لا يستريب : لا يشك . وسبق ذكر قصة إيمان سلمان الفارسى ، فى البائية الأولى .

(٧١) الحرائث : الأرض المحروثة . يشير إلى ما كان من أمر نجاة سلمان الفارسي من الرق ، بما غرسه له بيده الكريمة من النخل ، وقد قال سلمان ﷺ : « فو الذى بعثه بالحق ما ماتت منها وَدِيَّةٌ واحدة (أى نخلة صغيرة) [مسند أحمد ٥ / ٤٣٨ : ٤٤١] وكان هذا النخل ثمنًا لتحريره من الرق .

٧٢ - وأرضَىٰ العَـديدَ الجَمَّ مِنْ زَادِ جـابِرٍ ... وكـانَ يَسـيـرًا مـثلَ أُكْلَةِ رَائِثِ

٧٣ - ولَوْ رُمْتُ حَـصْـرًا للقـوافِى بِفَـضْلِه ... لَضـاقَتْ أعـارِيضُ القَـوافِى البـواحِثِ

٧٤ - ولَكِنْ ذَكَـرْتُ البَـعْضَ أطْلُبُ جَـاهَهُ ... لِيـومٍ شَـدِيدٍ مُظْهِـرٍ لِلخَـبـائِثِ

٧٥ - ومـا مَـدْحُـهُ إلا مَـزِيدٌ وقُـرْبَةٌ ... ومَدْحُ بَنِى الدُّنْيا حَكَىٰ هُجْرَ رَافِثِ

٧٦ - سـقَىٰ قَـبـرَهُ الرَّحْبَ الشَّـرِيفَ وجَـادَهُ ... سَـحَـائِبُ لِلرِّضْـوانِ غَـيـرُ دَثَائِثِ

٧٧ - ورَقَّتْ رِياضُ الأُنْسِ فى جَنَبـاتِه ... فَـأَرْبَتْ علىٰ نَبْتِ الرِّياضِ الحُـثَـاحِثِ

٧٨ - وصَـبَّـحَـهُ الرَّحْـمٰـنُ فى كُلِّ بُكْرَةٍ ... بِنُورِ رِضًـا بَيْنَ الصَّـفـائِحِ لابِثِ

٧٩ - وعَمَّ قُـبـورَ الأكْـرَمِـينَ صِـحَـابِه ... بِكُلِّ غَـمـامٍ بالمَـواهِبِ غـائِثِ

٨٠ - وعِـتْـرتِهِ والطَّاهِراتِ نِسـائِهِ الـ ... ـلَّواتِى جـمـيـعًـا كُنَّ غَـيْـرَ خَـبـائِثِ

*****

---

(٧٢) الجمّ: الكثير. أكلة: لقمة. رائث: من الرَّوْث وهو الفضلات، يريد: كان قدر هذا الطعام كافيا لإطعام شخص واحد. يشير فى هذا البيت إلى ما رواه البخارى ومسلم عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ من تكثير طعامه الذى صنعه للنبى ﷺ، وكان هذا الطعام يكفى نفرا دون العشرة، فأكل منه جنود الخندق حتى شبعوا أجمعون وكان عددهم ألفا، ثم تركوه وبقى الطعام كما كان [الحديث فى: الفتح، كتاب المغازى ٧ / ٤٥٦ ، ٤٥٧].

(٧٣) أعاريض القوافى: يعنى بها أوزان الشعر وأنواع قوافيه. البواحث: أى التى تبحث وتدقّق وتسجّل كل شاردة وواردة، فمهما قيل من أشعار لن تكفى لحصر فضله ﷺ.

(٧٥) حكى: أشبه. هُجر: فحش وبذاءة. رافث: من الرَّفث، وهو الفحش أيضا.

(٧٦) جاده: سقاه. الدثاث: المطر الضعيف [انظر: الصحاح] والمقصود بـ « دثائث »: قليلة المطر.

(٧٧) أرْبَتْ: زادت. الحثاحث: المتحرك، كناية عن ازدهاره ونضارته.

(٧٨) الصفائح: الصخور، أراد بها قبر النبى ﷺ. لابث: دائم مستقر.

(٧٩) المواهب: الخيرات. غائث: ممطر.

(٨٠) عترة النبى ﷺ: آل بيته رضوان الله عليهم.

الثائية الثانية

(عدتها ٣٥ - البسيط الأول)

هذه القصيدة كسابقتها فى جفاف الألفاظ وصعوبتها، خاصة كلمات القافية، وهى فى مجملها تعبير عن أشواق الشاعر إلى أرض الحجاز وسلع والعقيق، وطيبة (المدينة المنورة) التى احتوت قبر النبى ﷺ، ثم مدح للنبى ﷺ وجهاده فى الله حتى انتشرت دعوة الحق وبيَّن للناس معالم الدين، ويختتم بتوسل إلى النبى ﷺ أن يسأل الله له الإحسان والمغفرة، وصلاة دائمة شاملة عليه ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - مَـالِى أراكَ إذا نَفْحُ الصَّبـا عَـبَـثـا ... بالرَّنْدِ أطْلَقْتَ مِنْ جَـفْنَيْكَ ما ارْتَبَثـا

٢ - أهَزَّ عِطْفَـيْكَ مِنْهُ - سُـحْـرَةً - طَرَبٌ ... أمْ فى فُـؤادِكَ سَـحَّـارُ الأسَىٰ نَفَـثـا

٣ - أضْنَاكَ نَشْـرُ الصَّبـا إذْ مَـرَّ مُـخْـتَلِسًـا ... أبْقَىٰ بِقَلْبِكَ مـا أبْقَىٰ ومـا لَبِـثَـا

٤ - أإنْ ذكـرتَ عُـهُـودًا بالحِـمَى قَـدُمَتْ ... شَـجَـاكَ مِنْ لاعِجِ الأشـواقِ مـا حَـدُثـا

٥ - وَاهًا لِظَـمْـآنَ مِنْ وِرْدِ الحِـمَىٰ سَـغِبٍ ... لَوْ حَلَّ بالشِّـعْبِ لم يَظْمَـأْ ولا غَـرِثـا

٦ - مُـذْ عـاقَـدَتْهُ علىٰ حِـفْظِ الوِدادِ لَهُ ... يَدُ الصَّـبـابَةِ والتَّـبْـرِيحِ مـا نَكَثـا

٧ - آلَىٰ بمـا عَظَّمَ الأحْـبَـابُ مِنْ قَـسَمٍ ... أنْ لا يَخـونَ لَهُمْ عَـهْـدًا فَـمَـا حَنَثـا

٨ - إذا تَـذَكَّـرَ أيَّامَ العَـقِـيقِ بَكَىٰ ... فلو رآهُ عَـذُولٌ كـاشِحٌ لَرَثَىٰ

٩ - هَلْ لِى بساحـةِ سَلْعٍ وَقْـفَـةٌ تَضَعُ الـ ... أثقـالَ عَنِّى وتَمْـحُـو الهَمَّ والتَّـفَـثـا

١٠ - فى فِـتْـيَـةٍ نُجُبٍ زُهْرٍ لَهُمْ هِـمَمٌ ... سَـيَّـارَةٌ بالمَـعَـالِى تَسْـبِقُ الجُـثَـثـا

---

(١) الرند : نوع من الزهر . ارتبث : حُبس .

(٢) سُحْرَة : فى وقت السَّحر، وهو الثلث الأخير من الليل . سحَّار : مبالغة ساحر . نفث : بث سحْره . جعل الحزن ساحرا ينفث فى القلب فلا ينفك حزينا .

(٣) نَشر الصَّبا : رائحة نسيمها . يقول : إن نسيم الصَّبا حين مرَّ بك (أى بالشاعر مخاطبًا نفسه على طريقة التجريد) مرورا عابرا - أبقى فى قلبك الأسى والحزن، ولم يَبْقَ نسيم الصَّبا .

(٤) قَدُمت : أصبحت قديمة . شجاك : أحزنك . لاعج الأشواق : شِدَّتُها وحُرْقَتُها . ما حَدُثا : ما جَدَّ منها، فالعهود القديمة تثير الأشواق المتجددة دوما .

(٥) واهًا : كلمة تفجع . سَغِب : شديد الجوع . الشِّعب : الطريق بين جبلين، يريد به شعب مكة المكرمة . ما غَرِثا : ما أصابه الجوع .

(٦) عاقدته : عاهدته . الصبابة : الشوق . التبريح : الألم والأذى . يقول : إنه منذ عرف الهوى والعشق فكأنه تعاهد معه على أن يظل شاعرا بالألم وفيًّا لهذا العشق .

(٧) آلى : أقسم .

(٨) العقيق : واد قريب من المدينة المنورة [معجم البلدان ٤ / ١٥٦] . الكاشح : الحاقد المُعادى، كأنه يوليك كشحه أى جانبه . أى إن حاله تثير الإشفاق، حتى إن عدوَّه إذا رآه على هذه الحال لرثا له وأشفق عليه .

(٩) التَّفث : حلق الشعر وقص الأظافر، من مناسك الحج، وأراد به : العناء والهموم .

(١٠) زُهْر : جمع أزهر، وهو الأبيض المشرق اللون . المعالى : مكارم الأمور . تسبق الجثث : أى أن همتهم عالية فكأنها تسبق أبدانهم إلى ما يريدون، وقد سبقه المتنبى إلى هذا المعنى فى قوله :=

١١ - سـارُوا علىٰ كلِّ مِـرْقـالٍ بهِ هَوَجٌ ... كالأرْبَدِ الأصْلَمِ المَذْعورِ إنْ نَفَشا ١٣/ب

١٢ - حَلُّوا بِخَـيْـرِ مُناخٍ للرِّكَـابِ وقَـدْ ... عَانَوْا بِطُولِ المَسيرِ الأيْنَ والشَّعَثا

١٣ - نِعْمَ المَقيلُ مَقيلاً طَيْبَةٌ؛ فَبِهـا ... مُحَمَّدٌ خَيرُ خَلْقٍ بالهُدَىٰ بُعِثا

١٤ - وأشْرَفُ النَّاسِ أنسابًا وأكْمَلُ مَنْ ... للمَكْرُمَاتِ وأسْبَابِ العُلا وَرِثا

١٥ - زَكَا وطابَ مِنَ الآباءِ مَحْتِدُهُ ... والأُمَّهاتِ ولا إثمًا ولا رَفَثا

١٦ - مُنَزَّهٌ عن خِتانٍ في ولادَتِهِ ... مُطَهَّرٌ عِرْضُهُ عنْ واصمٍ مَغَثا

١٧ - فازَتْ حَليمةُ منْهُ بالكرامَةِ إذْ ... لَثَدْيِها بالفَمِ العَذْبِ الرِّضَا مَرَثا

١٨ - هُوَ البَشيرُ النَّذيرُ الشَّاهِدُ القُثَمُ الـ ... ـمَاحِي عَنِ الأمَّةِ الآصارَ والخَبَثا

١٩ - الواعِظُ الصَّادِقُ المحفوظُ مَنْطِقُهُ ... من الهَوَىٰ لم يَعِدْ إلاَّ وما مَلَثا

= وإنّني لَمِنْ قَومٍ كأنَّ نُفُوسَهُمْ ... بِها أنَفٌ أنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ والعَظْمَا

(١١) مرقال: سريع السير، صفة لموصوف محذوف، والتقدير: على كل بعير مرقال. الأربد: ذكر النَّعام، ومعنى أربد: رمادي اللون، وهو لون النعام. الأصلم: مقطوع الأذن؛ وهي صفة يوصف بها النعام لأنه صغير الأذنين. نفث: نفخ من شدة الجرى. يصف البعير بالسرعة فكأنه ذكر نعام يجرى أشد الجرى وهو مذعور.

(١٢) مُناخ: مكان إناخة الإبل، أى حيث تبرك. الأين: التعب. الشَّعَث: تفرق الشعر وما يعلوه من غبار السفر.

(١٣) المقيل: المكان الذى يَقيل فيه الإنسان، أى يرتاح وقت الظهر من شدة الحر. طيبة اسم مدينة الرسول ﷺ.

(١٥) زَكَا: طَهُر. مَحْتِدُه: أصله. رفث: الفحش والخبث من القول والفعل. يقول: إن أصل النبى ﷺ أصل كريم، وإنه لم يولد سفاحًا، بل تزوج أبوه الكريم بأمه المباركة. وعجز البيت كان فى الأصل هكذا: والأمَّهات بلا إثمٍ يلى الرَّفَثا، ولا معنى له، وما أثبتُّه من [المجموعة النبهانية ١/ ٥٥٤].

(١٦) يشير فى صدر البيت إلى ولادة النبى ﷺ مختونًا. قال الحاكم فى المستدرك: تواترت الأحاديث أنه ﷺ وُلِدَ مختونا [حجة الله على العالمين، ص ١٧٠]. وقد رجّح الخيضرى - بعد أن ساق عدة أحاديث فى ولادته ﷺ مختونًا، وضعّف بعض أسانيدها - أنه ﷺ قد ولد مختونًا [اللفظ المكرم، ص ٥٦٠]. واصم: عائب. مغث: عَابَه ولطخ عرضه.

(١٧) حليمة: هى السيدة حليمة السعدية مرضعة النبى ﷺ. مَرَث الرضيع ثدى أمه: مَصَّه.

(١٨) القُثَم: اسم من أسماء النبى ﷺ، معناه: الجامع لمعانى الخير. الآصار: الأثقال والقيود، والذنوب.

(١٩) منطقه: نطقه، قال عز وجل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ النجم / ٣. المَلَث: الوعد على غير نية بالوفاء. يقول إن النبى ﷺ لم يَعِدْ وعدًا إلاَّ كان وفيًّا بوعده. فى الأصل: إلا ولا ملثا. =

٢٠ ـ الشَّافعُ النَّافعُ الكافي الوَجيهُ غداً ... إذا الخَليلُ لأهوالِ القيامِ جَثَا

٢١ ـ بَرٌّ وَفِيٌّ فلمْ يَبْخَلْ بميسَرةٍ ... ولم يَخُنْ عَهْدَ ميثاقٍ إذا وَلَثا

٢٢ ـ أعطاهُ خالقُهُ منْ فَضْلِهِ خُلُقًا ... مُهَذَّبًا لَيِّنًا مُسْتَعْذَبًا دَمِثا

٢٣ ـ إذا رأىٰ الشَّيْخَ ذا الإيمانِ وقَّرَهُ ... أوِ اليَتيمَ لَهُ من رَحْمَةٍ رَمَثا

٢٤ ـ أتىٰ بنورِ الهُدَىٰ والأرضُ مُظْلِمَةٌ ... فيها الغُرورُ بأنواعِ الفَسادِ عَثَا

٢٥ ـ والناسُ قد عَبَدُوا الأوثانَ واتَّخَذوا ... لِجَهْلِهِمْ وهَواهُمْ دِينَهُمْ عَبَثا

٢٦ ـ قد اسْتَفَزَّهُمُ الشَّيْطانُ فاتَّبَعوا ... سَبيلَهُ ولَهُمْ عَنْ رُشْدِهِمْ رَبَثا

٢٧ ـ فَأَظْهَرَ الحَقَّ حتَّىٰ بانَ مُتَّضِحًا ... بِشِرْعَةٍ رَفَعَتْ بالعِلْمِ منْ بَحَثا

٢٨ ـ أتىٰ بِلَفْظَةِ إخْلاصٍ مُطَهَّرةٍ ... مِنْ رِجْسِ ما زَخْرَفَ الغاوِي وما نَبَثا

٢٩ ـ نَفَىٰ بها حَدَثَ الشِّرْكِ المُبينِ كَمَا ... هَدَىٰ الوَرَىٰ لِطُهُورٍ يَرْفَعُ الحَدَثا

٣٠ ـ أبانَ للنَّاسِ في ميراثِ مَيِّتِهِمْ ... مَنْ يَأْخُذُ النِّصْفَ مِمَّنْ يَأخذُ الثُّلُثا

٣١ ـ وامْتازَ ما حَلَّ مِنْ طُعْمٍ لآكِلِهِ ... مِمَّا بتَحْريمِهِ في حُكْمِهِ خَبُثا

٣٢ ـ يا مَنْ أَتَتْهُ مَقاليدُ الكُنوزِ علىٰ ... فَقْرٍ فَجادَ بها زُهْدًا وما اكْتَرَثا ١٤/أ

= ولا يتبين معناه، والمثبت من [المجموعة النبهانية ١/٥٥٥] . .

(٢٠) الخليل: سيدنا إبراهيم ﷺ . القيام: القيامة والحساب . جثا: جلس على ركبتيه .

(٢١) ميسرة: سعة من العيش . ولَثَ: عاهَدَ .

(٢٢) دَمِثا: طيبا سَمْحا . قال الله تعالى: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ آل عمران / ١٥٩ .

(٢٣) رَمَثَ: مسح بيده على رأسه .

(٢٤) عَثَا: أفسد .

(٢٦) استفزَّهم: استخفهم ودعاهم إلى الضلال . ربث: حبسهم ومنعهم من الرشد .

(٢٨) زخرف: زيَّن . الغاوي: الشيطان، وفي الأصل: (الواشي) بدل (الغاوي) وما أثبته من [المجموعة النبهانية ١/٥٥٥] . نبث: فتَّش وبحث عن الرذائل والمفاسد .

(٣١) امتاز: تبيَّن واتَّضح . طُعم: طعام .

(٣٢) روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « بعثت بجوامع الكلم، ونصرتُ بالرُّعب، وبينما أنا نائم أُتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض فوُضعتْ في يدي » [الفتح، كتاب التعبير ١٢/٤١٨ ، حديث رقم ٧٠١٣]. وقد صحَّ عنه ﷺ ـ على الرغم مما أوتيه ﷺ من كنوز الدنيا ـ أنه ما شَبِعَ وأهلُه ثلاثة أيام من خبز حتى فارق الدنيا . [مسند أحمد ١٨/١٧٧ ، حديث رقم ٩٦٠٩].

٣٣ - سَلْ لِى إِلَهَكَ إِحْسَانًا وَتَكْرِمَةً ... إِذا حَلَلْتُ علىٰ عِلاَّتِىَ الجَدَثا

٣٤ - فَرْدًا مِنَ الأَهْلِ، مَنْ قَدْ كانَ يُكْرِمُنى ... عَنِ العِثارِ علىٰ قَبرى التُّرابَ حَثَا!

٣٥ - صَلَّىٰ عَلَيْكَ إِلَهُ العَرْشِ ما انْبَسَطَ الـ ... ـنَّعيمُ والفَضْلُ فى الأُخْرَىٰ وما مَكَثا

*****

---

(٣٣) تكرمة : إكرامًا، في الأصل (مكرمة)، والمثبت من [المجموعة النبهانية ١ / ٥٦٠]. على علاَّتى : على ما فى من عيوب. الجدث : القبر.

(٣٤) العثار : السقوط، وفى المجموعة النبهانية : عن الغُبَار. حَثَا : رمى التراب. يقول : أفردت بعيدًا عن أهلى، والذين كانوا يكرمونني ويخشون علىَّ من السقوط والتعثر ها هم أولاء يهيلون التراب على قبرى!

قافية الجيم

(عدتها ٤٢ ـ الطويل الثانى)

لم ينظم الشاعر على هذا الروى سوى قصيدة واحدة، كرسها لمديح النبى ﷺ، والاستغاثة به على ما أصابه من آفات الشيخوخة، ولقضاء حاجاته فى الدنيا والآخرة، فهو خير شافع يرتجى عند الله لدفع الشدائد والبلاء عن الخلق .

وهى قصيدة رائعة، يخاطب الشاعر ممدوحه فيها كما يخاطب المحبُّ محبوبَه، وينعته بما هو أهل له من نعوت الجمال الحسِّى منه والمعنوى.

والقصيدة تتناول الأفكار الاتية :

- فى وصف محاسن النبى ﷺ وجمال أنواره.
- أمنية الشاعر أن يحظى برؤيا النبى ﷺ فى المنام.
- الرحلة إلى حمى النبى ﷺ.
- فضل النبى ﷺ على أمته.
- دعاء واستغاثة بالنبى ﷺ أن يشمله بعطفه ورعايته فى الدنيا والآخرة.
- سلام على النبى ﷺ وأصحابه الكرام.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - أَوَجْهُكَ أَمْ ضَوْءُ الصَّباحِ تَبَلَّجَا ... أَمِ البَدْرُ فى بُرْجِ الكَمَالِ جَلا الدُّجَى ؟

٢ - أَمِ الشَّمْسُ يَوْمَ الصَّحْوِ فى بُرْجِ سَعْدِها ... وفَرْعُكَ أَمْ لَيْلُ المُحِبِّ إذا سَجَىٰ ؟!

٣ - وبَرْقٌ سَرَىٰ أَمْ نُورُ ثَغْرِكَ بَاسِمًا ... ونَشْرُكَ أَمْ مِسْكٌ ذَكِىٌّ تَأَرَّجَا ؟!

٤ - أَتَتْكَ جُنودُ الحُسْنِ طَوْعًا بِأَسْرِها ... فَصِرْتَ مَلِيكًا فى الجَمَالِ مُتَوَّجَا

٥ - فَأَضْحَتْ أَبِيَّاتُ القُلوبِ أَسِيرةً ... لَدَيْكَ فلم يَمْلِكْنَ عَنْكَ مُعَرَّجَا

٦ - فَطُوبَىٰ لِعَبْدٍ أَنْتَ سَيِّدُهُ؛ لَقَدْ ... سَمَا بَيْنَ أَرْبابِ البَصائِرِ والحِجَىٰ

٧ - فَهَلْ تَجْلُبُ الأَحْلامُ لِى مِنْكَ نَظْرَةً ... فَيُكْشَفَ بَعضُ الغَمِّ عَنِّى ويُفْرَجَا

٨ - فَقَدْ نالَ مِنِّى مَنْعُ طَيْفِكَ مِثْلَما ... شَجانِى مِنَ البُعْدِ المُبَرِّحِ ما شَجَا

٩ - حَثَثْنَا إِلَيْكَ العِيسَ حَتَّىٰ تَبَوَّأَتْ ... لَدَيْكَ مَقِيلاً نَاضِرَ الرَّوْضِ مُبْهِجا

١٠ - فَما كانَ أَدْنَىٰ قُرْبَنَا مِنْ بِعادِنا ... وأَقْرَبَ أَفراحَ الفُؤادِ مِنَ الشَّجَىٰ!

١١ - فَلِلَّهِ قَلْبِى يَوْمَ زُمَّتْ رِكَابُنا ... وفَارَقْتُ ظِلاًّ مِنْ جَنَابِكَ سَجْسَجا

١٢ - رَجَوْتُ بِقُرْبِ الدَّارِ أن أُطْفِئَ الأَسَىٰ ... فَما زادَ وَقْدُ البَيْنِ إلاَّ تَأَجُّجا

١٣ - فَهَلْ لِلرِّكابِ القُودِ نَحْوَكَ مَرْجِعٌ ... يَجُبْنَ بِنا وعْرًا ويَطْوِينَ مَدْرَجا

---

(١) تبلّج : أشرق . جلا : كشف وبدّد . الدُّجَى : الظلام .

(٢) الصحو : صفاء الجو . فرعك : شعرك . سجى : سكن وأظلم .

(٣) نشرك : رائحتك العطرة . تأرّج : انتشرت رائحته .

(٥) مُعَرِّجا : بُعداً وانصرافا .

(٦) طُوبَى له : دعاء بالخير ، مشتق من الطيب ، وقيل : شجرة فى الجنة . أرباب : أصحاب . الحجىٰ : العقول .

(٨) شجانى : أحزننى . يقول : لقد اشتدت أحزانى بسبب امتناع طيفك من زيارتى فى المنام ، كما أن بعدى عنك زادنى حزنًا على حزن .

(٩) حثثنا : أسرعنا . العيس : الإبل . المَقيل : المنزل ، وأصله مكان القيلولة .

(١٠) يقول : حين وصلنا إليك أحسسنا براحة القُرب من بَعْدِ طُول البعاد ، وبالفرح من بَعْدِ الحزن .

(١١) زُمَّتْ : أُعدَّت للرحيل . ظلاً سجسجًا : ظلاً ظليلاً طيبًا . يتحسر على رحيله عن حمى النبى ﷺ .

(١٢) وَقْد : اشتعال . البين : الفراق . تأججا : اشتعالاً .

(١٣) القُود : السهلة المطيعة . مرجع : رجوع . يَجُبْنَ : يقطعن . وعْرًا : جبالاً صعبة . يطوين : يقطعن . مدرجا : طريقًا .

١٤ - يُحَثْحِثُها الحَادِى العَجُولُ مُهَجِّراً ... إلَيْكَ ويَطْوِى شُقَّةَ البِيدِ مُدْلِجا

١٥ - يخُوضُ بها آلَ الضُّحَىٰ فكأنَّما ... يَخوضُ بها البَحْرَ الخِضَمَّ مُلَجَّجا

١٦ - إذَا ما تَغَالَتْ فى الهَوَاجِرِ فى السُّرَىٰ ... تُخَالُ نَعامًا فى السَّبَاسِبِ هُدَّجا

١٧ - عَلَيْها رِجالٌ تَشْتَكِى أَلَمَ الجَوَىٰ ... كَمَا تَشْتَكِى فى سَيْرِها أَلَمَ الوَجَىٰ ١٤/ب

١٨ - لَهُمْ حَنَّةٌ عِنْدَ الصَّباحِ وَحَنَّةٌ ... إلَيْكَ إذا ما اللَّيْلُ غَيْهَبُهُ دَجَا

١٩ - يَؤُمُّونَ رَبْعًا لَمْ يَزَلْ بِكَ آنِسًا ... مُضِيئًا بوجهٍ مِنْكَ أزْهَرَ أَبْلَجَا

٢٠ - حِمًى بِكَ عَنَّا كُلَّ مُظْلِمَةٍ مَحَا ... وكُلُّ رَجًا مِنْهُ ثِمالٌ لِمَنْ رَجَا

٢١ - رَحِيبُ الذُّرا غَضُّ القِطافِ لِمَنْ جَنَىٰ ... إذا ما نَحَاهُ مَنْ جَنَىٰ عَائِذًا نَجَا

٢٢ - إذا لجأَ العَافِى إلَيْهِ مُؤَمِّلاً ... جَلا ضُرَّ مُعْتَرٍّ إلى بَابِهِ لَجَا

٢٣ - إليكَ رسولَ اللهِ أُهْدِى مَدائحِى ... فتَكْسِبَ مِنْ رَيَّاكَ نَشْرًا مُؤَرَّجا

٢٤ - وتُلْبِسَها أوصافُكَ الزُّهْرُ حُلَّةَ الـ ... ـبَهاءِ ورَوْضًا من حُلاكَ مُدَبَّجا

٢٥ - أسَوْتَ بِمَا بَيَّنْتَ داءَ قُلُوبِنا ... كما كُنْتَ تأسُو قَبْلُ أوْسًا وخَزْرَجا

---

(١٤) يحثحثها : يُسرع بها . الحادى : سائق الإبل ، وأصله من الحُداء ، أى الغناء ؛ لأنه يغنى أثناء سوقه لها . العجول : المسرع . مهجِّرا : سائرا وقتَ الهجير . شقَّة البيد : طول المسير فيها ، والبيد : الصحارى ، جمع بيداء . مُدْلِجا : سائرا فى أول الليل .

(١٥) آل : سراب . الخضم : البحر الواسع . ملجَّجا : مضطرب الأمواج .

(١٦) تغالت : اشتد سيرها . الهواجر : جمع هاجرة ، وهى وقت الظهيرة . تُخال : تُظن . السباسب : القفار . هُدَّجا : مسرعات قد تهدجت - أى انقطعت - أنفاسها .

(١٧) الجوى : شدة العشق . الوجى : داء يصيب أخفاف الإبل .

(١٨) حنَّة : شوق وحنين . غيهبه : اشتداد ظلامه . دَجَا : أظلم .

(١٩) يؤمُّون : يقصدون . آنسا : شاعرا بالأُنس . أزهر : أبيض . أبلج : مشرق .

(٢٠) رَجا : ناحية . ثمالٌ : غياثٌ وعطاء .

(٢١) القطاف : الثمار . نحاه : قصده . (جَنَى) فى صدر البيت بمعنى : قطف الثمار ، وفى عجزه بمعنى : ظَلَمَ . عائذا : لاجئا إليه . وقد نقلت عجز البيت من [النبهانية ١ / ٥٦٦] ؛ لأنه غير واضح فى الأصل .

(٢٢) العافى : الفقير طالب العطاء . جلا : كشف . مُعْتَرٌّ : محتاج . لجا : أصله (لجأ) خفف الهمز لأجل القافية .

(٢٣) رَيَّاك : رائحتك الطيبة ، وكذا النشر . المؤرَّج : الفواح بالعطر .

(٢٤) الزهر : المضيئة . حلة البهاء : ثوب الجمال . حُلاك : أوصافك الحسنة . مُدَبَّجا : مُزَيَّنًا .

(٢٥) أسَوْتَ : شفيت . الأوس والخزرج : القبيلتان اللتان أصلح بينهما ﷺ حينما هاجر إلى المدينة ، فأصبحوا بنعمة الله إخوانًا ، وهم الأنصار .

٢٦ - وكُنْتَ نَبِيًّا قَبْلَ آدمَ مُرْتَجًى ... لتَفْتَحَ بابًا للهِدايَةِ مُرْتَجَا

٢٧ - فَجِئْتَ ورَسْمُ الرُّشْدِ بالغَيِّ مُنْهَجٌ ... فَأوْضَحْتَ فيهِ للبَرِيَّةِ مَنْهَجا

٢٨ - وشَيَّدْتَ أعلامَ الرَّشادَ مُجَدَّدًا ... وكُنتَ كَمِيًّا فى الجِهادِ مُدَجَّجا

٢٩ - وثَقَّفْتَ سَهْمَ الدِّينِ حَتَّى أقَمْتَهُ ... وقدْ كانَ مَلْوِيَّ المَغامِزِ أعْوَجا

٣٠ - فأصْبَحَ وَجْهُ الحَقِّ أزْهَرَ ظَاهِرًا ... بِنُورِكَ والبُطْلانُ أزْوَرَ مُخْدَجَا

٣١ - وأدْخَلَكَ الرَّحمٰنُ بالصِدقِ مُدْخَلاً ... خَرَجْنا بِهِ من دارَةِ الشِّرْكِ مُخْرَجا

٣٢ - فيا خَيْرَ مَنْ زَمَّ النِّياقُ لِحَجَّةٍ ... وألْجَمَ خَيلاً للجِهادِ وأسْرَجا

٣٣ - ومَنْ إنْ أحَاطَ الكَربُ بالنَّاسِ كُلِّهِمْ ... فعاذُوا بِهِ أَلْفَوْهُ عَنْهُمْ مُفَرِّجا

٣٤ - وإنْ صَلِيَ النَّارَ العُصاةُ غَدًا، غَدَا ... لأُمَّتِهِ مَنْ هُوَّةِ النَّارِ مُخْرِجا

٣٥ - أجِرْنِي؛ فقَدْ أصْبَحْتُ فى زَمَنٍ لَهُ ... عُرَامٌ لأهْلِ الحِلْمِ أصْبَحَ مُزْعِجا

٣٦ - وقدْ أبْلَتِ السَّبْعونَ بُردَ شَبِيبَتِي ... فأضْحَىٰ بتَكْرارِ الأهِلَّةِ مُنْهَجا

٣٧ - وعِنْدِيَ حاجاتٌ بِها اللهُ عالِمٌ ... أبِيتُ بِها من كارِثِ الهَمِّ مُحْرَجا

---

(٢٦) مُرتجىً: منتظرًا يُرْجَى بعثُك. مُرْتَجًا: مغلقًا.

(٢٧) رسم: أثر. الغىّ: الضلال. مُنهَج: مشقَّق بال. مَنْهج: طريق واضح. يقول: جئت وقد غلب الضلال على الهدى، ففتحت باب الهداية وبيَّنتَ طريقها.

(٢٨) كميًّا: فارسًا شجاعًا. مدججًا: مغطًّى بالسلاح.

(٢٩) ثقفت: أصلحت. المغامز: المطاعن والعيوب. يقول: أصلحت الدين وقوَّمته وكان الدينُ قبلك شيئًا معيبًا.

(٣٠) أزهر: مشرق. ظاهرًا: غالبًا. أزور: أعوج، مُخْدجًا: ناقصًا.

(٣١) دارة: دائرة. يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾ الإسراء / ٨٠.

(٣٢) زَمَّ: أعَدَّ للرحيل. النياق: الإبل، جمع ناقة. ألجم الخيل: جعل اللجام فى أشداقها. أسرج: وضع عليها السرج.

(٣٣) ألْفَوْهُ: وجدوه.

(٣٤) صَلِيَ النار: احترق بها. غَدًا: أصبح. هُوَّة النار: السقوط فيها.

(٣٥) أجرنى: أغثنى وأنقذنى. عرام: شدة.

(٣٦) أبلَت: مزَّقت. شبيبتى: شبابى. مُنْهجًا: ممزقًا باليًا، يشبه فعل الزمن بالإنسان - بما يصيب الثوب من البلى والتمزق، وتكرار الأهلَّة: كناية عن مرور الزمن.

(٣٧) كارث الهمّ: الهم الشديد. مُحْرَجًا: شاعرًا بالحَرَج، أى الضيق.

٣٨ - ولَسْتُ أَرَى خِـلاًّ مُـعِـينًا أَبُثُّـهُ ... شُجُونِى فـما أزْدادُ إلاَّ تَوَهُّجا ١/١٥

٣٩ - ومـا لِىَ فى يَوْمَىَّ غَـيْـرُكَ مُنْقِـذٌ ... إذا القَلْبُ للخَطْبِ الشَّدِيدِ تَلَجْلَجا

٤٠ - لأنَّـكَ عِـندَ اللهِ أنْجَـحُ شَـافِعٍ ... لِدَفْعِ المُلِمَّـاتِ الشَـدائِدِ يُرتَجَىٰ

٤١ - عَلَيْكَ سَـلامُ اللهِ مـا أظْلَمَ الدُّجَىٰ ... ومـا فَلَقُ الصُّـبحِ المُنِيـرِ تَبلَّجا

٤٢ - وعَمَّ بِهِ أصْـحـابَكَ الزُّهْرَ مـا سَـرَىٰ ... إلى رَبْعِكَ السَّامِى مَـشـوقٌ وأدْلَجَـا

*****

---

(٣٨) خلاًّ: صديقًا. شجونى: أحزانى.

(٣٩) فى يومَىَّ: فى الدنيا والآخرة. الخطب: الأمر العظيم. تلجلج: اضطرب.

(٤٠) المُلِمَّات: المصائب.

(٤١) سقط لفظ الجلالة من صدر البيت سهواً من الناسخ، ولا يستقيم الوزن إلا بإثباته. فَلَق الصبح: ضياؤه. تبلج: أشرق.

(٤٢) الزهر: البيض، شبه أصحاب النبى ﷺ بالنجوم الزهر، أى اللامعة، كما جاء فى الحديث: «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» [كشف الخفاء للعجلونى ١/١٤٧]. سرى وأدلج: سار بالليل. و (ما) لبيان المدة الزمانية، أى: سلام متواصل دائم مادام الحجاج يقصدون حماك.

قافية الحاء المهملة

نظم الشاعر قصيدتين على الحاء، أولاهما على الحاء المفتوحة، والثانية على الحاء المضمومة.

الحائية الأولى

(عدتها ٥٣ ـ الكامل الثانى)

تدور هذه القصيدة حول أشواق الشاعر وحنينه إلى ربوع منى وطيبة (المدينة المنورة) وذكرياته فيها، داعيًا لها بالغيث والخصب، ثم يتخلص إلى مدح النبى ﷺ وذكر بعض معجزاته وخصائصه الشريفة، ويتوسل إليه أن يسأل الله له ولأهله الصيانة والكرامة والسلامة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ولأمته أن يفيض الله عليها الأرزاق والأمن والرغد والصلاح والنصر على أعدائها.

والعناصر الأساسية فى القصيدة هى :

- حنين وأشواق إلى ربوع منى.
- ذكريات الشاعر فى هذه الربوع الطاهرة.
- أمنية بالعودة إليها.
- فى مديح النبى ﷺ وذكر بعض مآثره ومعجزاته.
- أمنية بلقاء النبى ﷺ ورؤيته فى الآخرة.
- النبى ﷺ ملجأ الأمة وملاذها.
- استغاثة ودعاء.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - رَبْعَ المُنَىٰ بِمِنَىٰ نَعِمْتَ صَبَاحَا ... وتَبَلَّجَتْ فِيكَ الوُجُوهُ صِبَاحَا

٢ - وسَقَتْكَ أَخْلافُ الغَمَامِ عَشِيَّةً ... دَرًّا يُرَوِّى مِنْ حِمَاكَ بِطَاحَا

٣ - وعَلا سَحِيقُ المِسْكِ نَشْرَكَ كُلَّما ... نَشَرَ الرَّبِيعُ عَلَى ثَرَاكَ جَنَاحَا

٤ - ولَبِسْتَ مِنْ زَهْرِ الرِّياضِ مُلاءَةً ... وعَقَدْتَ فَوقَ الجِيدِ مِنْكَ وِشَاحَا

٥ - فلَطَالَمَا سَامَرْتُ فِى جُنْحِ الدُّجَىٰ ... أَقْمَارَ حُسْنِكَ لا أَخَافُ جُنَاحَا

٦ - وخَلَسْتُ من رَيَّاكَ رُوحَ حُشَاشَتِى ... وشَرِبْتُ فِيكَ مِنَ المَحَبَّةِ رَاحَا

٧ - لِلَّهِ أَيَّامٌ مَضَتْ مَحْمُودَةً ... طَابَتْ بِقُرْبِكَ غُدْوَةً ورَوَاحَا

٨ - آنَسْتُ فِيهَا نُورَ عَطْفِ أَحِبَّتِى ... ونَشَقْتُ عِطْرَ رِضَاهُمُ الفَيَّاحَا

٩ - يا مَوْسِمَ الأَحْبَابِ يا عِيدَ المُنَىٰ ... وهِلالَ سَعْدٍ بالبِشَارَةِ لاحَا

١٠ - هَلْ لِى عَلَيْكَ مَعَ الأَحِبَّةِ وَقْفَةٌ ... وَجْهَ النَّهارِ تُجَدِّدُ الأَفْرَاحَا

١١ - باللهِ يا مَنْ عَزْمُهُ أَهْدَىٰ لَهُ ... طَرْفًا إِلى نَيْلِ العُلا طَمَّاحَا

---

(١) رَبْعَ المنى : منادى محذوفة أداته، أى : يا منزل المنى . منى : سبق التعريف بها فى البائية الأولى . تبلّجت : أشرقت . صباحا : جمع صبيح، أى جميل الوجه .

(٢) الأخلاف : الضروع . الدّر : اللبن . بطاحا : مسايل المياه بين الجبال . شبه السُّحُب ومطرها بضروع تدر لبنها على الوديان .

(٣) سحيق مسحوق، فعيل بمعنى مفعول، نحو (قتيل) بمعنى : مقتول . نشرك : رائحتك الطيبة .

(٤) شبه الزهر بالملاءة والوشاح؛ لأن الزهر زينة للرياض كما أن هذه الملابس تزين الإنسان .

(٥) جنح الدجى : ظلام الليل . جُناحا : ذنبا .

(٦) خَلَسْتُ : أخذت خفية . ريّاك : عطرك . حشاشتى : بقية الروح فى جسد المريض . راحًا : خمرًا، وهى هنا خمر المحبة .

(٧) غدوة : فى الصباح . رواحًا : فى المساء، والجمع بين الضدّين يفيد العموم .

(٨) آنست : شعرت . الفيّاح : المنتشر الرائحة .

(١٠) فى الأصل : منَ الأحبة، ولا يلائم السياق، وما أثبتّه من [المجموعة النبهانية ١ / ٥٨٦] . وجه النهار : أوّله .

(١١) طَرْفًا : بَصَرًا . طمّاحًا : ناظرًا .

١٢ - يَصِلُ السُّرَىٰ بَعْدَ السُّرَىٰ بنجائبٍ ... يَطْوِينَ أَكْنَافَ الحجازِ مراحا

١٣ - بَلِّغْ إلى تلْكَ الرِّحَابِ رِسَالةً ... عَمَّنْ إذا ذُكِرَتْ صَبَا وارْتَاحا

١٤ - يا رَبَّةَ الحَرَمِ المُمَنَّعِ كَمْ دَمٍ ... لِبَنِي الأمانِي دُونَ وَصْلِكِ طَاحا

١٥ - كَيْفَ السَّبِيلُ إلى لِقائِكَ والفَلا ... قَدْ حُفَّ دونَكَ ذُبَّلاً وصِفَاحا

١٦ - وإذا وَصَلْتَ قِبَابَ سَلْعٍ جَادَها ... صوبُ المواهبِ هاطِلاً سَحَّاحا ١٥/ب

١٧ - فاجْلِسْ بأشْرَفِ مَوطنٍ عَكَفَتْ به ... غُرَرُ المَعالِي لا تَرُومُ بِرَاحا

١٨ - فلقَدْ نَزَلتَ من البَسِيطَةِ مَنْزِلاً ... رَحْبَ الجَوانبِ للوفُودِ فَسَاحا

١٩ - جَمَعَ المناقبَ كلَّها بمُحَمَّدٍ ... أوْفَىٰ الوَرَىٰ حِلْمًا وأكْرَمِ رَاحا

٢٠ - أضْحَىٰ بِهِ عَلَمًا لِكُلِّ هدايَةٍ ... ولِبَابِ كُلِّ فضيلةٍ مِفْتَاحا

٢١ - طابَتْ بأحمَدَ طَيْبَةٌ فَلَرِيحُها ... أذْكَىٰ وأطْيَبُ مِنْ عَبِيرٍ فَاحا

٢٢ - وسَمَتْ به أنوارُها فلقَدْ غَدَتْ ... لِمَنِ اسْتَضاءَ بِنُورِها مِصْبَاحا

٢٣ - هُوَ سابِقُ الأعْيانِ إذ كُتِبَ اسْمُهُ ... بالعَرْشِ ثُمَّتَ أُودِعَ الأَلْوَاحا

٢٤ - وهُوَ الذي خَتَمَ النُّبُوَّةَ فَهْيَ عَنْ ... أكْنافِهِ العَطِراتِ لَنْ تَنْزاحا

٢٥ - نَسَخَ الشرائعَ كُلَّها بشريعةٍ ... بيْضاءَ تُفْصِحُ بالهُدَىٰ إفْصاحا

٢٦ - ودَعَا إليها الخَلْقَ لا يألُوهُمُ ... نُصحًا وأوْضَحَها لَهُمْ إيضاحا

---

(١٢) نجائب: إبل نجيبة، أى كريمة. أكناف: جوانب. مراحًا: وصف من المَرَح، وهو النشاط والخفَّة.

(١٣) صَبَا: اشتاق.

(١٤) طاحَ: أهدر.

(١٥) حُفَّ: أحيط. ذُبَّلاً: رماحًا. صفاحًا: سيوفًا عريضة.

(١٦) جادها: سقاها. الصوب: المطر الشديد. المواهب: العطايا الإلهية. هاطلاً: مُنْصَبًّا غزيرًا، ومثله: سَحَّاحًا.

(١٧) عكفت: أقامت. غُرر: جمع غُرَّة، وهى أول كل شىء. لا تروم: لا تريد. براحًا: فراقًا.

(١٨) البسيطة: الأرض. رحب: واسع، ومثله فساح.

(١٩) المناقب: الفضائل. راحا: جمع راحة، وهى الكف.

(٢٣) الأعيان: الأشراف. أودعَ الألواح: ذكر فيها اسمه، وهى توراة موسى عليه السلام. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ﴾ الأعراف / ١٥٧.

(٢٦) لا يألوهم: لا يقصّر فى دعوتهم.

٢٧ - فَمَنِ اسْتَجابَ لَهُ فَقَدْ حَازَ الرِّضا ... والأَمنَ والتَّأْيِيدَ والإِصْلاحا

٢٨ - ومَنِ اعْتَدَىٰ ظُلْمًا وخَالَفَ أَمْرَهُ ... كانَتْ عُقُوبَتُهُ ظُبًا ورِمَاحَا

٢٩ - ماضِي الأَوامِرِ لا مَرَدَّ لِحُكْمِهِ ... فِيما نَهَىٰ عَنْ فِعْلِهِ وأَبَاحَا

٣٠ - هُوَ طاهِرُ الأَنْسابِ لَمَّا يَجْتَمِعْ ... أَبَوَانِ فِي وَقْتٍ عَلَيْهِ سِفَاحَا

٣١ - مِنْ عَهْدِ آدَمَ لَمْ يَكُنْ آباؤُهُ ... يَرْضَوْنَ إِلاَّ بالعُقُودِ نِكاحَا

٣٢ - أَكْرِمْ بِهِ بَشَّرًا نَبِيًّا مُرْسَلاً ... طَلْقَ المُحَيَّا بالنَّدَىٰ نَفَّاحَا

٣٣ - ثَبْتًا قَوِيًّا فِي الجِهادِ مُؤَيَّدًا ... ثِقَةً أَمِينًا مُرْشِدًا نَصَّاحَا

٣٤ - يَسْمُو علىٰ الشَّمسِ المُنِيرَةِ وجْهُهُ ... والدُّرُّ يَحْسُدُ ثَغْرَهُ الوَضَّاحَا

٣٥ - وكَفَاهُ ما فِي الحِجْرِ مِن قَسَمٍ وما ... فِي نُونَ فَضْلاً يُعْجِزُ المُدَّاحَا

٣٦ - ولَبَعْضُ مُعْجِزِهِ لَتَسْبِيحُ الحَصَىٰ ... والماءُ مِنْ بَيْنِ الأَصابِعِ سَاحَا

٣٧ - والشَّرْحُ والمِعْراجُ والذِّكْرُ الذِي ... أَعْيَا أَلِبَّاءَ القُلوبِ فِصاحَا ١٦/أ

٣٨ - ولَهُ اللِّواءُ وحَوْضُهُ وشَفاعَةٌ ... تَكفِي المُرَهَّقَ جَاحِمًا لَوَّاحَا

٣٩ - ولَسَوفَ يُؤْتِيهِ الإِلَهُ مَقَامَهُ الْـ ... ـمَحْمُودَ جَلَّ مُهَيْمِنًا مَنَّاحَا

---

(٢٨) ظُبًا: سيوفًا. (٢٩) ماضى: نافذ.

(٣٠) سفاحًا: زنا. فكل آباء النبى ﷺ تزوجوا بنسائهم، ولم يولد أحد منهم سفاحًا، وسيفسر هذا البيت فى البيت التالى.

(٣١) قال ﷺ: «ليس فىَّ ولا فى آبائى من لدن آدم سفاح، كلها نكاح» أى كلها زيجات صحيحة بعقد صحيح [الحديث فى: الدر المنثور للسيوطى ٣ / ٩٤].

(٣٢) طَلْق: بشوش. المحيَّا: الوجه. النَّدى: العطاء. نفَّاحا: معطاء، من نفح النسيم بالرائحة الطيبة.

(٣٤) الدُّرّ: اللؤلؤ. الوضَّاح: المبتسِّم.

(٣٥) أقسم الله عز وجل بالنبى ﷺ فى سورة الحجر، وذلك فى قوله تعالى: ﴿ **لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ الحجر / ٧٢ . وما فى نون هو قوله تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ القلم / ٤ .

(٣٦) ساحَ: نبع. وسبق ذكر هاتين المعجزتين فى البائية الثالثة.

(٣٧) الشَّرح: شق صدره ﷺ. المعراج: صعوده فى السماوات. الذكر: القرآن الكريم. أعيا: أعجز. الألبَّاء: العقلاء، جمع لبيب. فصاحا: جمع فصيح.

(٣٨) المرهَّق: الذى كثرت ذنوبه وشروره. جاحما: جحيمًا وفى الأصل (جامحًا) وهو تصحيف.. لوَّاحا: محرقًا.

(٣٩) منَّاحا: كثير المنح والعطايا.

٤٠ - يا خَيْرَ مَنْ وَقَفَ المَطِيُّ بِهِ ولَوْ ... جَعَلَ الوَجَىٰ أجْسَامَها أَشْبَاحا

٤١ - وأحَقَّ مَنْ بَذَلَ الوَرَىٰ فى حُبِّهِ ... ومَزَارِهِ الأمْوالَ والأَرْواحا

٤٢ - إنِّى وإنْ بَعُدَ المَدَىٰ ما بَيْنَنَا ... أُهْدِى السَّلامَ عَشِيَّةً وصَبَاحَا

٤٣ - وأودُّ لَوْ أنِّى بَحَضْرَتِكَ الَّتى ... شَرُفَتْ فأَمْنَحُكَ السَّلامَ كِفَاحَا

٤٤ - أَعْدَدْتُ مَدْحَكَ للحَوادِثِ جُنَّةً ... وعَلَى الذُّنوبِ المُوبِقاتِ سِلاحَا

٤٥ - فامْنُنْ علىَّ بِنَظْرَةٍ يَحْيَا لَها ... قَلْبِى ويُصْبِحُ راضِيًا مُرْتاحَا

٤٦ - فَلأَنْتَ مَلْجَؤُنا الذى ما أَمَّهُ ... مِنَّا فَتًى إلا وَحَازَ نَجاحَا

٤٧ - واسْأَلْ لِىَ الرَّحْمٰنَ ثمَّ لِعِتْرَتِى ... صَوْنًا وجَاهًا شامِلاً وفَلاَحَا

٤٨ - وسَلامةً طُولَ الحَياةِ وَراحةً ... بَعْدَ المَمَاتِ وفِى المَعَادِ رَباحَا

٤٩ - واسْأَلْ لأُمَّتِكَ الحَيَا غَدِقًا فَقَدْ ... فَقَدَ المَزَارِعُ مَاءَها السَّيَّاحَا

٥٠ - والأَمنَ والعَيْشَ الرَّغِيدَ ونُصْرَةً ... لإمَامِهِمْ ومَعونَةً وصَلاحَا

٥١ - واسْأَلْ إلَهَكَ أن يَكونَ بِقَهْرِهِ ... لِعَدُوِّهِمْ مُسْتَأصِلاً مُجْتَاحَا

٥٢ فلَكَمْ تَمَلَّكَ جَيْشُكَ المَنْصُورُ مِنْ ... مَلِكٍ وجَدَّلَ فارِسًا جَحْجَاحَا

٥٣ - صَلَّىٰ عَلَيْكَ اللهُ ما سَرَتِ الصَّبَا ... وشَدَا حَمَامٌ فى الغُصونِ ونَاحَا

*****

---

(٤٠) الوجي : داء يصيب أخفاف الإبل من كثرة المسير. أشباحًا : أجسامًا بلا أرواح.

(٤٣) كفاحا : وجها لوجه.

(٤٤) جُنَّةً : وقاية . الموبقات : المهلكات.

(٤٧) عترتى : أهل بيتى.

(٤٩) الحيا : المطر. غَدِقًا : كثيراً غزيراً. السيَّاح : الكثير الجارى.

(٥١) مستأصلاً : مهلكاً لهم يَقتلعهم من أصولهم، ومثله : مجتاحاً.

(٥٢) جَدَّلَ : قتل. جحجاحا : سيدا كريما شريفا.

(٥٣) « ما » لبيان المدة الزمانية، أى صلى عليك الله صلاة دائمة أبداً، مادامت ريح الصَّبا تسرى، ومادام الحمام يشدو وينوح.

الحائية الثانية

(عدتها ٢٠ ـ البسيط الثانى)

هى قصيدة قصيرة تتكون من ٢٠ بيتًا، كلها شوق إلى أرض الأحباب، الأرض المقدسة، وما تحتوى عليه من بشر وحيوان وشجر وأزهار وتلال.

وتشتمل هذه القصيدة على موضوعين :

- الحنين إلى أرض الأحباب والدعاء لها.
- فى مديح النبى ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - مَسَّتْكِ يا دَارَةَ الأَحْبابِ أَفْراحُ ... وصَبَّحَتكِ مِنَ الأَقْبالِ أَرْواحُ

٢ - وجَادَ تُرْبَكِ مِنْ صَوْبِ النُّعَيْمِ حَيًا ... هَامِي الشآبيبِ فى الأَطلالِ سَحَّاحُ

٣ - ولا عَدَا رَوْضَكِ المَطْلُولَ نَشْرُ صَبًا ... مُعَنْبَرُ مَنْدَلِىٌّ العِطْرِ فَيَّاحُ

٤ - ولا جَفَا عَذَبَاتِ البَانِ مِنْكِ ضُحًى ... مُطَوَّقٌ غَرِدُ الأَلْحانِ صَدَّاحُ ١٦/ب

٥ - وماسَ رَنْدُكِ واهْتَزَّتْ خَمائِلُهُ ... كأَنَّهُ ثَمِلٌ دارَتْ لَهُ الرَّاحُ

٦ - ولا تَزالُ معَ الأَسْحَارِ دائِرَةً ... مِنَ المَعانِى علىٰ أَهْلِيكِ أَقْداحُ

٧ - أُخْفِى هَواكِ ودَمْعُ العَيْنِ يُظْهِرُهُ ... والدَّمْعُ للعَاشِقِ المَسْتُورِ فَضَّاحُ

٨ - أَلْتَاعُ إِنْ لَمْ أَجِدْ مَنْ عَنْكِ يُخْبِرُنِى ... وإِنْ بَدا مِنْ حِمَاكِ الرَّكْبُ أَرْتَاحُ

٩ - ولى إِلَيكِ وإِن جَدَّ الفِراق بنا ... طَرْفٌ إِذا رَقَدَ السُّمَّارُ طَمَّاحُ

١٠ - يا رِبَّةَ السِّتْرِ لولا الحُبُّ ما افْتَرَقَتْ ... لِلبَيْنِ بالنَّاسِ أَجْسادٌ وأَرْواحُ

١١ - فى رَبْعِكِ العَطِرِ الأَرواحُ عاكِفَةٌ ... وبالعِراقِ لِمَنْ يَهْواكِ أَشْباحُ

١٢ - ولِى بأَعْلامِ سَلْعٍ والعَقِيقِ حِمًى ... قَلْبِى إِلَيْهِ معَ السَّاعاتِ مُرْتاحُ

---

(١) الدارة: كل ما هو مستدير، وأراد بها هنا: موطن الأحباب. الأقبال: جمع قبول، وهى ريح طيبة، والأرواح: جمع ريح. يقول: ومرت عليك القبول الطيبة فى الصباح.

(٢) جاد: سقى. النُّعَيْم: موضع قرب المدينة [وفاء الوفا ٤ / ١٣٢١]. حَيَا: مطر. هامى: غزير. الشآبيب: جمع شؤبوب، وهو الدفعة من المطر. الأطلال: بقايا الديار. سحَّاح: منصبٌّ بغزارة.

(٣) لا عدا: لا جاوز. المطلول: الذى أصابه الطَّلّ، وهو النَّدَى. مُعَنْبَرٌ: ممزوج برائحة العنبر. مندلىٌّ: بخور هندى طيب الرائحة، منسوب إلى بلد بالهند تدعى «مندل». فيَّاح: منتشر الرائحة نفَّاذها.

(٤) عذبات البان: أغصان شجر البان. مطوَّق: حَمَامٌ، صدَّاح: يشدو بالغناء.

(٥) ماس: تمايل طربًا. الرند: نوع من الزهر. خمائله: أشجاره. ثمل: سكران. الراح: الخمر.

(٦) الأسحار: جمع سحر، وهو آخر الليل.

(٨) ألتاع: يزداد اشتياقى ولوعتى، ولعلها: أرتاع، لمجانسة (أرتاح) فى قافية البيت، كما هو دأب الصرصرى.

(٩) طَرْف: بصر. طمَّاح: يُديم النظر.

(١٠) البين: الفراق.

(١١) عاكفة: مقيمة. أشباح: أجسام بلا أرواح.

(١٢) أعلام: جبال.

١٣ ـ هُنَّ الشِّفاءُ لِمَنْ لَجَّ السَّقامُ به ... وللسَبيلِ إلى الخَيْراتِ مِفْتاحُ

١٤ ـ حِمًى شَريفٌ عَظيمُ القَدْرِ ساكِنُهُ ... للنَّاسِ في ظُلُماتِ الخَطْبِ مِصْباحُ

١٥ ـ مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الأعْيانِ خاتَمُهُمْ ... وإنَّهُ للهُدَىٰ فينا لَفَتَّاحُ

١٦ ـ بِفَضْلِهِ شَهِدَ العَرشُ العَظيمُ كَمَا ... تَضَمَّنَتْ وَصْفَهُ المَحْمودَ أَلْواحُ

١٧ ـ هَادٍ بَشيرٌ نَذيرٌ شاهِدٌ رَؤُفٌ ... بالمُؤْمِنينَ رَحيمُ القَلْبِ نَصَّاحُ

١٨ ـ بَرٌّ حَليمٌ جَوادٌ بالنَّدَىٰ قُثَمٌ ... سَهْلُ الخَلائِقِ بالخَيْراتِ نَفَّاحُ

١٩ ـ يُبْدي رِضاهُ لِمَنْ يَرْجُو فَضائِلَهُ ... ثَغْرٌ لهُ مُخْجِلُ للدُّرِّ وَضَّاحُ

٢٠ ـ عَلَيْهِ أَزْكَىٰ صَلاةِ اللهِ ما طَلَعَتْ ... شَمسٌ وما عَاقَبَ الإمْساءَ إصْباحُ

*****

---

(١٣) لجَّ: تزايد. السَّقام: المرض.

(١٤) الخطب: المصيبة.

(١٧) رَؤُفٌ: رَءوف، قصر المدَّ فيه لإقامة الوزن. نَصَّاحُ: كثير النصح.

(١٨) جواد: معطاء كريم. النَّدى: الجود والعطاء. قثم: جامع لمعانى الخير. نفَّاح: مبالغة من النَّفحْ، وهو العطاء الطيب.

قافية الخاء المعجمة

(عدتها ٢٠ ـ الكامل الثانى)

نظم الشاعر قصيدة واحدة قصيرة على روى الخاء، تتكون من عشرين بيتًا. والقصيدة كسابقتها حنين وأشواق إلى الأرض المباركة، وشعور مسيطر على الشاعر بأنه ممنوع من زيارتها، ربما بسبب حصار المغول لبغداد، لكنه يأمل فى الرجوع إلى أرض الأحباب، رحاب الرسول الكريم ﷺ.

تدور القصيدة حول العناصر الآتية :

- أسى لفراق الأرض المقدسة، وحنين إليها.
- فى مديح فاتح الخيرات ﷺ.
- استعطاف واستغاثة به ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - بَيْنَ السُّهادِ وبينَ جَفْنِكَ آخَىٰ ... زَمَنٌ تَقادَمَ عَهْدُهُ وتَراخىٰ

٢ - هلْ ناشِدٌ خَبَرَ الحِمَىٰ لِمُتَيَّمٍ ... صبٌ إذا ذُكِرَ الحِجازُ أصاخا

٣ - لولا جَوًى يَحْلُو لَهُ ما اعْتَاضَ عنْ ... رِيفِ الحَضارةِ حَرَّةً وسِباخا

٤ - يا سائِقَ البُدْنِ البَوازِلِ طالِبًا ... خَيْرَ المَنازِلِ للرِّكابِ مُناخا ١٧/أ

٥ - بَلِّغْ إلىٰ الحَرَمِ الشَّريفِ رِسالةً ... عَنْ ذِي بَلابِلَ وفْدُهُ مَا نَاخَا

٦ - هَلْ لِي إلىٰ تِلْكَ الأباطِحِ عَوْدَةٌ ... لا زَالَ صَوْبٌ غَمَامِها نَضَّاخَا

٧ - وإذا حَلَلْتَ بأرْضِ طَيْبَةَ دَارَةً ... جَمَعَتْ مَناقِبَ تُعْجِبُ النُّسَّاخَا

٨ - بَلِّغْ سَلامَ مُحَلأٍ عَنْ وِرْدِهِ ... والماءُ قَدْ رَوَّىٰ العِطَاشَ نُقَاخَا

٩ - فَبِعَطْفِ مَنْ فِيها يُبَدِّلُ خَوفُهُ ... أمْنًا ويُفْرِخُ رَوعُهُ إفْراخَا

١٠ - يا خاتَمَ الرُّسُلِ الكِرامِ وفاتِحَ الـ ... ـخَيْراتِ يا مُتَواضِعًا شَمَّاخَا

---

(١) السُّهاد: الأرق. تَرَاخَى: بَعُدَ.

(٢) ناشِدٌ: طالب. صبٌ: مشتاق. أصاخ: استمع. يقول: هل مَنْ يأتيني بخبر من أرض الحجاز، تلك التي كلما سمعت ذكرها تنبهت وأحسنت الاستماع ؟!.

(٣) جَوَى: ألم. الحَرَّة: أرض ذات حجارة سوداء كأنها أحرقت بالنار. السباخ: الأرض المالحة التي لا تنبت. يقول: لولا حبي للحجاز وأهله ما تعوضت بهذه الأرض المقفرة عن ريف الحضارة في العراق.

(٤) البُدن: جمع بدنة، وهي الناقة السمينة وغيرها مما يذبح من الأضاحي. البوازل: التي بلغت السنة الثامنة. مناخا: مكان إناخة الإبل.

(٥) بلابل: حيرة واضطراب. ناخ: أناخ بعيره، ولا يستعمل هذا الفعل مجردًا كما نص في اللسان، بل مزيدًا بالهمز ولعله لجأ إلى استعماله مجردًا للضرورة الشعرية.

(٦) نضَّاخا: غزيرا.

(٧) مناقب: فضائل. النُّسَّاخ: الكُتَّاب.

(٨) مُحَلأٌ: ممنوع من الشرب. نقاخا: زلالاً صافيًا. شبه نفسه وقد مُنِعَ من زيارة الأرض المباركة، بمن يرى الماء الصافي بعينه ولا يستطيع أن يرتوي منه؛ وذلك بسبب حصار المغول للعالم الإسلامي في تلك الحقبة.

(٩) أفْرَخَ روعه: ذهب عنه الرعب والفزع. وهو من أمثال العرب، على التشبيه بالبيضة إذا أفرخت.

(١٠) شمَّاخًا: شديد الشموخ، وهو الرفعة وعلو القَدْر.

١١ - يا مَنْ بِهِ الإِسْلامُ أصْبَحَ ظاهِراً ... وبِقَهْرِهِ الكُفْرُ المُشَقْشِقُ داخَا

١٢ - يا مَنْ رَسَتْ وسَمَتْ قَواعِدُ دِينِهِ ... وَبِهِ هَوَىٰ أُسُّ الضَّلالِ وسَاخَا

١٣ - يا خَيْرَ مَنْ شَدَّ الرِّحالَ لِقَصْدِهِ ... حادِي المَطِيِّ وفِي حِمَاهُ أَناخَا

١٤ - عَطْفاً علىٰ عَبْدٍ تَعَلَّقَ حُبُّكُمْ ... طِفلاً وفِي صِدْقِ المَحَبَّةِ شاخَا

١٥ - امْنُنْ عَلَيْهِ بِنَظْرَةٍ تَجْلُو الصَّدَىٰ ... عَنْهُ وتَنْفِي الهَمَّ والأَوْسَاخَا

١٦ - واسْأَلْ لِيَ اللهَ المُهَيْمِنَ عَزْمَ مَنْ ... فِي الدِّينِ أَضْحَىٰ ثابِتاً رَسَّاخَا

١٧ - فلَعَلَّنِي أُكْفَىٰ غَوائِلَ ناصِبٍ ... شُرُكاً لَنا مِنْ كَيْدِهِ وفِخَاخَا

١٨ - يَجْرِي معَ الدَّمِ بالوَساوِسَ نافِثاً ... فِي الصَّدْرِ هَمَّازاً بِهِ نَفَّاخَا

١٩ - وأفُوزُ بالبُشْرَىٰ إذا وَرَدَ الوَرَىٰ ... يَومَ القِيامَةِ جَاحِماً طَيَّاخَا

٢٠ - فَنَجَا التَّقِيُّ ولَمْ تَذَرْ فِي قَعْرِها ... إلاَّ شَقِيّاً مُعْوِلاً صَرَّاخَا

*****

---

(١١) ظاهراً: غالبًا. المشقشق: الصَّخَّاب المجاهر بالباطل. داخ: ذَلَّ وخضع.

(١٢) رَسَتْ: ثبتت. أسُّ: أساس. ساخَ: انهار.

(١٥) الصدى: العطش.

(١٦) رسَّاخا: شديد الرسوخ والاستقرار.

(١٧) غوائل: جمع غائلة، وهى الداهية المهلكة. شُرُكًا: جمع شَرَك، وهو المصيدة، يريد: الخدع والحيل.

(١٨) الوساوس: وسوسة الشيطان. والنفث: أقل من النفخ. والهمز: خطرات الشيطان. قال ﷺ: «إن الشيطان يجرى من ابن آدم مبلغ الدم» [الفتح، ك فرض الخمس ٦/٢٤٣، حديث رقم ٣١٠١ . مسلم بشرح النووى ٩/٢٣، كتاب السلام]. وقال ﷺ فى حديث افتتاح الصلاة: «اللهم إنِّى أعوذ بك من الشيطان، من همزه ونفثه ونفخه» [مسند أحمد ٥/٣١٨، حديث رقم ٣٨٣٠].

(١٩) الورى: الناس. جاحما: جحيمًا محرقًا، وفى الأصل: جامحًا، وهو تصحيف. طيَّاخا: شديدا مهلكًا.

(٢٠) لم تذر: لم تترك. قعرها: قاعها، والضمير لجهنم أعاذنا الله منها. مُعْوِلاً: صارخًا باكيًا.

قافية الدال

تضم قافية الدال ثلاث قصائد طوال، تتكون أولاها من (٤٨) ثمانية وأربعين بيتا، وهى دالية مضمومة، والثانية من ٤٠ بيتا وهى دالية مضمومة مردفة بالياء ، والثالثة من (٤٨) ثمانية وأربعين بيتا، وهى دالية مفتوحة مطلقة.

الدالية الأولى

(عدتها ٤٨ ـ البسيط الأول)

يعبر الصرصرى فى هذه القصيدة عن عاطفة مشبوبة من الشوق والحنين الغامر إلى الأرض المباركة، تلك التى حببت إليه الرحيل وقطع البوادى المهلكة، والتى يود لو يبذل روحه فداء لها، ويرى فى ترابها آثار خطا النبى المصطفى ﷺ.

وإذ لا سبيل إلى زيارة البقاع المقدسة، يحمل الشاعر أشواقه وثناءه العاطر إلى أرض الحجاز وساكنيه الذين سعدوا بقربهم من حمى النبى ﷺ، ثم يبدأ فى بث شكواه إلى حبيبه المختار ﷺ، من خطوب الزمان وما أصابه به من ضعف وهرم، ومن فقد الإخوان الصالحين، ومن انتشار للبدع الشنعاء ومخالفة للسنة الغراء، ومن فتنة التتر التى رمت صميم البلاد بفاقرة تقرحت لها الأكباد، وفتكت بالنسل والحرث.

فهو المرتجى فى مثل هذه الظروف الحالكة، لنصر الأمة على أعدائها، وهو ﷺ المؤيد بنصر الله، وحزبه هم الغالبون على كل الأنام إلى آخر الدهر، ثم يسرد بعض فضائل النبى ﷺ من تنقله فى الأصلاب الطاهرة، وسيادته على كل الخلائق، ونوره الذى أشرق له وجه السيدة آمنة بنت وهب منذ حملت به، وأشرقت به الأرض يوم مولده ، إلى آخر ما فاضت به قريحته من ثناء على سيد الأولين والآخرين ﷺ.

ثم يختم الشاعر قصيدته ـ كعادته ـ باستعطاف ممدوحه الكريم أن يمن عليه برؤيا تنعشه وتنقذ قلبه المحزون، وأن يشفع إلى الله فى إحسان خاتمته.

والعناصر التى تناولتها القصيده هى :

- أشواق وحنين إلى الأرض المباركة.
- شكوى إلى النبى الكريم ﷺ.
- فى مديح النبى ﷺ وسرد بعض معجزاته.
- دعاء واستغاثة.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - مـــاذَا أثَارَ بِقَلْبِى الشَّـــائِقُ الغَـــرِدُ ... لَمَّا غَدَتْ عِيسُهُ نَحْوَ الحِمَىٰ تَخِدُ

٢ - وَدِدْتُ لوْ أَنَّنِى أصْبَحْتُ مُتَّبِعًـا ... آثَارَهَا أَرِدُ المـــــــاءَ الَّذِى تَرِدُ

٣ - أهْوَىٰ الحِجَـازَ ولوْلا سَـاكِنُوهُ لَمَـا ... حَلاَ بنَجْـدٍ لِىَ التَّـهْجِيـرُ والنَّجَـدُ

٤ - ولا اطَّبَـــانِىَ بَرْقٌ فى أَبَارِقِـــه ... كَـأنَّه صَـارِمٌ فى مَـتْنِهِ رَفَـدُ ١٧/ب

٥ - هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلىٰ ذاتِ السُّتورِ ولَوْ ... أنَّ الظُّبَـا والقَنَا مِنْ دُونِهـا رَصَـدُ

٦ - فَـــفِى هَـواهَا قَلِيلٌ أن يُطَلَّ دَمِى ... وكَمْ لَهـا مِنْ قَـتِيلٍ مـا لَهُ قَـوَدُ

٧ - وبالعَـقِيقِ حَـبِيبٌ لو بَذَلْتُ لَهُ ... رُوحِى لَكَانَ يَسِيـرًا فِى الذِى أَجِـدُ

٨ - تُرابُ مَـرْبَعِـه الرَّحْبِ المُنِيـرِ بِهِ ... شِفَـاءُ عَيْنِى إذا مـا شَـفَّهـا الرَمَـدُ

٩ - يا راكِبًـا تَطِسُ البِيـدَ القِـفَـارَ بِهِ ... هَوْجَـاءُ عَنْسٌ أَمـونٌ جَسْـرَةٌ أُجُـدُ

١٠ - إذا وصَلْتَ حِـــمَىٰ سَلْعٍ وطَابَ بِهِ ... لَكَ المَـــقِـــيلُ وزالَ الأَينُ والفَنَدُ

---

(١) الشائق : الذى يشوّق الإنسان . الغَرِد : الطَرِب . تَخِد : من الوَخْد ، وهو نوع من سير الإبل السريع .

(٣) نجد : ما بين الحجاز إلى اليمامة ، أعلاها تهامة واليمن وأسفلها الشام والعراق [معجم البلدان : ٥ / ٣٠٤] . التهجير : السير فى الهجير . النَّجَد : الشدَّة والمشقة .

(٤) اطَّبانى : استمالنى وجذبنى ، وفى الأصل : اطانى ، ولا معنى له ، والمثبت من [النبهانية ٢ / ١٨] . الأبارق : جمع أبرق ، وهو الأرض ذات الرمل والحجارة . صارم : سيف قاطع . متنه : حدّه . الرَبَد : ما يعلو فوق الماء ، وفى الأصل : رَفَد ، وهو خطأ ، والتصويب من [النبهانية ٢ / ١٨] .

(٥) الظُّبا : السيوف . القنا : الرماح . رَصَد : ترصد من يأتى إليها وتتوعّده بالقتل .

(٦) يُطَلَّ : يهدر . القَوَدُ : القصاص .

(٨) شفّها : أصابها .

(٩) تَطِسُ : من الوَطْس ، وهو الضرب الشديد . هوجاء : صفة لموصوف محذوف ، والتقدير : ناقة هوجاء ، أى مسرعة تضرب بأخفافها الرمال والحجارة . عنس : صلبة . أمون : قوية لا يخشى عليها من العثار أو الإعياء . جسرة : ضخمة . أُجُد : قوية متينة ، وكلها صفات للناقة التى تطس البيداء ، أى تضربها بأخفافها مسرعة .

(١٠) المقيل : نوم القيلولة ، وأراد به هنا : الإقامة . الأين : التعب . الفَنَد : الضعف ، وأكثر ما يستعمل فى ضعف العقل والرأى ، وندر استخدامه بمعنى ضعف البدن . وفى [النبهانية ٢ / ١٩ : الأين والعَنَدُ ، والعند : سيلان العرق ، ولعله أصح] .

١١ - فقفْ بتلْكَ القبابِ البيضِ دامَ لَها ... منْ ذى الجَلالِ السَّنا والقُرْبُ والمَدَدُ

١٢ - وَأَدِّ بَعْدَ سَلامٍ نَشْرُهُ عَطِرٌ ... عَنّى قَصيدةَ مُثْنٍ وهْوَ مُقْتَصِدُ

١٣ - وقُلْ فَقَدْ أَبْلَغَ التَّبْليغُ فى وَطَنٍ ... ما خَابَ عَبدٌ إليه قاصِداً يَفِدُ:

١٤ - أَشْكُو إليكَ - رَسُولَ اللهِ - ما أَجِدُ ... منَ الخُطُوبِ التى أَعْيَا بِها الجَلَدُ

١٥ - عُمْرٌ أَنافَ عَنِ السِّتِّينَ خَالَطَهُ ... سُقْمٌ لأَعْبائِهِ وسْطَ الحَشا كَمَدُ

١٦ - ضَعْفٌ أُضيفَ إلىٰ ضَعْفٍ، وبعْضُهُمَا ... يُوهِى قُوَىٰ الجِسْمِ منّى وهْوَ مُنْفَرِدُ

١٧ - وهَمُّ رَيْحانِ قَلْبِى أنْ يَرَى بِهِمُ ... خَصَاصَةً شَامِتٌ دَيْدَانُهُ الحَسَدُ

١٨ - وفقدُ إخْوانِ صِدْقٍ صالحينَ مضَوْا ... كانوا هُمُ الرِّدْءَ إن غابُوا وإنْ شَهِدوا

١٩ - وفتنةُ البِدَعِ الشَّنْعاءِ قَدْ خَلَطَتْ ... علىٰ البَرِيَّةِ ما تَنْحُو وتَعْتَقِدُ

٢٠ - أَثَارَها خَلْفُ سوءٍ خالَفُوا سَلَفًا ... منْهَاجَ سُنَّتِكَ المُثْلَىٰ فَمَا رَشَدُوا

٢١ - وفتنةُ التَّتَرِ العُظْمَىٰ التى قَرِحَت ... مِنَّا لوقْعَتِها الأَحْشاءُ والكَبِدُ

٢٢ - رَمَتْ صَمِيمَ القَرَا منها بفاقِرةٍ ... لَمْ يَنْجُ من شَرِّها مالٌ ولا وَلَدُ

٢٣ - أَوْدَتْ بِمَنْ حَوْلَنا فَتْكًا، ولَيسَ لَنا ... إلاَّ إلىٰ وَعْدِكَ المَيْمونِ مُستَنَدُ

---

(١١) المدد: العطاء الإلهى. وهو كل ما يحتاج إليه الموجود لكى يبقى، فإن الله يُمدُّه بعطائه من النفس الرحمانى بالوجود وبكل ما يقوم به بقاؤه [انظر: اصطلاحات الصوفية للقاشانى، ص ٨١].

(١٢) مقتصد: معتدل فى ثنائه غير مبالغ، يريد أن مدحه للأرض المباركة وساكنيها لم يبلغ ما هى أهلٌ له وساكنوها.

(١٤) الخطوب: المصائب. الجلد: القوة والقدرة على التحمُّل.

(١٥) أناف: زاد. سقم: مرض. كمد: حزن شديد.

(١٦) يوهى: يُضْعف.

(١٧) رَيْحان قلبى: يعنى أولاده. خصاصةً: فقراً. دَيْدَانه: عادته. يقول: ومما زاد من أعبائى هموم أبنائى، خشية أن يصيبهم فقرٌ فيشمت فيهم الشامت الذى من عادته أن يحسد الناس.

(١٨) الرِّدْء: المُعين والناصر.

(١٩) تنحو: تقصد.

(٢٠) الخَلْف: الجماعة التى تَخْلُف سابقتها، أى تأتى بعدها.

(٢١) قَرِحَتْ: أصابها القروح، أى الآلام والجروح.

(٢٢) القَرا: الظهر، وصميمه: قوامه وعموده. فاقرة: داهية تكسر فقار الظهر.

(٢٣) أودت: أهلكت. الميمون: المبارك.

٢٤ - لا تَسْتَبِيحُ من الإسْلامِ بَيْضَتُهُ ... يَدُ العِدَىٰ وإن اعتَدُّوا وإن حَشَدُوا

٢٥ - وحِزْبُكَ الغالِبُونَ الظَّاهِرونَ علَىٰ ... كلِّ الأنَامِ إلىٰ أنْ يَنفَدَ الأبَدُ ١/١٨

٢٦ - شَهِدْتُ أنَّكَ خَيرُ النَّاسِ، ما وَلَدَتْ ... أُنْثَىٰ نَظِيرَكَ فِي الدُّنيا ولا تَلِدُ

٢٧ - ولَمْ يُنافِسْكَ فِي أصلٍ سَما بَشَرٌ ... ولم تَنَلْ رُتْبَةً نالَتْ يَداكَ يَدُ

٢٨ - نُقِلْتَ مِنْ كُلِّ صُلْبٍ طابَ مَحْتِدُهُ ... إلى بُطونٍ زَكَتْ ما شانَها نَكَدُ

٢٩ - حَلَلْتَ صُلبَ أبينا عِنْدَ مَهْبِطِهِ ... وصُلْبَ نُوحٍ وقدْ غَشَّىٰ الوَرَىٰ الزَّبَدُ

٣٠ - وكُنْتَ فِي صُلْبِ إبراهيمَ مُسْتَتِراً ... ونَارُ نمْروذَ أشْقَىٰ الخَلْقِ تَتَّقِدُ

٣١ - وحَازَ نُورَكَ إسماعِيلُ يُودِعُهُ ... أبناءَهُ الغُرَّ حَتَّىٰ حَازَهُ أُدَدُ

٣٢ - ونَالَ عَدْنانُ فِي الأنْسابِ مَنزِلَةً ... عُلْيا بِذِكْرِكَ لَمْ يُخْفَضْ لها عَمَدُ

٣٣ - ولَمْ يَزَلْ فِي مَعَدٍّ ثُمَّ فِي مُضَرٍ ... وهاشِمٍ بِكَ تاجُ الفَخْرِ يَنْعَقِدُ

٣٤ - حَتَّىٰ تَسَلَّمَ عَبدُ اللهِ مَنْصِبَهُ ... من شَيبَةِ الحَمْدِ لَمَّا اسْتَوْثَقَ الأمَدُ

٣٥ - ومُذْ حُمِلْتَ بَدا فِي وَجْهِ آمِنَةَ الـ ... أنْوارُ وهْيَ لِثِقْلِ الحَمْلِ لا تَجِدُ

---

(٢٤) بيضته : موضع قوته وسلطانه وعزته . اعتدُّوا : أعدُّوا العُدَّة وهى سلاح الحرب .

(٢٧) يقول : لم ينافسك بشر فى رفعة أصلك، ولم تنل يدٌ مانلت من الرتب الرفيعة .

(٢٨) محتده : أصله . شانها : عابها . نَكَدٌ : شؤم وخِسَّة . يقول : لقد تلقتك الأرحام الطاهرة من أصلاب الرجال ذوى الأصول الطيبة الكريمة .

(٢٩) الورى : مفعول به، فاعله الزبد، وهو ما يعلو وجه الماء، يشير إلى طوفان نوح عليه السلام .

(٣٠) نمروذ : هو الطاغية الذى أراد إحراق سيدنا إبراهيم - عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام - بالنار، فجعلها الله برداً وسلاماً [انظر الكامل لابن الأثير ١ / ٥٦] .

(٣١) حازه : غير واضحة فى الأصل، وما أثبته من [النبهانية ٢ / ٢٠] . أُدَد : أبو عدنان جد النبى ﷺ [انظر البداية والنهاية لابن كثير ٢ / ١٩٤] .

(٣٢) عَمَد : جمع عمود، يعنى مرتبة رفيعة لم يُصِبْها انحدار أو ضعف .

(٣٣) مَعَدّ، مضر، هاشم : من أجداد النبى ﷺ .

(٣٤) شيبة الحمد : عبد المطلب بن هاشم، جد النبى ﷺ . لما اسنوثق الأمد : لما حان وقت ظهوره ﷺ إلى الدنيا . وفى الأصل : حتى أقبل الأمد، ولا يظهر معناه، وما أثبته من [النبهانية ٢ / ٢٠] .

(٣٥) روى أصحاب السير أن السيدة آمنة بنت وهب أم سيدنا محمد ﷺ، لم تجد ما تجده النساء من آلام الحمل ومتاعبه [انظر سيرة ابن هشام ١ / ١٠٥ ، السيرة الحلبية ١ / ٦٩ ، طبقات ابن سعد ١ / ٦٠] .

٣٦ - وأشْرَقَت مُذْ ولِدْتَ الأَرْضُ وابْتَهَجَ الـ ... ـبَيْتُ الحَرامُ وحَارَ الجنَّةُ المُرَدُ

٣٧ - وكنتَ خَيْرَ نَبِيٍّ عندَ خَالِقِنا ... ورُوحُ آدمَ لَمْ يَنهَضْ بِها الجَسَدُ

٣٨ - فأبْصَرَ اسْمَكَ فَوقَ العَرْشِ مُكْتَتَبًا ... وتِلْكَ مَنزِلَةٌ لَمْ يُعطَها أَحَدُ

٣٩ - فَحِينَ تابَ دَعارَبَّ العِبادِ بِهِ ... فتَابَ حَقًّا عَلَيهِ الواحِدُ الأَحَدُ

٤٠ - وأنتَ يَومَ نُشورِ النَّاسِ سَيِّدُهُمْ ... أتْباعُكَ الغُرُّ لا يُحْصَى لهُمْ عَدَدُ

٤١ - وأنتَ فِيهِ بَشِيرُ القَومِ إنْ يَئِسُوا ... وأنتَ فِيهِ خَطِيبُ القَومِ إنْ وَفَدُوا

٤٢ - وفِي يَدَيْكَ لِواءُ الحَمْدِ ثُمَّ لَكَ الـ ... ـحَوْضُ الرَّواءُ إذا ما أَعْوَزَ الثَّمَدُ

٤٣ - لَكَ الشَّفاعَةُ عِندَ الكَرْبِ والعَرَقِ الـ ... ـطَّامِي وعِندَ جَحِيمٍ حَرُّها يَقِدُ

٤٤ - وبالوَسِيلَةِ تَحظَىٰ، وهْيَ مَنْزِلَةٌ ... عُلْيَا حَبَاكَ بِها ذُو العِزَّةِ الصَّمَدُ

٤٥ - وإنَّ حُبَّكَ فِي إيمانِنا سَبَبٌ ... مِنْ دونِهِ النَّفْسُ والأَمْوالُ والوَلَدُ

---

(٣٦) حارَ الجنَّةُ المُرَدُ: فى الأصل: وحاز الجنة المرد، وهو تصحيف، والصواب ما أثبته من [النبهانية ٢ / ٢١]. من دلائل نبوته ﷺ إرسال الشُّهُب على المردة أى: العتاة من الجن - الذين كانوا يتسمعون إلى الملأ الأعلى، فلما بعث النبى ﷺ حبست الشياطين، ومن أراد أن يتسمع إلى الملأ الأعلى أصابه شهاب ثاقب فأحرقه، قال الله تعالى:
﴿ وأنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وشُهُبًا ۞ وأنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا ﴾ الجن / ٨، ٩ .

(٣٩) أخرج الطبرانى والبيهقى وأبو نعيم والحاكم عن عمر بن الخطاب ﷺ أن النبى ﷺ قال: « لما أذنب آدم الذنب الذى أذنبه، رفع رأسه إلى السماء فقال: أسألك بحق محمد إلا غفرت لى. فأوحى الله إليه: ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك، لما خلقتنى رفعت رأسى إلى عرشك فإذا فيه مكتوب: لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ فعلمت أنه ليس أحدٌ أعظمَ عندكَ قدْرًا ممن جعلت اسمه مع اسمك. فأوحى الله إليه: يا آدم، إنه آخر النبيين من ذريتك، ولولا هو ما خلقتُكَ » [المعجم الصغير للطبرانى ٢ / ٨٢ ، مجمع الزوائد للهيثمى ٢ / ٨٢].

(٤٠) النشور: البعث. قال ﷺ: « أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر » [صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الإيمان ٣ / ٦٦ ، وقال ﷺ: « أنا أكثر الأنبياء تبعا يوم القيامة » [المرجع السابق ٣ / ٧٣].

(٤٢) أعوز: فُقِدَ واحتاج الناس إليه. الثَّمَدُ: الماء القليل. فالمؤمنون يرتوون من حوض النبى ﷺ، وغيرهم لا يجدون الماء يوم الظمأ الأكبر.

(٤٣) يقد: يتوقد.

(٤٤) الوسيلة: أعلى منازل الجنة، ولاينالها إلا عبدٌ من عباد الله، قال ﷺ: « وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لى الوسيلة حلَّت له الشفاعة » [مسلم بشرح النووى، ك الصلاة ٤ / ٨٥].

(٤٥) وإن حبَّك فى: فى الأصل: أنت حبك من، والأصوب ما أثبته من [النبهانية ٢ / ٢١].

٤٦ - فَبِالذِى أَجزَلَ النُّعْمىٰ عَلَيْكَ إِلىٰ يوْمِ المَعَادِ فلا نَقْصٌ ولا بَدَدٌ ١٨/ب

٤٧ - أَنْعِمْ عَلَىَّ برُؤْيا مِنْكَ تُنْعِشُنى وتُنْقِذُ القَلْبَ مِنِّى فَهْوَ مُضْطَهَدُ

٤٨ - واشْفَعْ إِلىٰ اللهِ فِى إِحْسانِ خاتِمَتِى فَإِنَّنِى بِكَ بَعْدَ اللهِ أَعْتَضِدُ

*****

---

(٤٦) أجزل : أكثر وأوسع . النُّعْمىٰ : النعمة . بَدَد : تفريق .

(٤٨) أعتضد : أستعين .

الدالية الثانية

(عدتها ٤٠ ـ الكامل الثانى)

ذكريات الصبا فى الرحاب الطاهرة هى محور هذه القصيدة، كما هى محور مهم فى المجموعة كلها، فالشاعر ـ هنا ـ يذكر عهود صباه وشبابه: تلك الأيام الجميلة العامرة بالوصال الروحى والرضا يغمر القلب فى جناب أحمد سيد البشر ﷺ، ويتحسر على عجزه عن لقاء الأحبة والبلاد الحبيبة، ولا يملك إلا أن يدعو لهم ولها بالسقيا والخصب.

ثم ينتقل إلى موضوعه الأساسى وهو مديح النبى ﷺ الذى منح هذه البقاع قداستها، وشاد قواعد مجدها وعزها، وهدى الناس إلى نور الإيمان ... ويستمر الشاعر فى سرد بعض صفات ممدوحه العظيم وخصائصه الشريفة، حتى يختم قصيدته بالتحية له والسلام عليه.

ويمكن إيجاز الأفكار الأساسية التى تضمنتها القصيدة فيما يلى :

- ذكريات من عهود الصبا والشباب.
- أشواق وحسرات فى البعاد.
- محمد ﷺ أصل الكرامة لتلك البقاع الطاهرة.
- بعض خصائصه وفضائله ﷺ.
- استغاثة وشكاية واستنصار.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - لِى بَيْنَ سَلَعٍ والعَقِيقِ عُهُودُ ... يَبْلَىٰ الزَّمانُ وذِكْرُهُنَّ جَدِيدُ

٢ - أَيَّامَ أَرْفُلُ فى جَلابيبِ الصِّبَا ... وعَلَىَّ مِنْ خُلَعِ الوِصالِ بُرودُ

٣ - فِى مَرْبَعٍ رَحْبِ الجَوانِبِ للرِّضَا ... والرَّوْحِ فيه طائرٌ غَرِّيدُ

٤ - حَرَمٌ به رَوْضُ المَعانى نَاضِرٌ ... لِذَوِى القُلوبِ وظِلُّهُ مَمْدُودُ

٥ - كُلُّ اللَّيالِى للمُحِبِّ بِجَوِّهِ ... لَيْلُ السُّعُودِ وكُلُّ يَومٍ عِيدُ

٦ - إنَّ امْرَءًا يُمْسِى ويُصْبِحُ عاكِفًا ... بِجَنابِهِ العَطِرِ الثَّرَى لَسَعِيدُ

٧ - لوْلاهُ لَمْ يَعْذُبْ بِخَرْقِ مَسامِعِى ... ذِكْرُ العُذَيْبِ ولَمْ يَرُقْهُ زَرُودُ

٨ - تُدْنِيهِ بالآلامِ أَحْلامُ الكَرَىٰ ... مِنِّى وإنَّ مَزارَهُ لَبَعِيدُ

٩ - وأَظَلُّ بالأَشْواقِ أَطْوِى نَحْوَهُ ... ما لَيْسَ تَقْطَعُهُ الرِّكابُ القُودُ

١٠ - وَاهًا لأَوْقاتٍ صَفَتْ فَكأَنَّها ... فِى جِيدِ أَيَّامِ الزَّمانِ عُقُودُ!

١١ - سَلَفَتْ لَنا بَيْنَ القِبابِ، فهَلْ لَها ... لِزَمانِنَا المَاضِى علَىَّ مُعِيدُ؟

١٢ - شَوْقِى إلىٰ مَنْ حَلَّها شَوْقٌ إذا ... نَقَصَ الوِدادُ على البِعادِ يَزِيدُ

١٣ - إنْ مُتُّ مِنْ وَجْدِى بها وصَبابَتِى ... فَقَتِيلُ أَسْيافِ الغَرامِ شَهِيدُ

١٤ - كَيْفَ اللِّقاءُ ودُونَ مَن أَحْبَبْتُهُ ... وعْرُ الحِجازِ ومِنْ تِهامَةَ بِيدُ ؟

١٥ - سَقْيًا لِرَبْعٍ نازِحٍ دانٍ حَوَىٰ ... شَرَفًا على الآبادِ لَيْسَ يَبِيدُ

---

(٢) أرفل : أتمايل متبخترًا طربًا . خُلَع : جمع خلعة ، وهى الموهبة والمنحة ، والخُلعة فى اصطلاح الصوفية : العطاء الإلهى الذى لا كسب للعبد فيه .

(٣) الرَّوْح : الراحة ، مثل الرضا والراحة بطائر مغرِّد .

(٦) عاكفا : مقيما . بجانبه : بجواره . فى الأصل : بجناب أحمد العطر الشَّذى لسعيد ، ووزنه مكسور ، صوابه ما أثبته من [النبهانية ٢ / ٢٢] .

(٧) العذيب وزرود : موضعان من منازل حجاج العراق ، سبق التعريف بهما .

(٨) الكرى : النوم .

(٩) الركاب القود : الإبل المذلَّلة المطيعة فى سيرها .

(١١) سلفت : مضت .

(١٥) نازح : بعيد . حوى : فى الأصل (هوى) ، وما أثبته - وهو الأصح - من [النبهانية ٢ / ٢٣] . الآباد : الأزمنة الطويلة ، جمع أبد . يبيد : ينقطع ويهلك .

١٦ - أَقْمارُ أفْلاكِ الكَمالِ مُنيرَةٌ ... بِسَمائِهِ ونُجومُهُنَّ سُعودُ

١٧ - بِرُبَاهُ نَوْرُ المَجْدِ غَيْرُ مُصَوَّحٍ ... لِمَنِ اغْتَدَىٰ للمَكْرُمَاتِ يَرُودُ

١٨ - غَيثُ المَواهِبِ والرِّضا يَهْمِي عَلىٰ ... أفْنانِ دَوْحِ رِياضِهِ ويَجُودُ ١/١٩

١٩ - جُمِعَت لَهُ بِمُحَمَّدٍ غُرَرُ النُّهَىٰ ... وبِهِ اسْتَقَرَّ النَّصْرُ والتَّأْيِيدُ

٢٠ - طَوْدُ الفَضائِلِ فِيهِ راسٍ راسِخُ الْـ ... أرْكانِ والشُّمُّ الرِّعانُ تَمِيدُ

٢١ - فِيهِ الجَلالَةُ والمَهابَةُ والهُدَىٰ ... والبِرُّ والتَّقْوَىٰ وفِيهِ الجُودُ

٢٢ - وعَلَيْهِ أَلْوِيَةُ السَّنَا مَعْقُودَةٌ ... حَتَّىٰ يَلُوحَ لِوَاؤُهُ المَعْقُودُ

٢٣ - وحِيَاضُ سُنَّتِهِ هَنِيءٌ وِرْدُها ... حَتَّىٰ يُهَيَّأَ حَوْضُهُ المَوْرُودُ

٢٤ - هِيَ مَنْهَجُ الحَقِّ السَّدِيدِ لِمُقْتَدٍ ... وسَبِيلُ سالِكِ غَيْرِها مَسْدُودُ

٢٥ - مَرْضِيَّةٌ عَزَماتُهُ مَقْبُولَةٌ ... والمُسْتَخِفُّ بأمْرِها مَرْدُودُ

٢٦ - مَنْ يَعْتَصِمْ بِحِبَالِها فَلَقَدْ نَجَا ... مِمَّا يَخافُ وإنَّهُ لَرَشِيدُ

٢٧ - ولَقَدْ سَمَا بينَ البَرِيَّةِ قائِمًا ... بالحَقِّ فِيها والأنامُ قُعُودُ

٢٨ - نِعْمَ الرَّسُولُ بِنُورِهِ الشِّرْكُ انجَلَىٰ ... عَنَّا وَصَحَّ لَنا بِهِ التَّوْحِيدُ

٢٩ - هوَ شاهِدٌ مُتَوَكِّلٌ ولَوَصْفُهُ ... بَيْنَ الكِرامِ أُولِي النُّهَىٰ مَشْهُودُ

٣٠ - لا يَسْتَطِيعُ لوَصْفِهِ حَصْرًا ولَوْ ... أَفْنَىٰ القَوافِيَ فِي المَدِيحِ مُجِيدُ

٣١ - أَنَّىٰ، وبالخُلُقِ العَظِيمِ اخْتَصَّهُ ... رَبٌّ عَظِيمٌ فِي الصِّفاتِ مَجِيدُ؟

٣٢ - يا خَيْرَ مَنْ تَفِدُ الرَّكائِبُ نَحْوَهُ ... وأَجَلَّ مَنْ تَسْعَىٰ إلَيْهِ وُفُودُ

٣٣ - يا مَنْ بِهِ أَضْحَتْ قَبائِلُ هاشِمٍ ... لأُسُودِ أبْطالِ الرِّجالِ تَسُودُ

---

(١٧) نَوْر: زهر. مصوَّح: يابس جاف. يرود: يطلب.

(١٨) غيث: مطر. يهمي: يسيل بغزارة. أفنان: أغصان. دوح: جمع دوحة، وهي الشجرة العظيمة. يجود: يسقى بماء غزير.

(٢٠) طود: جبل. راسٍ: ثابت. الشُّمّ: الجبال العالية، ومثلها الرِّعان. تميد: تضطرب وتتحرك.

(٢٢) يريد أن ربع النبي سيظل منيرا بنور هديه إلى يوم القيامة حين يأخذ لواء الحمد بيده.

(٢٧) قائمًا: حال من فاعل (سما)، وفي الأصل: قائمٌ، وما أثبتُه من [النبهانية ٢/٢٣].

(٢٨) بنوره: في الأصل: بنورك، وفي النبهانية: بنوره، وهو الأصح؛ لكون الضمائر كلها للغائب.

(٣١) أنَّى: كيف.

٣٤ - قد مَسَّنا الضُّرُّ الشَّديدُ وشفَّنَا ... فى كُلِّ عامٍ يُقْبِلُ التَّهْديدُ

٣٥ - إنْ لَمْ يَكُنْ فى الحالِ شَرٌّ حاضِرٌ ... فَلَقَدْ أتانا للعَدُوِّ وَعيدُ

٣٦ - فأغِثْ ضِعافًا ما لَهُمْ مِنْ قُوَّةٍ ... إنْ لَمْ تُغِثْهُمْ فالعَدُوُّ عَنيدُ

٣٧ - فإلَىٰ مَنِ الشَّكْوَىٰ إذا أهْمَلْتَنا ... أنَّىٰ وَرُكْنُكَ بالإلَهِ شَديدُ؟!

٣٨ - فَلَقَدْ نُصِرْتَ بِرُعْبِ شَهْرٍ والصَّبَا ... ولَكَ المَلائكُ فى الحُروبِ جُنودُ

٣٩ - لا زِلْتَ مَخْصُوصًا بِكُلِّ تَحيَّةٍ ... مِنَّا عَلَيْها للقَبُولِ شُهودُ ١٩/ب

٤٠ - يَأتِى بِها مَلَكٌ كَريمٌ مُبْلِغٌ ... ما لا يُطيقُ لَهُ البَلاغَ بَريدُ

*****

---

(٣٤) شفَّنا: أصابنا وأضعف قُوَّتَنا.

(٣٦) يشير فى الأبيات (٣٤-٣٦) إلى هجمة التتر على العالم الإسلامى.

(٣٩) أثبت النبهانى بيتا آخر قبل هذا البيت ليس موجودا فى الأصل، وهو:

ولأنْتَ فى الدَّارَيْنِ أنْجَحُ شافعٍ ... ومَقامُ فَضْلِكَ فيهِما محمودُ

[النبهانية ٢/ ٢٤].

الدالية الثالثة

(عدتها ٤٨ ـ الخفيف الأول)

يخاطب الشاعر فى هذه القصيدة ركبان الحجيج وهم فى طريقهم إلى الأرض المباركة، ويدعوهم « ولاة الفلا »، راجيًا أن يعيدوا على مسامعه ذكرياته الطيبة فى هذه الرحاب، سارداً المواقع التى يجتازها الحجيج فى سبيلهم إلى الحرم الشريف، فهذه البقاع هى الشفاء من كل سقم، ولا غرو ففيها يرقد جثمان النبى الطاهر ﷺ، أكمل العالمين علمًا ويقينًا واجتهاداً وزهداً... إلخ، معدداً بعض مآثر الرسول ﷺ وفضائله ومعجزاته، منهيًا القصيدة بإهداء السلام إلى روحه ﷺ.

والقصيدة تتضمن الأفكار الآتية :

- ذكريات وأشواق.
- فى مديح النبى ﷺ والثناء عليه.
- النبى ﷺ درع الأمة وملاذها فى حياته وبعد مماته.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - يا وُلاةَ الفَلا ذَمِيلاً ووَخْدا ... كَيْفَ خِلْتُمْ لِيَ العُذَيْبَ ونَجْدَا؟!

٢ - هَلْ جَرَىٰ بَعْدَنا النَّسِيمُ مَريضًا ... فى ثَراهُ فَهَزَّ بَانًا ورَنْدَا؟

٣ - أمْ كَسَتْ مِنْ رُباهُ أيْدِى الغَوادِى ... كُلَّ عِطْفٍ مِن الأزاهِرِ بُرْدَا؟

٤ - خَبِّرُونِى كَيْفَ الحِجازُ وهَلْ مَرَّ ... تْ بأعْلامِهِ الرَّكائِبُ تُحْدَىٰ؟!

٥ - ثُمَّ قُصُّوا عَلَىَّ مِنْ نَبَأِ الخَيْـ ... ـفِ حَدِيثًا يُهْدِى إلى القَلْبِ بَرْدَا

٦ - واذْكُروا لى ذاتَ السُّتُورِ عَساكُمْ ... أنْ تُجِدُّوا بِذِكْرِها لِيَ عَهْدَا

٧ - كَيْفَ أضْحَىٰ جَنابُها الرَّحْبُ لا زَا ... لَ مَراحًا للعاكِفِينَ ومَغْدَىٰ

٨ - وأهَلَّ الوُفُودُ مِنْ كُلِّ فَجٍّ ... كُلَّ عامٍ إليهِ بالبُدْنِ تُهْدَىٰ

٩ - وَصِفُوا لِى بَيْنَ الصَّفَا والمُصَلَّىٰ ... مَنْهَلاً طابَ للمُحِبِّينَ وِرْدَا

١٠ - ومُقامًا بأرْضِ نَعْمانَ لا زَا ... لَ علىٰ الوَقْدِ ظِلُّهُ مُمْتَدَّا

١١ - وأجِيلُوا ذِكْرَ العَقِيقِ بِسَمْعِى ... فَهْوَ أغْلَىٰ عِنْدِى وأحْلَىٰ مَرَدَّا

١٢ - وانْشُدُوا لِى مَا ضَلَّ مِنْ زَمَنِ الوَصْـ ... ـلِ بِسَلْعٍ فَلَيْتَهُ لِىَ رُدَّا

١٣ - ومُنَاخًا بالسَّفْحِ قَلَّتْ له الرُّو ... حُ فِداءً لَوْ كانَ بالرُّوحِ يُفْدَىٰ

١٤ - واطْلُبُوا بالقِبابِ بُرْءَ سَقامِى ... فَبِتِلْكَ القِبابِ آنَسْتُ رُشْدَا

---

(١) ولاة الفلا: المسافرون، سمَّاهم بهذا لكثرة أسفارهم فى الفلا. الذميل والوخد: لونان من سير الإبل، فالذميل: السير الهادئ، والوخد: السير السريع. خلتم: رأيتم، من التخيل. وجاء عجز البيت فى النبهانية ٢ / ١٤ ، هكذا:

كَيْفَ خَلَّفْتُمُ الغُوَيْرَ ونَجْدَا

(٢) النسيم المريض، والعليل: كناية عن هدوئه وطيبه. البان: شجر عظيم. الرَّنْد: زهر طيب الرائحة، وهو الآس.

(٣) الغوادى: السحب، جمع غادية.

(٤) تُحْدَى، من الحُداء، وهو الغناء. وذلك لأنهم كانوا يغنون للإبل أثناء السير.

(٧) مَرَاحًا: اسم مكان من (راح - يروح) أى يروح إليها الحجاج. مَغدى: اسم مكان من (غدا - يغدو).

(٨) أهلَّ: رفع صوته بالتلبية. الفج: الطريق الواسع. البدن: الإبل التى تُهْدَى إلى الحرم، وهى من مناسك الحج.

(١٤) برء: شفاء. سقامى: مرضى. آنست: شعرت ووجدت. رشدًا: هداية.

١٥ - ثُمَّ تَمَّ الفَخَارُ واجْتَمَعَ الفَضْـ ـلُ وأَضْحَتْ لِذِى المَآرِبِ قَصْدَا

١٦ - بِأَبَرِّ الأَنْسَابِ جَدًّا وأَحْظَى الـ ـنَّاسِ جَدًّا وأَعْظَمِ النَّاسِ جِدَّا

١٧ - أَكْمَلِ العَالَمِينَ عِلمًا وإِيقَا نًا وأَعْلاهُمُ اجْتِهَادًا وزُهْدَا

١٨ - وأَتمِّ الأَنامِ حِلمًا وأَسْخَى بالعَطَايا كَفًّا وأَصْدَقِ وَعْدَا

١٩ - وأَشَدِّ الرِّجَالِ بأسًا إذا مَا أَذْكَتِ الحَرْبُ فى الأَسِنَّةِ وَقْدَا ١/٢٠

٢٠ - فَاتِحِ الخَيْرِ خَاتَمِ الرُّسُلِ الزُّهْـ ـرِ سِرَاجِ الهُدَى العَزِيزِ المُفَدَّى

٢١ - أَحْمَدُ الهَاشِمِىُّ أَحْمَدُ دَاعٍ بِبَيَانٍ إلى الرَّشَادِ وأَهْدَى

٢٢ - حَمَلَتْهُ الحَصَانُ آمِنَةُ الطُّهْـ ـرُ فَلَمْ تَشْكُ مُدَّةَ الحَمْلِ جَهْدَا

٢٣ - ولَقَدْ عَايَنَتْ جَمِيعَ قُصورِ الـ ـشَّامِ جَهْرًا بِنُورِهِ إذ تَبَدَّى

٢٤ - وبِمِيلادِهِ تَضَاعَفَ نُورُ الْـ ـبَيْتِ نُورًا وزَادَ عِزًّا ومَجْدَا

٢٥ - وبِهِ اسْتَبْشَرَ المِهَادُ وأَظْهَرْ نَ ابْتِهَاجًا لَمَّا تَبَوَّأَ مَهْدَا

٢٦ - ولَقَدْ حَارَتِ الشَّيَاطِينُ لَمَّا شَاهَدَتْ حَوْلَهُ المَلائِكَ جُنْدَا

٢٧ - جَاءَ يومَ الإِثْنَيْنِ ثَانِىَ عَشْرٍ مِنْ رَبِيعٍ بِهِ التَّوَارِيخُ تُبْدَا

٢٨ - خَرَّ للهِ سَاجِدًا لَمْ يُعَالَجْ بِخِتَانٍ ، زَكَا وقُدِّسَ عَبْدَا

---

(١٥) المآرب : الأغراض والمقاصد .

(١٦) جَدًّا : الأولى أبو الأب، والثانية بمعنى : الحظ والنصيب . (جِدًّا) بكسر الجيم فى قافية البيت : اجتهادا .

(١٩) أذكت : أشعلت . وَقدًا : نارًا .

(٢١) أحمد الهاشمى : النبى الكريم محمد ﷺ . أحمد داع : خير داعٍ، يحمده الله تعالى ويحمده الناس .

(٢٢) الحصان : العفيفة . الطهر : الطاهرة، من باب الوصف بالمصدر، كما يقال : رجلٌ صِدْقٌ وَعدْلٌ، أى : صادق وعادل .

(٢٣) عاينت : رأت . تبدَّى : ظهر . جاء هذا الخبر فى كثير من كتب السنة وكتب السيرة : عن العرباض بن سارية أن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نورًا أضاءت منه قصور الشام .
[مسند أحمد، حديث رقم ١٦٥٢٥ ، سنن الدارمى، كتاب المقدمة، حديث رقم ١٣ ، دلائل النبوة للبيهقى ١ / ٨٠] .

(٢٥) المهاد : الأرض، المهد : فراش الطفل .

(٢٨) قُدِّس : طُهِّر ونزه عن كل خبث .

٢٩ - وَضَعَتْ أجْمَلَ البَرِيَّةِ وجْهًا ... قَدْ كَسَتْ منهُ رَوْضَةُ الحُسْنِ خَدَّا

٣٠ - أدْعَجَ العَيْنِ أوْطَفَ الهُدْبِ أقْنَى الـ ... ـأنْفِ فَوْقَ الجَبِينِ نُونَاهُ مُدَّا

٣١ - شَفَتَاهُ والثَّغْرُ دُرٌّ ويَاقُو ... تٌ ونَثْرُ الكَلامِ يُنْظَمُ عِقْدَا

٣٢ - سَاعِداهُ كَفِضَّةٍ وتَظُنُّ الـ ... ـكَفَّ مِنْهُ فِي لِينَةِ اللَّمْسِ زُبْدَا

٣٣ - وَهْيَ إمَّا شَمَمْتَهَا جَوْنَةُ العِطْـ ... ـرِ وغَيْثُ السَّمَاءِ إنْ رُمْتَ رِفْدَا

٣٤ - أنْورُ الصَّدْرِ حَلَّ فِي كَتِفَيْهِ ... خَاتِمٌ حَلَّ مَا ثَنَى الكُفْرُ عَقْدَا

٣٥ - أوْضَحُ النَّاسِ مَفْرِقًا وأجَلُّ الـ ... ـنَّاسِ فَرْعًا وأقْوَمُ النَّاسِ قَدَّا

٣٦ - جَمَعَتْ ظِئْرُهُ حَلِيمَةُ سَعْدٍ ... بِرَضَاعِ الحَلِيمِ فَخْرًا وسَعْدَا

٣٧ - شَرَحَتْ صَدْرَهُ بِمَرْبَعِهَا الأمْـ ... ـلاكُ شَرْحًا أوْلاهُ قُرْبًا ووُدَّا

٣٨ - كَانَ يَغْدُو مِنْ غَيْرِ كُحْلٍ كَحِيلاً ... وعُيُونُ الأقْرَانِ تُصْبِحُ رُمْدَا

٣٩ - ووَقَاهُ وهْوَ ابْنُ خَمْسٍ غَمَامٌ ... لأذَى الحَرِّ عَنْهُ فِي الصَّيْفِ رِدَّا

٤٠ - لَمْ يَزَلْ يَنْشَأُ النَّبِيُّ أتَمَّ الـ ... ـنَّشْءِ حَتَّى وَافَى الكَمَالَ الأشَدَّا ٢١/ب

٤١ - فَأضَاءَتْ شَمْسُ النُّبوَّةِ فَاجْتَا ... بَتْ ظَلامَ الضَّلالَةِ المُسْوَدَّا

٤٢ - نَصَحَ العَالَمِينَ حَتَّى أتَاهُ ... أمْرُ حَقٍّ فَلَمْ يَجِدْ مِنْهُ بُدَّا

---

(٣٠) أدعج: شديد سواد العين، واسعها. أوطف: طويل الأهداب. فى الأصل: (أقطف)، وهو خطأ من الناسخ، والصواب من [النبهانية ٢ / ١٧]. أقنى: طويل الأنف، مع تحدب فى وسطه. نوناه مدًا: شبه اتساع جبينه ﷺ بنونين ممدودتين.

(٣١) درٌّ: لؤلؤ. ياقوت: حجر كريم أحمر اللون.

(٣٣) جونة: زجاجة العطر. رفدا: عطاء.

(٣٤) أنور: منير مشرق. خاتم: خاتم النبوة فى كتفيه ﷺ.

(٣٥) المفرق: موضع فرق الشعر فى وسط الرأس. فرعًا: شعرًا، قدًّا: قامةً.

(٣٦) ظئره: مرضعته، حليمة السعدية.

(٣٧) أولاه: أعطاه.

(٣٨) الأقران: الأمثال فى العمر. رُمدًا، جمع أرمد [انظر فى صفة النبى ﷺ: صحيح البخارى، كتاب المناقب ـ الفتح ٧ / ٦٥١ : ٦٦٩ ، دلائل النبوة للبيهقى ١ / ١٩٤ ـ ٢٠٣ ، الشمائل الترمذية ٢٧ : ١٣٧] .

(٤١) اجتابت: بددت وأذهبت.

٤٣ - فـــأقـــامَ الدِّينَ الحَنِيفَ بأَيْدٍ ... ثُـــمَّ وَفَّـــىٰ حَـــقَّ الإلـــهِ وأَدَّىٰ

٤٤ - فَـــهُـــوَ الآنَ فى مَـــزِيدٍ وقُـــرْبٍ ... وهُـوَ الآنَ بِـالـمَـنـافِعِ أَجْـــدَىٰ

٤٥ - يَوْمُ الاثْنَيْنِ والخَـــمِـــيسِ إذا عُـــدَّ ... عَلَيْـــهِ كَـــسْبُ الـمُـــوَحِّـــدِ عُـــدَّا

٤٦ - يَسْـــأَلُ اللهَ لِلـمُـــسِيءِ وإنْ عَـــا ... يَنَ حُـــسْنًا أَهْدَىٰ إلىٰ اللهِ حَـــمْـــدَا

٤٧ - وَغَـــدًا يَبْـــذُلُ الشَّـــفـــاعَـــةَ لِلْعَـــا ... صِـــينَ حَـــتَّىٰ ينالَهَـــا مَنْ تَعـــدَّىٰ

٤٨ - فَـــعَلَيْـــهِ السَّـــلامُ مـــا أَقْـــبَلَ ... اللهُ بِـالقُـــرْبِ مِنهُ مُـــمِـــدَّا

*****

---

(٤٣) بأيْد: بقوة.

(٤٤) أجدى: أكثر نفعًا.

(٤٦) قال ﷺ: «حياتى خيرٌ لكم ومماتى خيرٌ لكم، تعرض علىَّ أعمالكم يوم الإثنين ...، فما وجدت من خيرٍ حمدت الله عز وجل، وما وجدت من شرٍ استغفرت الله» [الإتحافات السنية ٩ / ١٧٦ - ١٧٧ ، المطالب العالية ٣٨٥٣].

(٤٧) تعدَّى: ظَلَم.

قافية الذال المعجمة

نظم الشاعر على هذا الروى الحوشى قصيدتين، أولاهما من (٤٠) أربعين بيتًا، والأخرى من (٢٣) ثلاثة وعشرين بيتًا، وكلتاهما تعدُّ قصيدة طويلة على هذا الروى الصعب.

الذالية الأولى

(عدتها ٤٠ ـ الطويل الثانى)

ذالية مكسورة مطلقة، احتشدت قوافيها بالألفاظ الصعبة. وكلها حنين إلى أرض الحجاز وسكانها ﷺ.

وتضمنت القصيدة ثلاثَ أفكار :

- رسالة شوق وحنين إلى النبى ﷺ.
- فى مديح النبى ﷺ.
- فى الدعوة إلى الاعتصام بالسنة المطهرة وأنوارها.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - قِفَا بِحِمَىٰ سَلْعٍ فَسَاكِنُهُ الَّذِى ... مِنَ الحَادِثِ المَرْهُوبِ أَصْبَحَ مُنْقِذِى

٢ - حَبِيبٌ إِذا مَا جَادَ مِنهُ بِنَظْرَةٍ ... نَعِمْتُ بِرؤْيَاهُ وطَالَ تَلَذُّذِى

٣ - فإِنْ غَابَ عَنْ عَيْنَىَّ أَنْكَرْتُ عِيشَتِى ... وضَاقَ عَلَىَّ الرَّحْبُ مِنْ كُلِّ مَنْفَذِ

٤ - وكَيْفَ اصْطِبارُ القَلبِ عَنْ وَجهِ سَيِّدٍ ... جَمِيلٍ بآياتِ الكِتابِ مُعَوَّذِ

٥ - بِنَفْسِىَ شَمْسَ الصَّحْوِ فى رَوْنَقِ الضُّحَىٰ ... عَلَى غُصُنٍ بِالسَّلْسَلِ العَذْبِ قَدْ غُذِى

٦ - رَضِيتُ بأَنْ يَرْضَىٰ بأَنِّى عَبْدُهُ ... وَلَيْسَ عَلَىٰ ذِى الصِّدْقِ هَذا بِمأْخَذِ

٧ - ومَا فَخْرُ عَبْدٍ لا يَكونُ ولاؤُهُ ... لأَكْرَمِ خَلْقِ اللهِ حَافٍ ومُحْتَذِ

٨ - وأَحْسَنِهِمْ وجْهًا وأَحْلَىٰ شَمَايِلاً ... إِذا مَا تَثَنَّىٰ فى رِداءٍ ومِشْوَذِ

٩ - أَبِى القَاسِمِ المُخْتَارِ أَشْرَفِ مُرسَلٍ ... وأَزْكَىٰ أَمِينٍ لِلأَوامِرِ مُنْفِذِ

١٠ - هُوَ الرَّحْمَةُ المُهْدَاةُ والنِّعْمَةُ التِى ... بِهَا جَبَرَ الرَّحْمَنُ كُلَّ مُوَقَّذِ

١١ - وَذُو النَّقَمَاتِ المُوبِقَاتِ عَدُوَّهُ ... بِكُلِّ حُسَامٍ ذِى غِرارٍ مُشَحَّذِ

١٢ - تَعَطُّفُهُ بَرْدٌ ورَوْحٌ ورَاحَةٌ ... عَلَى كَبِدٍ حَرَّىٰ وقَلْبٍ مُفَلَّذِ ٢٢/ب

١٣ - وإِعراضُهُ يَرْمِى فَيُصْمِى حَشَا الفَتَى ... مِنَ الضُّرِّ والبَلْوَىٰ بِسَهْمٍ مُقَذَّذِ

---

(٥) بنفسى : أفدى بنفسى . رَوْنَق الضُّحى : أول وقت الضحى، ورونق كل شيء : ما صَفَا وحَسُن منه . السَّلسَل : الماء العذب البارد .

(٧) حاف : غير لابس حذاء . محتذ : مرتد حذاءً . وعطف الضدين كناية عن العموم ، أى : أكرم خلق الله جميعا، وكان الأولى نحويًا نصب (حاف ومحتذ) على الحالية، فلعل هذا البيت مقحم فى القصيدة؛ لأن شاعرا كالصرصرى لا يقع فى هذا الخطأ النحوى الواضح .

(٨) الشمايل : الصفات . المشوذ : العمامة .

(١٠) موقَّذ : محزون القلب، مأخوذ من الوَقْذ، وهو شدة الضرب مما قد يفضى إلى الموت، نقل إلى المعنويات كالحزن، على المثل .

(١١) الموبقات : المهلكات . غِرار السيف : حده . مُشَحَّذ : مبالغ فى شحذه، أى سَنِّه؛ ليصبح قاطعا .

(١٢) حَرَّى : ملتهبة جافة من شدة الحزن . مُفَلَّذ : مقطَّع .

(١٣) يُصْمِى : يصيب . سهم مقذَّذ : مُسَوًّى لا ميل فيه، فهو يبلغ هدفه ويصيبه فى مقتل .

١٤ - وَمَشْرَبُهُ عَذْبٌ لوُرَّادِهِ رِوًى ... تَقدَّسَ واسْتَعْلَىٰ عَنِ المَشْرَبِ القَذِى

١٥ - لَهُ الحَوْضُ يَوْمَ الحَشْرِ يَفْضُلُ ماؤُهُ ... عَلَى عَسَلٍ لِلشَّارِبِ المُتَلَذِّذِ

١٦ - وأَكْوابُهُ مِثْلُ النُّجومِ، وسَبْقُهُ ... لِكُلِّ حَفِيٍّ مُتَّقٍ مُتَبَذِّذِ

١٧ - ويُخرِجُ مِنْ نارِ الجَحِيمِ بِجَاهِهِ ... مِنَ العُصَبِ العَاصِينَ كُلَّ مَحَنَّذِ

١٨ - بِهِ سَعِدُوا بَعْدَ الشَّقاءِ، وكَمْ لَهُ ... مِنَ النَّارِ مِنْ مُتَخَلِّصٍ مُتَنَقِّذِ!

١٩ - ويَسْكُنُ مَنْ أَضْحَىٰ مُطِيعًا لأَمْرِهِ ... قِبابًا مِنَ اليَاقُوتِ أَوْ من زُمُرَّذِ

٢٠ - بِطاعَتِهِ حَازُوا وحُسْنِ اتِّباعِهِ ... عَطاءً من الرَّحْمٰنِ غَيْرَ مُجَذَّذِ

٢١ - هُوَ المُصْطَفَىٰ مِنْ وُلْدِ آدَمَ كُلِّهِمْ ... بِرَغْمِ عَمٍ عَنْ رُشْدِهِ حَائِرٍ بَذِى

٢٢ - تَنَقَّلَ مِنْ شِيثٍ إِلى مُتَوَشْلِخٍ ... ونُوحٍ وسَامٍ نَجْلِهِ ورَفَخْشَذِ

٢٣ - إِلى صُلْبِ إِبراهِيمَ والصَّادِقِ ابنِهِ ... وأَصْبَحَ مِنْ عَدْنَانَ فِى خَيْرِ أَفْخُذِ

٢٤ - وخَيَّمَ فى عُلْيَا كِنانَةَ وانْتَهَىٰ ... إِلى هَاشِمٍ حَالُ الفَتَى المُتَعَوِّذِ

٢٥ - إِلى شَيْبَةِ الحَمْدِ المُعَظَّمِ وابْنِهِ الـ ... ـذَّبِيحِ الكَرِيمِ ابْنِ الكَرِيمِ المُنَجَّذِ

---

(١٤) القذى: ما يسقط فى العين، أو فى الماء فيلوِّثه.

(١٦) متبذِّذ: متواضع فقير.
جاء فى صفة حوض النبى ﷺ «كيزانه (وفى رواية: أباريقه) كنجوم السماء»
[انظر: صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الفضائل، باب حوض نبينا ﷺ وصفته ١٥/٥٥ : ٦٥].

(١٧) العُصَب: الجماعات، جمع عُصْبة. محنَّذ: محترق بالنار.

(١٩) زمُرِّذ: بالدال المهملة، وبالذال أيضًا كما فى هذا البيت.

(٢٠) مُجذَّذ: مقطوع.

(٢١) عَمٍ: أعمى. بذى: بذىء، أى فاحش، قصر الممدود لأجل القافية.

(٢٢) يسرد فى هذا البيت وما بعده (إلى البيت رقم ٢٥) نسب النبى ﷺ من أبيه (الذبيح) عبد الله، إلى جدِّه شيبة الحمد، وهو عبد المطلب، حتى يصل إلى شيث بن آدم. ولا خلاف فى نسب النبى ﷺ حتى عدنان، وما بعد ذلك فيه خلاف كبير.
[انظر: الكامل لابن الأثير ٢/٢ : ٢١].

(٢٤) خيَّم: أقام، يريد: انتهى نسبه إلى كنانة.

(٢٥) الذبيح: عبد الله بن عبد المطلب، أبو النبى ﷺ.
المنجَّذ: المجرِّب الذى عرف الأمور وأحكمها.

٢٦ - مَناسِبُ فى العَلْيـاءِ طابَ نجَـارُها ... تَتَـابَعَ فـيـهـا كُلُّ أزْهَرَ أَحْـوَذِى

٢٧ - لَهُ مُـعْـجِـزاتٌ لَيْسَ يُدْرَكُ شَـأْوُها ... ومَنْ يَبْتَدِرْ ذا الجَدَّ بالسَّبْقِ يُبْذَذِ

٢٨ - أَتَىٰ بِصَـريحِ الحَقِّ، لَيْسَ بِكاهِنٍ ... ولَيسَ بِسَـحَّـارٍ ولا بِمُـؤَخَّـذِ

٢٩ - بِدَعْوَتِهِ فِى المَحْلِ عَمَّ نَدَىٰ الحَيَا ... وجَادَ بِغَيْثٍ مُغْدِقٍ غَيْرِ مُشْحِذِ

٣٠ - ولَمَّا دَعَا بِالصَّحْوِ أَقْلَعَ غَيْمُها ... وأَجْفَلَ إِجْفَالَ النَّعامِ المُفَذَّذِ

٣١ - ولاحَ لِكِسْرَىٰ القَهْرُ عِنْدَ وِلادِهِ ... وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ مَرْزُبانٍ ومُوبَذِ

٣٢ - وهَا نَحْنُ نَرْجُو الآنَ نَصْرًا بِوَعْدِهِ ... عَلَىٰ كُلِّ طاغٍ وَعْدَ غَيْرِ مُطَرْمِذِ

٣٣ - فيا قَلْبُ إِنْ رُمْتَ الغَداةَ سَلامَةً ... مِنَ الفِتَنِ الصُّمِّ الصِّلابِ بِهِ عُذْ ٢٢/ب

٣٤ - وإِنْ رُمْتَ عِزًّا شامِلاً وصِيانَةً ... وعَوْنًا على الدُّنْيا بِجانِبِهِ لُذْ

٣٥ - وإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا مُهَذَّبًا ... بِسُنَّتِهِ الزَّهْرَاءِ ذاتِ الهُدَىٰ خُذْ

٣٦ - عَلَيْكَ بِها فاشْدُدْ يَدَيْكَ بِحَبْلِها ... وَمَنْ يَطَّرِحْهَا نَابِذًا فَلَهُ انْبِذْ

٣٧ - وذَرْ كُلَّ شَيْطانٍ يُخالِفُ أَمْرَها ... غَوِىٍّ على أَحْزابِهِ وتَعَوَّذْ

٣٨ - وتَابِعْ علىٰ تَحْصِيلِها كُلَّ ناقِلٍ ... بَصِيرٍ بِآفاتِ الكَلامِ مُحَذِّذِ

---

(٢٦) نجارها: أصلها وحَسَبُها. أحوذى: ذو همة عالية فى الأمور، لا يعجزه شىء.

(٢٧) شَأوها: غايتها. يبتدر: يسابق. ذا الجَدّ: صاحب الحظ، ولعلها: الجِدّ، أى الاجتهاد. يُبْذَذ: يُسْبَق ويُغْلَب.

(٢٨) مؤخَّذ: مسحور، وفى الأصل: ولا بمؤاخذ، وهو خطأ من الناسخ؛ فالمراد أنه ﷺ ليس بكاهن ولا ساحر ولا مسحور.

(٢٩) المَحْل: الجدب. الحَيَا: المطر. مغدق: متدفق غزير. غير مشحذ: غير قليل.

(٣٠) أقلع: انجلى وكفَّ عن المَطر. أجفل: ذهب. المفذَّذ: المتفرق. يشير إلى استسقاء النبى ﷺ، حتى عمّ المطر كل مكان، فخشى الناس أن يهلكهم المطر، فدعا النبى ﷺ: «حوالينا لا علينا» قال أنس ﷺ، وهو راوى الحديث: فنظرت إلى السحاب يتصدَّع حول المدينة كأنه إكليل [الفتح، كتاب المناقب ٦ / ٦٨٠ ، حديث رقم ٣٥٨٢].

(٣١) المرزبان والمُوبذ: من المناصب الفارسية.

(٣٢) المطرمذ: الذى يعد ولا يحقّق ما وعد.

(٣٤) لذ: الجأ واعتصم.

(٣٦) يَطَّرحها: يتركها ولا يعمل بها.

(٣٨) آفاتَ الكلام: عيوبه، يقصد هنا: قواعد الحديث التى بها يعرف صحيحه من ضعيفه، وما فى الحديث من دلائل الضعف. مُحَذِّذ: قاطع فى حكمه غير متردد.

٣٩ - يَؤُمُّ أحَادِيثَ الرَّسُولِ فَيَهْتَدِى بِأنْوارِها طُرْقَ الرَّشادِ ويَحْتَذِى

٤٠ - فَكُنْ مُسْتَقِيمًا للجَماعَةِ تابِعًا ومَنْ لَمْ يُتابِعْ سُنَّةَ اللهِ يَشْذُذِ

*****

---

(٣٩) يؤمّ: يقصد . يحتذى: يقتدى.

(٤٠) يَشْذُذ: يصبح شاذًّا مخالفًا.

الذالية الثانية

(عدتها ٢٣ ـ الطويل الثانى)

استبدل الصرصرى فى هذه القصيدة ـ وفى قصائد أخرى ـ بالمقدمة الطللية والغزلية القديمة، مقدمة غزلية أخرى فى حب البقاع المقدسة وساكنيها، فالنبى ﷺ هو محبوبه الأوحد، تضمنت هذه المقدمة مشاعر صادقة من الحب لأرض الحجاز وأهلها، وسيدهم وسيد الخلق محمد ﷺ، ثم تلتها دعوة إلى امتثال هديه والاهتداء بسنته.

تضمنت القصيدة الأفكار الآتية:

- مقدمة غزلية فى الحجاز وأهله.
- أشواق وأمنيات.
- فى الثناء على سيد البشر ﷺ.
- دعاء واستعطاف.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - رُبوعَ حَبيبِ القَلْبِ بالخَيْفِ حَبَّذا ... صَبَاكِ وما أَهْدَتْ إلىٰ القَلْبِ مِنْ شَذا

٢ - لَقَدْ سَحَرَتْ لُبَّ المُتَيَّمِ سُحْرَةً ... فَلَمْ تُلْفِهِ مِنْ نَفْحَةٍ مُتَعَوِّذَا

٣ - ولَكِنَّها كَانَتْ شِفاءً لِسُقْمِهِ ... فَلَمْ يُرَ سِحْرٌ قَبْلَها دَفَعَ الأَذَىٰ

٤ - فَيَا نَفْحَةً أَحْيَتْ رَمِيمَ رَجَائِهِ ... ولَمَّتْ بِطِيبِ النَّشْرِ قَلْبًا مُفَلَّذَا

٥ - فَيَا حَادِيَيْ رَكْبِ الحِجازِ إلى الحِمَىٰ ... رَسائِلَ أَشْواقِي وسُكَّانِهِ خُذَا

٦ - وقُولاَ لأَهْلِ الشِّعْبِ هَلاَّ جَبَرْتُمُ ... بِطَيْفِكُمُ النَّائِي كَئِيبًا مُوَقَّذَا

٧ - قَنِعْتُ بِزَوْرِ الطَّيْفِ إذْ أَنا لَمْ أَجِدْ ... إلىٰ رَبَّةِ السِّتْرِ المُمَنَّعِ مَنْفَذَا

٨ - وَيَعْذُبُ تَعْرِيضُ الحُدَاةِ بِذِكْرِها ... بِسَمْعِي وذُو الوَجْدِ المُبَرِّحِ هَكَذَا

٩ - رَمَتْنِي يَدُ البَيْنِ المُشَتِّتِ غَامِدًا ... بِجِسْمِيَ لِلآلامِ سَهْمًا مُقَذَّذَا

١٠ - فَهَلْ لِي بِها مِنْ وَقْفَةٍ بَعْدَ وَقْفَةٍ ... فَأُصْبِحَ مَسْرُورًا بِها مُتَلَذِّذا

١١ - وهَلْ لِي إلىٰ سَلْعٍ مِنَ الدَّهْرِ أَوْبَةٌ ... ولَوْ ظَلْتُ مِنْ طُولِ السُّرَىٰ مُتَبَذِّذا

١٢ - أُقَضِّي لُبَانَاتِي بِطَيْبَةَ عَلَّنِي ... أُصِيبُ بِها مِنْ عِلَّتِي لِيَ مُنْقِذا

---

(١) ربوع : منادى حذفت أداته . حبَّذا : كلمة مدح . شذا : عطْر .

(٢) المتيم : العاشق . سُحرة : في وقت السحر . لم تُلفه : لم تَجِدْه .

(٤) الرميم : البالى المفتَّت . مفلَّذا : ممزقًا .

(٥) الحادى : سائق الإبل المغنِّى لها . رسائلَ : مفعول به قُدِّم على فعله ، وهو (خُذا) . وسكانه : معطوف على (الحمى) ، أى : يا حاديى ركب الحجاز ، خذا رسائلى إلى الحمى وسكانه .

(٦) الشعب : الطريق بين جبلين ، ويقصد به شعب مكة المكرمة . هلا : كلمة تحضيض وحث على الفعل . موقَّذا : كسير القلب محزونا .

(٧) زور : زيارة .

(٨) يعذُب : يحلُو . التعريض هنا بمعنى : الذِّكر . الحداة : جمع حادٍ ، وهو المغنى . المبرِّح : الشديد الإيلام .

(٩) البين : الفراق . غامدًا : من الغَمْد ، وهو إدخال السيف فى غمده ، وهو هنا بمعنى إطلاق السهم . والسهم المقذَّذ : المحدَّد المستقيم الذى يصيب هدفه .

(١١) أوبة : عودة . ظلت : ظَلِلْتُ ، والفعل (ظَلَّ) مسندًا إلى تاء المتكلم يجوز فيه الوجهان . متبذِّذًا : رَثّ الهيئة بسبب طول السفر ومشقته وغباره .

(١٢) لباناتى : حاجاتى . علَّنى : لعلنى ، وهى من حروف الرجاء .

١٣ - نَعَمْ إنَّ فيها خَاتَمَ الرُّسْلِ فَاتِحَ الْـ ... ـكَمالِ النَّبِيَّ الهاشِمِيَّ المُنَجَّذا ٢٣/أ

١٤ - مُحَمَّدٌ المَبْعوثُ بالرَّحْمَةِ الذى ... مَضَىٰ مُسْتَقيمًا مَنْ عَلَىٰ حَذْوِهِ حَذَا

١٥ - أبو القاسِمِ المُخْتارُ خَيْرُ مَنِ ارْتَدَىٰ ... ولاثَ إزارًا للوُفودِ ومِشْوَذا

١٦ - مَناهِلُهُ مَحْمودةُ الوِرْدِ عَذْبَةٌ ... مُطَهَّرةٌ ما فى مَشارِعِها قَذَىٰ

١٧ - جَوادٌ كَريمٌ لا يَمُنُّ بِرِفْدِه ... غَزيرُ النَّدَىٰ إنْ عَارَضَ المُزْنَ أشْحَذَا

١٨ - رَءُوفٌ رَحيمٌ واسِعُ الحِلْمِ مُحْسِنٌ ... قَريبٌ مِنَ المَعْروفِ نَاءٍ عَنِ البِذَا

١٩ - رِسالَتُهُ تَبْقَى مَعَ الدَّهْرِ حَبْلُها ... مَتينٌ مُغَارُ الفَتْلِ لَنْ يُتَنَجَّذَا

٢٠ - وسُنَّتُهُ المُثْلَىٰ سَبيلُ مَنِ اتَّقَىٰ ... أَلاَ نِعْمَ ما تِلكَ السَّبيلُ وَحَبَّذَا!

٢١ - إذا المُعْتَدِى أَبْدَىٰ خِلافًا لها انْتَضَىٰ ... لَهُ المُقْتَدِى مِنْها حُسَامًا مُشَحَّذَا

٢٢ - أَلُوذُ بِهِ مَنْ كُلِّ خَطْبٍ ونَازِلٍ ... وَما خَابَ مَنْ أَمْسَىٰ بِهِ مُتَلَوِّذا

٢٣ - فَيارَبِّ يا ذَا الجُودُ والفَضْلِ دَائِمًا ... أَعِذْنِى أَنْ أُغْتَالَ عَنْهُ وَأُوخَذَا

*****

---

(١٣) المُنَجَّذ: المجرَّب.

(١٤) على حذوه حذا: سار على هديه، قُدِّم الجار والمجرور على متعلقهما، وأصل العبارة: حذا على حذوه، أى سار سيرته ونهج على طريقته.

(١٥) لاثَ الإزار: لبسه. المشوذ: العمامة.

(١٦) المشارع: جمع مَشْرَعَة، وهى المورد المَعدّ للشرب. القذى: كل ما يلوث الماء.

(١٧) الرفد: العطاء. النَّدَى: الجود والكرم. المزن: السحاب. أشحذ: قل ماؤه. يقول: إن عطاء رسول الله ﷺ أعظم من السحاب.

(١٨) البذَا: مقصور (البذاء)، وهو الفحش من قول أو فعل.

(١٩) مُغَار الفتل: موثق شديد، كالحبل الذى أجيد فتله. لن يتنجَّذ: لن يهلك.

(٢٠) نعمَ: كلمة مدح، و(ما) بعدها زائدة.

(٢١) انتضى السيف: أخرجه من غمده. السيف المشحَّذ: المسنون الحادّ القاطع.

(٢٢) الخطب والنازل: المصيبة. مُتَلَوِّذا: معتصمًا، من (لاذ - يلوذ).

(٢٣) أغتال عنه: أصرف عنه. أوخذ: أُسْحَر. يتعوَّذ بالله أن يصرفه صارف أو يسحره ساحر يبعده عن هدى النبى ﷺ.

قافية الـراء

نظم الشاعر على هذه القافية ثمانى قصائد بالغة الطول، وساعده على إطالة القصائد سهولة الراء وشيوعها فى المعجم العربى، وكذلك سهولة الأبحر التى اختارها للنظم عليها من هذه القافية.

الرائية الأولى

(عدتها ٢٠٧ ـ مجزوء الرجز)

بلغ طول هذه القصيدة (٢٠٧) سبعة أبيات ومائتين، نظمت على وزن بحر الرجز الذى يدعونه « حمار الشعراء » لسهولته وخفته، وزاد من سهولته وخفة أنغامه استعماله مجزوءاً فى هذه القصيدة.

تبدأ القصيدة بوصف لعاطفة الشاعر الجياشة وقد أثارتها ذكرى الربوع الحبيبة، متخيلاً نسائم السحر وقد مرت على الجداول مداعبة، فأيقظت الرياض وأزهارها وعطرت الجو ببدائع عطورها. وما ذلك إلا لأنها راحت تعيد على مسامع الشاعر ذكريات الحجاز وأهله، مذكرةً بحبيب القلب : النبى ﷺ، فراح يسرد بعض مآثره وخصائصه الشريفة باستفاضة تناولت الكثير من جوانب شخصيته وعظمته ﷺ، ثم راح يثنى على صحابته وبخاصة الخلفاء الراشدين الأربعة ـ رضوان الله عليهم ـ ثم على كل من كان هواه تبعاً لهدى النبى ﷺ.

وبعد ذلك يحمِّل الشاعر أشواقه وتحياته لركب الحجيج ويسألهم أن يقدِّموا عند قبر النبى ﷺ تحياته وضراعته واستعطافه أن يجبر قلبه المنكسر، بما له من جاه شامل وظل ظليل وحمى عند ربه منيع، وأن ينصر الأمة الضعيفة على أعدائها، فهى وإن كانت قد أجرمت بتقصيرها وبعدها عن اتباع هديه، فهى الزمرة المنسوبة إليه ﷺ دون غيرها من الأمم.

تضمنت القصيدة الأفكار الآتية :

- فى الغزل والحب للحجاز وأهله.
- ذكريات فى الديار المقدسة.
- فى مديح النبى ﷺ وذكر بعض معجزاته ومآثره.
- فى مجد أمة محمد ﷺ.
- فى الثناء على الخلفاء الراشدين ومن تبع هديهم.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - جَرَتْ نَسِيمُ السَّحَرِ ... عَلَىٰ مُتُونِ الغُدُرِ

٢ - فَجَعَّدَتها وَثَنَتْ ... أَعْطَافَ سَبْطِ الشَّجَرِ

٣ - وضَمَّخَتْ مَلابِسَ الـ ... ـرَّوْضِ بِنَشْرٍ عَطِرِ

٤ - كَأَنَّما فَضَّتْ بِهِ ... خِتامَ مِسْكٍ أَذْفَرِ

٥ - أَظُنُّها مَرَّتْ علىٰ ... سُمَّارِ ذَاتِ السَّمُرِ

٦ - فَطارَحَتْهُمْ وأَتَتْ ... مِنْ عِنْدِهِمْ بالخَبَرِ

٧ - تُسْنِدُهُ عَنْ أَرَجِ الـ ... ـشِّيحِ وَرِيًّا العَرْعَرِ

٨ - أَمْلَتْ عَلَىٰ بَانِ النَّقَا ... مَا عِنْدَها مِنْ أَثَرِ

٩ - فَرَنَّحَتْهُ طَرَبًا ... بِرَمْزِها المُعَنْبَرِ

١٠ - أَذَعْتِ يا رِيحَ الصَّبا ... سِتْرَ هَوًى مُسْتَتِرِ ٢٣/ب

١١ - فَرَدِّدِي ما شِئْتِ مِنْ ... حَدِيثِهِم وَكَرِّرِي

١٢ - فَذِكْرُ سُكَّانِ الحِمَىٰ ... تَعِلَّةُ المُشْتَهِرِ

---

(١) السحر: الثلث الأخير من الليل. وأنَّث الفعل (جرت) مع الفاعل المذكر (نسيم) على معنى الريح، أى جرت ريح نسيم السحر. متون: جمع متن، وهو عرض الشيء. الغدر: جمع غدير، وهو الماء المتجمع من المطر.

(٢) فجعَّدتها: تركت فيها تموجات تشبه التجاعيد. سبط: ناعم مستوٍ طويل.

(٣) ضمَّخت: أكثرت من الطيب. النشر: الرائحة الطيبة.

(٤) مسك أذفر: شديد العطر.

(٥) السمَّار: الساهرون المتحدثون بالليل. ذات السمر: لعله يريد: ذو سمر، وهو وادٍ من أودية العقيق [انظر: وفاء الوفا ٤ / ١٢٣٦].

(٦) طارحتهم: تبادلت معهم الحديث والأسمار.

(٧) الأرج والرِّيَّا: الرائحة الطيبة، والشيح والعرعر من نباتات الصحراء ذات الرائحة الطيبة.

(٨) النقا: التل الرملى. والبان: شجر طويل أملس.

(٩) رنَّحته: جعلته يترنَّح، أى يتمايل. المعنبر: الممزوج برائحة العنبر.

(١٠) أذعت: أعلنت.

(١٢) تعلة: أمل يخفف عن الإنسان قسوة الحاضر. المشتَهِر: العاشق الذى اشتهر أمر عشقه بين الناس.

١٣ - آهٍ لِعَيْشٍ مَرَّ بى ... بَيْنَ اللِّوَىٰ والأَجْفُرِ

١٤ - وَزَمَنٍ كَانَ بِنَعْـ ... ـمَانَ رَبِيعَ العُمُرِ

١٥ - يا لَيْتَ شِعْرِى هلْ تَعُو ... دُ لَيْلَتِى بالمَشْعَرِ

١٦ - وهَلْ تَعُودُ حَسْرَةُ الْـ ... ـفُؤادِ فى مُحَسِّرِ

١٧ - وهَلْ لأَيَّامٍ مِنَىٰ ... مِنْ بَائِعٍ فَأَشْتَرِى

١٨ - ولَوْ بأَيَّامِ الحَيَا ... ةِ لَمْحَةٌ بالبَصَرِ

١٩ - فَما عَلىٰ مَنْ سَامَها ... بِرُوحِهِ مِنْ غَرَرِ

٢٠ - وَهلْ إِلىٰ ذَاتِ السُّتُو ... رِ أَوْبَةٌ فى عُمُرِى

٢١ - فَأَجْتَلِى نَوْرَ الرِّضَا ... فى رَوْضِ حِجْرٍ نَضِرِ

٢٢ - وأَجْتَلِى شَمْسَ المُنَىٰ ... بِلَثْمِ ذَاكَ الحَجَرِ

٢٣ - يا لَكِ مِنْ لَيْلاتِ قُرْ ... بٍ طَابَ فيها سَمَرِى

٢٤ - لَوْ سَمَحَ الدَّهْرُ بِها ... قَضَيْتُ فيها وَطَرِى

٢٥ - جَادَ رِحَابَ الأَبْطَحِ الْـ ... ـمَكِّىِّ صَوْبُ المَطَرِ

---

(١٣) اللوى: يوجد فى جزيرة العرب عدة مواضع تسمى اللّوى، وأقرب شيء إلى مراد الشاعر هنا: لوَى طفيل، وهو واد بين مكة واليمن [معجم البلدان ٥ / ٢٨]. والأجفر موضع بين مكة وَفيد [معجم البلدانُ ١ / ١٢٨].

(١٥) المشعر: مكان العبادة، ويريد به هنا: المزدلفة.

(١٦) محسِّر: موضع بين مكة وعرفة، وقيل: بين منى والمزدلفة [معجم البلدان ٥ / ٧٤].

(١٩) سامها: اشتراها. الغرر: نوع من الخداع فى البيع، كبيع السمك فى الماء، والطير فى الهواء!! يقول: إن من يشترى هذه اللمحة من أرض الحمى ويدفع روحه ثمنا، فإنه لم يخدع فى هذه الصفقة.

(٢٠) أوبة: عودة.

(٢١) أجتلى: أنظر. النَّوْر: الزهر. الحجرْ: حجْر الكعبة المشرفة الذى بقى من أساس سيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل - عليهما السلام - وتركته قريش على أصله عند بناء الكعبة وحجرت عليه ليُعْلَم أنه من الكعبة، وفيه قبر هاجر أم إسماعيل عليهما السلام [معجم البلدان ٢ / ٢٥٥].

(٢٢) الحجر: هو الحجر الأسود.

(٢٤) وطرى: حاجتى وأمنيتى.

(٢٥) جاد: سقى. الأبطح المكى: بطحاء مكة. صوب المطر: المطر الغزير الشديد الصوت.

٢٦ - وبَارَكَ الرَّحْمٰنُ فِى ... صَبَاحِ لَيْلٍ مُقْمِرِ

٢٧ - يُسْفِرُ عَنْ وَادِى العَقِيـ ... ـقِ فَجْرَ ذَاكَ السَّفَرِ

٢٨ - مُبَشِّراً بِطَالِعِ الـ ... ـسَّعْدِ بِخَيْرِ البَشَرِ

٢٩ - بالعَرَبِىِّ الهَاشِمِىِّ ... ذِى الجَبِينِ الأَزْهَرِ

٣٠ - بالمُصْطَفَىٰ الأُمِّىِّ والـ ... ـمُطَيَّبِ المُطَهَّرِ

٣١ - بالمُتَوَكِّلِ الأَمِيـ ... ـنِ الصَّادِقِ المُبَرَّرِ ٢٤/أ

٣٢ - بالحَاشِرِ العَاقِبِ والـ ... ـشَّفِيعِ يَومَ المَحْشَرِ

٣٣ - بِالفَاتِحِ الخَاتِمِ لِلـ ... ـرُّسْلِ مُقَفِّى الأَثَرِ

٣٤ - بالقُثَمِ الضَّحُوكِ والـ ... ـقَتَّالِ مَاحِى النُّكُرِ

٣٥ - بالرَّؤُفِ الرَّحِيمِ والـ ... ـمُزَّمِّلِ المُدَّثِّرِ

٣٦ - وبِالسِّرَاجِ الشَّاهِدِ الـ ... ـهَادِى البَشِيرِ المُنْذِرِ

٣٧ - مُحَمَّدِ ابنِ هَاشِمِ ابْـ ... ـنِ غَالِبِ بْنِ مُضَرِ

٣٨ - خَيْرِ الأَنَامِ كُلِّهِمْ ... بَادِيهِمُ والحُضَّرِ

٣٩ - السَّيِّدِ المُفَضَّلِ الـ ... ـمُعَزَّزِ المُوَقَّرِ

٤٠ - الظَّاهِرِ المَنْصُورِ والـ ... ـمُؤَيَّدِ المُظَفَّرِ

---

(٢٧) يسفر عن . . . : يكشف .

(٣١) المبرَّر : المنسوب إلى البرّ، وهو اسم جامع لمعانى الخير .

(٣٥) المزمّل والمدثّر : من أسماء النبى ﷺ ؛ لأنه لما نزل عليه الوحى أول مرة عاد إلى بيت السيدة خديجة مرتجف الفؤاد وهو يقول : « زملونى » أى غطّونى [الفتح، كتاب بدء الوحى ١ / ٣٠، حديث رقم ٣]، والمدثّر الذى يطلب الغطاء، كالمزمّل .

(٣٧) هذا النسب غير متصل؛ لأنه يسقط بعض آباء النبى ﷺ، واسم رسول الله ﷺ : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن معد بن عدنان . هذا هو النسب المتفق عليهم، ثم اختلف النسّابون فيما وراء عدنان [انظر : الكامل لابن الأثير ٢ / ٢ : ٢١].

(٣٨) البادى : من يسكن البادية، والحُضَّر : جمع حاضر، وهو من يسكن الحَضَر .

(٤٠) الظاهر والمنصور والمؤيد والمظفر كلها بمعنى واحد .

٤١ - أَشْجَعِ مَنْ خَاضَ الوَغَىٰ ... فِي يَوْمِ بَأْسٍ أَزْوَرِ

٤٢ - إذا غَدَا مُدَّرِعًا ... بِدِرْعِهِ والمِغْفَرِ

٤٣ - مُقَلَّدًا صَارِمَهُ الْـ ... أَبْيَضَ حَتْفَ المُمْتَرِي

٤٤ - مُعْتَقِلاً لَدْنًا صَلِيـ ... ـبًا ذَا سِنَانٍ أَخْزَرِ

٤٥ - فَوْقَ حِصَانٍ هَيْكَلٍ ... عَبْلِ الشَّوَىٰ مُضَمَّرِ

٤٦ - يَغْشَىٰ العَجَاجَ مُقْبِلاً ... فِي الحَرْبِ غَيْرَ مُدْبِرِ

٤٧ - تُرْعَدُ مِنْ هَيْبَتِهِ ... فَرَائِصُ الغَضَنْفَرِ

٤٨ - إذا انْبَرَىٰ لِلْغَارَةِ الـ ... ـشَّعْوَاءِ ذَاتِ الشَّرَرِ

٤٩ - جَلا قَتَامَ نَقْعِهَا ... بِقَاضِبٍ ذِي أُثُرِ

٥٠ - أَجْوَدُ بِالمَعْرُوفِ مِنْ ... مُنْبَجِسٍ مُنْعَنْجِرِ

٥١ - إذا أَتَاهُ مُجْدِبٌ ... فِي عَامِ جَدْبٍ أَحْمَرِ

٥٢ - أَصْبَحَ بِالنَّائِلِ ذَا ... عَيْشٍ رَغِيدٍ أَخْضَرِ ٢٤/ب

٥٣ - يُعْطِي عَطَاءً وَاسِعًا ... يَكْشِفُ ضُرَّ المُقْتِرِ

---

(٤١) الوغَى: الحرب. بأس: شدة. أزور: عنيف.

(٤٢) غدا: ذهب. مُدَّرِعًا: لابسًا درعه. والمغفر: الخوذة.

(٤٣) مقلَّدًا: ممسكًا. الصارم: السيف. الحتف: الموت. الممترى: المتشكك.

(٤٤) معتقلاً: ممسكًا. لَدْنًا: رمحًا مَرِنًا. صليبًا: قويًّا صلبًا. سنان: حد. الأخزر: الذى ينظر بمؤخر عينه كِبْرًا، شبه به حد الرمح، كأنه ينظر إلى أعدائه نظرة فيها كبر.

(٤٥) هيكل: ضخم، ومثله عبل. الشوى: القوائم. مضمَّر: تضمير الفرس هو إعداده للقتال أو للسباق، وذلك بإطعامه بكثرة حتى يسمن ثم يقلل طعامه مدة أربعين يومًا.

(٤٦) العجاج: الغبار. مدبر: ضد (مُقبل).

(٤٧) تُرْعَد: ترتعد. الفرائص: اللحم القريب من نبض القلب، يرتعد عند الفزع. الغضنفر: الأسد.

(٤٨) انبرى: تقدَّم. الغارة الشعواء: الحملة المتفرقة.

(٤٩) القتام: السواد. النقع: التراب المثار فى الحرب. القاضب: القاطع. الأُثُر: لمعان السيف وبريقه، وضربته أيضًا.

(٥٠) منبجس: منفجر. مثعنجر: غزير متتابع.

(٥١) مُجْدِب: من أصابه الجدب فصار لا يجد شيئًا. والجدب الأحمر: الجدب الشديد المهلك.

(٥٢) النائل: العطاء. عيش رغيد، أخضر: مترف ناعم.

(٥٣) المُقْتِر: الفقير.

٥٤ - وإن تُـرِدْ دَلِـيـلَـهُ بِسَنَدٍ مُـعْـتَـبَـرِ

٥٥ - عَنْ شَـاءِ بَيْنَ الجَـبَلَيْـ ـنِ إنْ تَشَـا سَلْ تُخْـبَـرِ

٥٦ - كَـمْ بَادَرَتْ رَاحَـتُـهُ الـ ـعُلْيَـا لِبَـذْلِ البِـدَرِ

٥٧ - تِسْـعِـينَ أَلْفًـا فَـضَّـهـا فِى مَـجْلِسٍ مُـخْـتَـصَـرِ

٥٨ - هِبَـاتُـهُ مَـبْـذُولَةٌ لِلقَـانِعِ ومُـعْـتَـرِ

٥٩ - أَشْـرَفُ مَنْ حَلَّ ذُرَا الـ ـمَجْدِ كَـرِيمُ العُنْصُـرِ

٦٠ - مُنْتَـخَـبًـا مِنْ مَـعْـشَـرٍ أَكْـرِمْ بِهِمْ مِنْ مَـعْـشَـرِ

٦١ - شُـوسٍ كُـمَـاةٍ قَـادَةٍ بِيضٍ كِـرَامٍ غُـرَرِ

٦٢ - وهُمْ لَعَـمْـرِى سَـادَةُ الـ ـنَّاسِ بِكُلِّ الأَعْـصُـرِ

٦٣ - دَأْبُهُمُ لِلضَّـيْـفِ فِى الـ ـمَشْـتَـاةِ نَحْـرُ الجُـزُرِ

٦٤ - يَحْـمُـونَ مَنْ حَلَّ بِهِمْ مِنْ نَـازِلاتِ الغِـيَـرِ

٦٥ - لا تَنْثَنِى فُـرْسَـانُهُمْ عِنْدَ القَنَا المُـشْـتَـجِـرِ

---

(٥٥) الشاء: جمع شاة. جاء فى هامش المخطوط: عن أنس ﷺ أن رجلاً سأل النبى ﷺ فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى بلده وقال: أسلموا؛ فإن محمداً ﷺ يعطى عطاء من لا يخاف فاقة. من كتاب الشفا. وبالرجوع إلى كتاب «الشفا» للقاضى عياض وجدت هذا الخبر، وغيره من الأخبار الدالة على جوده وسخائه ﷺ [انظر: الشفا ص ١١٢].

(٥٦) بادرت: أسرعت. البدر: جمع بَدْرة، وهو كيس فيه ألف أو عشرة آلاف.

(٥٧) فضّها: فرقها. جاء فى هامش المخطوط بجانب هذا البيت: حملت إليه ﷺ تسعون ألف درهم، فوضعت على حصير المسجد، ثم قام إليها فقسمها، فما ردَّ سائلاً حتى فرغ منها. منه [أى من كتاب الشفا للقاضى عياض أيضا، انظر ص ١١٣].

(٥٨) هباته: عطاياه، جمع هبة. مبذولة: ممنوحة. معتر: أصله معترٌ - بتشديد الراء - وهو الذى يطوف بأصحاب المال طلبا لعطائهم، سواءٌ سأل العطاء بلسانه أو لم يسأل. خفف الراء لأجل الوزن والقافية.

(٦٠) منتخب: مختار. معشر: جماعة.

(٦١) شوس: جمع أشوس، وهو الذى يرفع رأسه تكبُّراً، يريد: هم أشراف شجعان. كماة: مستعدون للحرب متخذين أسلحتهم. الغُرر: جمع غُرَّة، وهو الأول من كل شىء.

(٦٣) دأبهم: عادتهم. المشتاة: الشتاء. الجُزُر: الإبل التى تجزر (أى تذبح) للضيوف.

(٦٤) نازلات: جمع نازلة، وهى المصيبة. الغِيَر: تقلبات الأحوال.

(٦٥) القنا: الرماح. المشتجر: المتداخل بعضه فى بعض، وذلك فى الحرب وذكّر القنا على معنى: السلاح.

٦٦ - قَـوْمٌ إذَا جَـفَـا الحَـيَـا ... رُبَا الجَـدِيبِ الأغْـبَـرِ

٦٧ - دَرَّتْ بِهِمْ أَخْـلافُـهُ ... بِالوَاكِفِ المُنْهَـمِـرِ

٦٨ - أَكُـفُّـهُم مَـا خُلِقَتْ ... إلاَّ لِيُـسْـرِ المُـعْـسِـرِ

٦٩ - أَوْ لِلرِّقَـاقِ البِـيضِ أو ... لِلسَّـمْـهَـرِيِّ الأَسْـمَـرِ

٧٠ - ولا سَـعَتْ أَقْـدَامُـهُمْ ... إلاَّ لِكَسْبِ مَـفْـخَـرِ

٧١ - إمَّـا لِدَفْعِ حَـادِثٍ ... أو لِـرُقِـيٍّ مِـنْـبَـرِ

٧٢ - وهْوَ كَـمَـالُ فَـخْـرِهِمْ ... فِي مَـوْرِدٍ ومَـصْـدَرِ

٧٣ - بِهِ غَـدَتْ سِـيـرَتُهُمْ ... طِرَازَ كُلِّ السِّـيَـرِ ١/٢٤

٧٤ - مَنْقَـبَـةٌ عَـزَّتْ عَلَى ... مَطَامِعِ المُـفْـتَـخِـرِ

٧٥ - طَلْقُ المُـحَـيَّـا نُورُهُ ... يَكْسِفُ نُورَ القَـمَـرِ

٧٦ - كَـأَنَّمَـا شَـمْسُ الضُّحَى ... فِي وَجْـهِـهِ المُـدَوَّرِ

٧٧ - أَبْيَضُ قَـدْ زَانَ مُـحَـيَّـ ... ـاهُ سَـوَادُ الشَّـعَـرِ

٧٨ - فَـاقَ امْـتِـدَادُ حَـاجِـبَـيْـ ... ـهِ نُونَى المُـحَـرَّرِ

٧٩ - يَـرْشَـحُ مِـنـهُ عَـرَقٌ ... كَـاللُّؤْلُؤِ المُنْحَـدِرِ

٨٠ - فَـوقَ جَـبِـينٍ واضِحٍ ... أَزْهَـرَ رَحْـبٍ أَنْـوَرِ

٨١ - فِي مُـقْـلَـتَـيْـهِ دَعَجٌ ... مُـتَـرْجِمٌ عَنْ حَـوَرِ

٨٢ - وَجْـنَـتُـهُ أَحْـسَـنُ مِنْ ... وَرْدِ الرِّيَاضِ الأَحْـمَـرِ

---

(٦٦) الحيا: المطر. الجديب: المقفر.

(٦٧) درَّتْ: نزلت الأمطار بغزارة. الأخلاف: ضروع الناقة، شبَّه بها السحب الممطرة. الواكف: السائل. المنهمر: الغزير المنصب.

(٦٩) الرقاق البيض: السيوف. السمهرى الأسمر: الرمح.

(٧٣) غدت: أصبحت. طراز: زينة.

(٧٤) منقبة: فضيلة ومكرمة.

(٧٥) المحيَّا: الوجه. يكسف: يخفى.

(٧٨) فاق: فى الأصل (فوق) وهو سهو من الناسخ، وتصويبه من [النبهانية ٢/١١٨]. شبه امتداد جبينه بنونين كتبهما كاتب حسن الخط. (٨٠) أزهر: مشرق، ومثله أنْور.

(٨١) الدَّعَج: شدة سواد العين واتساعها. مترجم: معبر. الحور: شدة بياض العين مع شدة سوادها.

٨٣ - أَقْنَى يَلُوحُ النُّورُ مِنْ ... عِرْنِينِهِ المُتَنَوِّرِ

٨٤ - يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ الأَقَا ... حِ أو نَفِيسِ الدُّرَرِ

٨٥ - نَكْهَتُهُ تَعْلُو عَلَى الْـ ... ـمِسْكِ وَرِيحِ العَنْبَرِ

٨٦ - تَزْدَادُ طِيبًا أَثَرَ الـ ... ـنَّوْمِ وَوَقْتَ السَّحَرِ

٨٧ - فِي عَارِضَيْهِ شَعَرَا ... تٌ كَالصَّبَاحِ المُسْفِرِ

٨٨ - بِنُورِهِنَّ يَهْتَدِي ... قَلْبُ الفَتَى المُتَحَيِّرِ

٨٩ - والجِيدِ جِيدُ دُمْيَةٍ ... فِي صِفَةِ المُخَبَّرِ

٩٠ - أو كَنَقَاءِ فِضَّةٍ ... صَافِيَةٍ مِنْ كَدَرِ

٩١ - فِي صَدْرِهِ مَسْرُبَةٌ ... كَالأَلِفِ المُسَطَّرِ

٩٢ - بَنَانُهُ كَالزَّبَدِ ... لِينٍ وَحُسْنِ مَنْظَرِ

٩٣ - أو جُونَةِ العَطَّارِ فِي ... أَرِيجِهَا المُعَطَّرِ

٩٤ - يَلُوحُ بَيْنَ كَتِفَيْـ ... ـهِ لِلَّبِيبِ المُبْصِرِ ٢٤/ب

٩٥ - خَاتَمُ صِدْقٍ زِينَ بِالْـ ... ـخِيلَانِ غَيْرُ مُنْكَرِ

٩٦ - وَلَمْ تَعِبْهُ نُجْلَةٌ ... فِي بَطْنِهِ المُضَمَّرِ

٩٧ - كَأَنَّهُ طَيُّ القَرَا ... طِيسِ عَفِيفُ الأُزُرِ

---

(٨٣) أقنى: طويل الأنف مع تحدب فى وسطه. العرنين: الأنف.

(٨٤) يفتر: يبتسم. الأقاح: زهر أبيض، قال النبهانى: وهو البابونج (الذى يسمى الكاموميل)، وهو زهرة الشيح. النفيس: الغالى.

(٨٥) نكهته: رائحة فمه.

(٨٧) العارضان: الخدّان. المسفر: المشرق.

(٨٩) الجيد: العنق. الدمية: التمثال الرخامىّ.

(٩١) المسربة: خط الشعر المتصل من الصدر إلى السرة.

(٩٢) بنانه: أطراف أصابعه.

(٩٣) جُونة العطّار: زجاجة العطر.

(٩٤) اللبيب: العاقل.

(٩٥) خاتم صدق: هو خاتم النبوة، والخيلان: جمع خال، وهو الشامة السوداء. وكان خاتم النبوة فى كتف النبى ﷺ يشبه الشامات السود.

(٩٦) النجلة: الاتساع. المضمّر: الضامر القليل اللحم.

(٩٧) عفيف الأزر: كناية عن عفته وعصمته ﷺ عن الحرام، والأزر: جمع إزار، وهو ثوب يلبس فى أسفل البدن.

٩٨ - والسَّاقُ ذاتُ القَدَمِ الـ ـعَلْيَاءِ فَوقَ المُشْتَرِى

٩٩ - أَنْقَىٰ منَ الفِضَّةِ والـ ـعَاجِ ولَوْنِ الكَثَرِ

١٠٠ - لَوْ نَالَنِى غُبَارُها كَانَ جِلاءَ بَصَرِى

١٠١ - صُورَتُهُ الجَمِيلَةُ الـ أَوْصَافِ أَبْهَىٰ الصُّوَرِ

١٠٢ - قَوامُهُ أَحْسَنُ مِنْ قَدِّ القَضِيبِ النَّضِرِ

١٠٣ - لا بِطَوِيلٍ بَائِنٍ ولَمْ يُشَنْ بِقِصَرِ

١٠٤ - وظِلُّهُ لَيْسَ لَهُ عَلَىٰ الثَّرَىٰ من أَثَرِ

١٠٥ - مَا لِسَنَا الشَّمْسِ عَلَىٰ أَنْوَارِهِ مِنْ مَظْهَرِ

١٠٦ - إِذَا بَدَا فِى حُلَّةٍ مِنْ فَاخِرَاتِ الحِبَرِ

١٠٧ - مُعْتَجِرًا عِمَامَةً سَوْدَاءَ فَوقَ المِنْبَرِ

١٠٨ - أَخْجَلَ نُورَ القَمَرِ الـ ـزَّاهِى المُنِيرِ المُبْدِرِ

١٠٩ - وإِنْ تَجَلَّىٰ لِلْوُفُو دِ فِى الرِّدَاءِ الأَخْضَرِ

---

(٩٨) المشترى: الكوكب الخامس من كواكب المجموعة الشمسية، وكان معروفًا عند العرب منذ القدم.

(٩٩) الكثر: جُمَّار النخل، ولونه أبيض ناصع البياض.

(١٠٢) القدّ: القوام. القضيب: عود النبات.

(١٠٣) الطويل البائن: الشديد الطول. لم يُشن بقصر: لم يَعِبْه قصر. فى الأصل (لم يُشَب) والتصويب من النبهانية ٢ / ١٢٠ .

(١٠٤) ذكر القاضى عياض هذا الخبر دون إسناد، بلفظ « كان ﷺ لا ظلَّ لشخصه فى شمس ولا قمر » [الشفا ١ /٣٦٨] وذكره الخيضرى فى [اللفظ المكرم ٢ /٥٦٥].

(١٠٦) الحِبَر: ثياب يمنية فاخرة.

(١٠٧) اعتجر العمامة: لفَّها حول رأسه.

(١٠٨) المبدر: الذى صار بدرًا مكتملاً. وقد أجمع من وصفوا النبى ﷺ على أنه كان أجمل من القمر. ومن ذلك ما رواه البخارى عن البراء بن العازب، سئل: أكان وجه النبى ﷺ مثل السيف؟ قال: لا، بل مثل القمر [الفتح، كتاب المناقب، باب صفة النبى ﷺ ٦ /٦٥٣ ، حديث رقم ٣٥٥٢] ، وروى عن جابر بن سمرة قال: رأيت النبى ﷺ فى ليلة إضحيان (أى مقمرة) وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو كان فى عينى أحسن من القمر » [سنن الترمذى، كتاب الأدب، حديث رقم ٢٧٣٥].

١١٠ - سَمَا أَزَاهِيرَ الرِّيا ... ضِ غِبَّ يَوْمٍ مُمْطِرِ

١١١ - لِمَنْ رآهُ فى المَنَا ... مِ بَهْجَةُ المُسْتَبْشِرِ

١١٢ - صُورَتُهُ مَحْرُوسَةٌ ... مِنْ شَبَهِ المُزَوِّرِ

١١٣ - أَفْصَحُ مَنْ يَنْطِقُ بالـ ... ـضَّادِ عَلا عَنْ حَصَرِ

١١٤ - نَثْرُ كَلامِهِ الرِّضَا ... يَسْمُو عُقُودَ الجَوْهَرِ

١١٥ - يُحَصِّلُ المَعْنَى بِلَفْـ ... ـظٍ جَامِعٍ مُخْتَصَرِ ٢٥/أ

١١٦ - شِيمَتُهُ التَّواضُعُ الْـ ... ـعَارِى عَنِ التَّكَبُّرِ

١١٧ - مُقَدَّسٌ عَنْ حَسَدٍ ... مُنَزَّهٌ عَنْ أَشَرِ

١١٨ - لَيسَ بِفَظٍّ عَابِسٍ ... جَافٍ وَلا مُنْتَهِرِ

١١٩ - يَلْقَىٰ بِوَجْهٍ باسِمٍ ... بِرِفْدِهِ مُبَشِّرِ

١٢٠ - مُيَسِّرٍ مُؤَلِّفٍ ... وَلَيسَ بِالمُنَفِّرِ

١٢١ - أَخْلاقُهُ أَحْسَنُ مِنْ ... رَوْضٍ نَدٍ مُنَوَّرِ

١٢٢ - أَلَمْ تُنَبَّأْ يَا أُخَىَّ ... عَنْ حَدِيثِ الثَّغَرِ

١٢٣ - وعَنْ حَدِيثِ الحَسَنِ الْـ ... ـمُصَحَّحِ المُشْتَهَرِ

---

(١١٠) سما: فاق. غبّ: عَقِبَ.

(١١٢) المزوّر: الشيطان، ورد فى الحديث الصحيح: «من رآنى فى المنام فقد رآنى؛ فإن الشيطان لا يتمثل بى» [انظر: الفتح، كتاب التعبير، باب من رأى النبى ﷺ فى المنام ١٢/٣٩٩، حديث رقم ٦٩٩٤].

(١١٣) الحصر: ضعف القدرة اللغوية والعجز عن التعبير، وكان النبى ﷺ أفصح الناس؛ وقد أوتى جوامع الكلم.

(١١٤) الرِّضا: اهنا بمعنى المَرْضِىّ لذى ترضاه القلوب.

(١١٦) شيمته: طبيعته. العارى عن التكبر: الخالى منه.

(١١٧) الأشر: التبطُّر على النعمة.

(١١٨) فظ: غليظ القلب. جافٍ: متباعد عن الناس. منتهر: ينهر الناس، أى يغلظ لهم القول.

(١١٩) الرفد: العطاء.

(١٢١) نَد: سقط عليه الندى. منوَّر: مزهر.

(١٢٣) حديث الحسن [مختصر الشمائل للترمذى ص ١٨ - ٢٦، دلائل البيهقى ١/٢٨٥]. وقال الهيثمى فى [المجمع ٨/٢٧٤] رواه الطبرانى، وفيه من لم يُسَمّ.

١٢٤ - وعَنْ حَدِيثِ أَنَسٍ ... فِي وصْفِهِ المُخَبَّرِ

١٢٥ - إِذْ لَمْ يَقُلْ أُفٌّ لَهُ ... ولَمْ يَكُنْ ذَا ضَجَرِ

١٢٦ - سَهْلُ القِيادِ قَابِلٌ ... عُذْرَ الفَتَىٰ المُعْتَذِرِ

١٢٧ - لَهُ اسْتَقَامَ الزُّهْدُ عَنْ ... تَخَيُّرٍ لا ضَرَرِ

١٢٨ - عَفَّ تُقًى عَنِ الكُنُو ... زِ عِفَّةَ المُقْتَدِرِ

١٢٩ - أَرْسَلَهُ اللهُ العَظِيـ ... ـمُ بِالهُدَىٰ والنُّذُرِ

١٣٠ - مُصَدِّقٌ للمُرْسَلِيـ ... ـنَ قَبْلَهُ بالزُّبُرِ

١٣١ - وخَصَّهُ مُشَرِّفًا ... بِمُحْكَماتِ السُّوَرِ

١٣٢ - فِيهَا بيانٌ لِلْمُنِيـ ... ـبِ الحَسَنِ التَّدَبُّرِ

١٣٣ - فَأَرْشَدَ النَّاسَ بِهَا ... إِلَىٰ السَّبِيلِ النَّيِّرِ

١٣٤ - فَأَحْسَنَ البَلاغَ فِي ... آصَالِهِ والبُكَرِ

١٣٥ - ولَمْ يَزَلْ فِي نُصْحِهِ ... بِغَيْبَةٍ ومَحْضَرِ

١٣٦ - مُثَابِراً مُجَاهِداً ... كُلَّ غَوِيٍّ مُمْتَرِ ٢٥/ب

١٣٧ - حَتَّىٰ انْجَلَىٰ بِنُورِهِ ... عَنَّا حِجَابُ القَتَرِ

١٣٨ - وظَهَرَ الدِّينُ بِهِ ... واشْتَدَّ بَعدَ الخَوَرِ

---

(١٢٤) جاء فى هامش المخطوط: عن أنس ﷺ قال: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لى فى شيء فعلته: لمَ فعلتهَ؟ ولا فى شيء لم أفعله: لمَ لَمْ تفعَلْه. شفا [أى من كتاب الشفا للقاضى عياض، انظر: ١ / ١٢١ ، باختلاف يسير فى اللفظ عما هنا. والحديث رواه مسلم: كتاب الفضائل، حديث رقم ٤٢٦٩].

(١٢٦) سهل القياد: سَمْحٌ كريم الخلق.

(١٢٧) ضرر هنا بمعنى: اضطرار.

(١٣٠) مصدقٌ: كذا فى الأصل مرفوعًا، والأرجح نصبه: مصدقًا، كما فى[النبهانية ٢ / ١٢١].

(١٣٢) للمنيب: التائب العائد إلى الحق. وفى النبهانية: للَّبيب.

(١٣٣) النيِّر: المنير.

(١٣٤) الآصال: جمع أصيل، وهو الوقت ما بين العصر والمغرب، والبُكَر: جمع بُكرة، وهى أول النهار.

(١٣٦) مثابرًا: مواظبًا على الدعوة إلى الله. غويّ: ضال. مُمْتَرٍ: شاكّ.

(١٣٧) القَتَر: الغبار، وأراد به كل ما يحجب الحق.

(١٣٨) الخور: الضعف.

١٣٩ - وأشْـــــرَقَتْ أنْـوارُهُ ... علىٰ جـــمـــيعِ القُطُرِ

١٤٠ - وقَـــهَـــرَتْ أُمَّـــتُـــهُ ... جُنْدَ الفَـــلا والأبْحُـــرِ

١٤١ - وأنْفَـــقَتْ كُنوزَ كِـــسْـ ... ـرَىٰ وكُنوزَ قَـــيْـــصَـــرِ

١٤٢ - أيَّدَهُمْ مُـــرْسِلُـهُ ... بِنَصْـــرِهِ والظَّفَـــرِ

١٤٣ - نَصْـــرَ عَـــزيزٍ قـــاهِرٍ ... مُنْتَـــقِمٍ مُـــقْـــتَـــدِرِ

١٤٤ - كَمْ جَـــدَّلُوا مِنْ مَلِكٍ ... مُـــتَـــوَّجٍ مُـــسَـــوَّرِ

١٤٥ - أصْبَحَ مِنْ بَعْـدِ القُصُـو ... رِ رَهْنَ قَـــاعٍ قَـــرْقَـــرِ

١٤٦ - مُـــقَـــسَّمَ الأشْـــلاءِ بَيْـ ... ـنَ قَـــشْـــعَمٍ وقَـــسْـــوَرِ

١٤٧ - وكَمْ غَـــزَوْا فى لُجَّـــةِ الْـ ... ـبَـــحْـــرِ بِذاتِ دُسُـــرِ

١٤٨ - كَـــأنَّـهُـمْ أعِـــزَّةُ الْـ ... ـمُلُوكِ فَـــوقَ السُّـــرُرِ

١٤٩ - ولا يَـــزالُ مِـــنْـــهُـــمُ ... إلىٰ انْـتِـــهـــاءِ الدَّهْرِ

١٥٠ - طَائِفَـــةٌ مَـــحْـــمُـــودَةٌ ... فى وِرْدِها والصَّـــدَرِ

١٥١ - قـــائِـمُـــةٌ بالحَقِّ، لا ... تَخْـــشَىٰ خِـــلافَ مُنْكِرِ

---

(١٣٩) القُطُر: البلاد، جمع قُطْر.

(١٤١) يشير هنا إلى انتصار الإسلام وظهور دولته على الفرس والروم.

(١٤٢) الظفر: الفوز والغلبة.

(١٤٤) جدَّلوا: قتلوا. مسوَّر: يتحلَّى بالإسوار أو السِّوار، وهو تعريب دستوار بالفارسية، ومعناه: ما يلبس فى المعصم، ولعل ملوك الفرس كانوا يلبسونه.

(١٤٥) رهن: حبيس. القرقر: الأرض اللينة المنبسطة.

(١٤٦) الأشلاء: جمع شِلْو، وهو العضو المفصول عن بدنه. قشعم: نسر. قسور: أسد.

(١٤٧) لُجَّة البحر: وسطه. ذات دسر: ذات ألواح ضخمة، وهى السفينة.

(١٤٩) الدَّهْر: يجوز فيه إسكان الهاء وفتحها، وهو الزمن الطويل، وقيل: ألف سنة.

(١٥٠) الورد: الذهاب نحو مورد الشرب، والصدر: الرجوع بعد الشرب، والجمع بينهما يفيد العموم والشمول، أى: هذه الطائفة محمودة فى كل أمورها.

(١٥١) قائمة: فى الأصل: قديمة، وهو خطأ من الناسخ، والصواب ما أثبته كما فى [النبهانية ٢ / ١٢٢] . يشير فى هذا البيت وسابقيه إلى قوله ﷺ: « لا يزال من أمتى أمةٌ قائمة بأمر الله، لا يضرهم من كذَّبهم ولا من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » [الفتح، كتاب التوحيد ١٣ / ٤٥١ ، حديث رقم ٧٤٦٠].

١٥٢ - وهُمْ حُماةُ شَرْعِهِ عَن مُبْطِلٍ مُزَوِّرِ

١٥٣ - لَيسَ لَهُ فى أوَّلِ الـ ـخَلْقِ ولا فى الأخَرِ

١٥٤ - مُناظِرٌ، أنَّىٰ وقَدْ فَضَّلَهُ بالنَّظَرِ؟!

١٥٥ - وبالَّذى عَايَنَهُ عِنْدَ أعَزِّ السِّدَرِ

١٥٦ - وبالشَّفَاعَةِ التى خُصَّ بِها والكَوْثَرِ

١٥٧ - وباللِّواءِ فى المَعَا دِ والمَقَامِ الأكْبَرِ ١/٢٦

١٥٨ - وَمُنْذُ حَلَّ قَبْرَهُ الـ ـشَّرِيفَ أزْكَىٰ الحُفَرِ

١٥٩ - يَغْشَاهُ فى كُلِّ صَبا حٍ مُقْبِلٍ مُبَشِّرِ

١٦٠ - سَبْعونَ ألفَ مَلَكٍ مُهَلِّلٍ مُكَبِّرِ

١٦١ - حَتَّىٰ إذا حَانَ قِيا مُ كُلِّ مَيْتٍ مُقْبَرِ

١٦٢ - فَإنَّهُ أوَّلُ مَنْ يَخْرُجُ عِندَ المَنْشَرِ

---

(١٥٣) أثبتت [النبهانية ٢ / ١٢٢] بيتاً آخر قبل هذا البيت، هو:

سُبْحانَ مَنْ شَرَّفَهُ عَلىٰ جَمِيعِ الفِطَرِ

(١٥٤) يقول: كيف يكون له ﷺ نظير، وقد فضله الله بالنظر إليه عز وجل؟ وفى رؤية النبى ﷺ لله عز وجل خلافٌ مشهور، فقد أنكرت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنه رأى ربه، وهو المروى عن ابن مسعود وأبى هريرة. وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ إنه ﷺ رأى ربه بعينه، وروى عن ابن عباس أيضا أنه رآه بقلبه. وقد فصّل القاضى عياض هذا الموضوع باستفاضة، وخلص إلى أن أدلة النفى والإثبات غير قاطعة، وأنه لا مانع فى حكم العقل من ثبوت رؤيته ﷺ لربه عز وجل [انظر: الشفا ١ / ١٩٥ : ٢٠٢].

(١٥٥) عاينه: رآه. أعزّ السِّدر: سدرة المنتهى. يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴾ النجم ١٣ : ١٤.

(١٥٦) أثبت النبهانى بيتاً آخر قبل هذا البيت، هو:

وبالوَسِيلَةِ الَّتى لِغَيْرِهِ لَمْ تَخْطُرِ

[النبهانية ٢ / ١٢٢].

(١٥٩) يغشاه: ينزل به. وفاعله (سبعون) فى البيت التالى.

(١٦٠) « ما من يوم يطلع إلا نزل سبعون ألف من الملائكة حفّوا بقبر النبى ﷺ يضربون بأجنحتهم ويصلون على رسول الله، حتى إذا أمسوا عرجوا وهبط مثل ذلك، حتى إذا انشقت عنه الأرض خرج فى سبعين ألفا من الملائكة يزفونه » [سنن الدرامى ١ / ٤٣].

(١٦٢) المنشر: البعث من القبور. روى الشيخان فى صحيحيهما قوله ﷺ: « يُنْفَخُ فى الصُّور فيَصْعَق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكونُ أول =

١٦٣ - يَزُفُّهُ سَبْعونَ أَلْـ ـفَ مَلَكٍ مُطَهَّرِ

١٦٤ - وهْوَ عَلىٰ البُراقِ رَا كِبٌ جَليلَ الخَطَرِ

١٦٥ - ولَيسَ تُفْتَحَ الجِنا نُ قَبْلَهُ لِبَشَرِ

١٦٦ - عَلَيْهِ أَزْكَىٰ صَلَوا تِ البَارِئِ المُصَوِّرِ

١٦٧ - دَائِمَةٌ دَوامَ آ بادِ النَّعِيمِ الأَغْزَرِ

١٦٨ - ثُمَّ عَلَىٰ صَاحِبِهِ الْـ ـمُبَجَّلِ المُصَدَّرِ

١٦٩ - ذِي السَّبْقِ مُفْتِي الحَضْرَةِ الـ ـشَّرِيفَةِ المُشْتَوَرِ

١٧٠ - صَدِيقِهِ الأَتْقَىٰ أَبِي بَكْرٍ وَزَيْنِ المَحْضَرِ

١٧١ - ثُمَّ عَلَىٰ المُحَدَّثِ الْـ ـمُفَهَّمِ المُبَصَّرِ

١٧٢ - ذِي النَّظَرِ الثَّاقِبِ والْـ ـقَلْبِ الصَّدُوقِ عُمَرِ

١٧٣ - ثُمَّ عَلَىٰ البَرِّ الشَّهِيـ ـدِ الثَّابِتِ المُصْطَبِرِ

= من بُعِثَ، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدرى أحوسب بصعقته يوم الطور أم بُعِثَ قبلى».
[الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء ٦ / ٥١٩ ، حديث رقم ٣٤١٤ ، مسلم بشرح النووى، كتاب الفضائل ١٥ / ١٣٠].

(١٦٣) انظر الهامش (١٦٠) من هذه القصيدة.

(١٦٤) البراق: الدابة التى ركبها النبى ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، والشاعر يقول هنا إنه ﷺ سيكون مركبه البراق يوم القيامة أيضا.

(١٦٥) قال ﷺ: «أنا أول من يقرع باب الجنة»
[صحيح مسلم بشرح النووى، كتاب الإيمان، باب الشفاعة ٣ / ٧٣].

(١٦٧) الآباد: الأزمنة الطويلة، جمع أبد.

(١٦٨) المبَّجل: الموقَّر.
المصدَّر: الذى له الصدارة والأولية.

(١٦٩) المُشْتَوَر: الذى تؤخذ مشورته. وكان النبى ﷺ يستشير أصحابه، وبخاصة أبا بكر وعمر رضي الله عنهما.

(١٧١) المحدَّث: سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، وهو الملهم الذى يُلقَى إليه الحديث من قِبَلِ الملأ الأعلى، قال ﷺ: «لقد كان فيمن قبلكم من الأمم ناس محدَّثون، فإنْ يَكُنْ فى أمتى منهم أحدٌ فعُمَرُ»
[الفتح، كتاب فضائل الصحابة ٧ / ٥٢ ، حديث رقم ٣٦٨٩].

(١٧٢) الثاقب: الحاد.

(١٧٣) البَرّ: ذو البِرّ، أى الخير.

١٧٤ - عُثْمَانَ ذِى النُّورَيْنِ مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسَرِ

١٧٥ - ثمَّ علىٰ ابنِ عَمِّهِ الـ ـبَحْرِ الخِضَمِّ حَيْدَرِ

١٧٦ - دَلَّتْ عَلىٰ تَفْضِيلِهِ الـ ـرَّايَةُ يَوْمَ خَيْبَرِ

١٧٧ - ثُمَّ عَلىٰ مَنْ كَانَ طَوْ عَ أَمْرِهِ المُبْتَدِرِ

١٧٨ - فِى مَنْشَطٍ ومَكْرَهٍ وعُسْرٍ ويُسْرٍ ٢٦/ب

١٧٩ - مِنْ آلِهِ الغُرِّ الكِرَا مِ والصِّحَابِ الصُّبُرِ

١٨٠ - وتَابِعِيهِمْ بالهُدَىٰ مِنْ آثِرٍ ومُؤْثَرِ

١٨١ - يا مُزْجِيَ الخُوصِ النَّوا جِي فِى اليَبَابِ المُقْفِرِ

١٨٢ - مِنْ كلِّ مأْمُونِ العِثا رِ مُوجَدٍ مُضَبَّرِ

١٨٣ - إن جُزْتَ عَنْ وادِى العَقِيـ ـقِ نَحْوَ سَلْعٍ فانْظُرِ

١٨٤ - تِلْكَ القِبابُ البِيضُ إنْ عَايَنْتَهَا فَكَبِّرِ

---

(١٧٤) ذو النورين: لقب سيدنا عثمان بن عفان ﷺ؛ لأنه تزوَّج السيدتين رقية وأم كلثوم ابنتى النبى ﷺ. وقد جهز عثمان ﷺ جيش العسرة فى غزوة تبوك، وسمى جيش العسرة لأن المسلمين أصابتهم عسرة أى ضيق وجدب شديد، وقد أنفق عثمان ﷺ عشرة آلاف دينار، وتسعمائة بعير ومائة فرس والزاد وما يتعلق به، حتى ما تربط به الأسقية.

[انظر: السيرة الحلبية ٢/١٨٣ : ١٨٤].

(١٧٥) الخضم: البحر الواسع، أراد به سعة علمه، وحيدر: اسم سيدنا علىّ كرم الله وجهه.

(١٧٦) يشير فى هذا البيت إلى ما رواه البخارى عن النبى ﷺ أنه قال:

« لأعطينَّ الراية غدًا رجلاً يفتح الله على يديه... فلما أصبح الناسُ غَدَوْا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علىُّ بن أبى طالب؟ ... فأعطاه الراية ».

[الفتح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب على ٧/٨٧ ، حديث رقم ٣٧٠٢].

(١٧٧) المبتدر: الذى يبتدر الناس - أى يسرعون - إلى إجابته.

(١٧٨) منشط: ما تنشط إليه النفوس وتقبل عليه. مَكْرَه: ما تكرهه النفوس وتنفر منه.

(١٧٩) الصُّبُر: الصابرون، جمع صبور.

(١٨٠) الآثر: ناقل الأثر، أى السنة، والمؤثر بفتح الثاء: الأثر المنقول نفسه.

(١٨١) مزجى: سائق. الخوص: الإبل التى ضاقت أعينها من شدة الظمأ وطول السفر. النواجى: المسرعات. اليباب: الأرض المقفرة.

(١٨٢) موجد: شديد قوى، ومثله: مضبر.

(١٨٣) جزت: عَبَرت.

(١٨٥) الأنيس: المؤنِس الذى تألفه القلوب.

١٨٥ - وَاحْلُلْ بِرَبْعِهَا الأَنِيـ ـسِ الجَنَبَاتِ العَطِرِ

١٨٦ - وقِفْ تجاه الحُجْرَةِ الـ ـعَلْيَاءِ خَيْرِ الحُجَرِ

١٨٧ - مُعَظِّمًا حُرْمَتَهَا مُقَبِّلاً للجُدُرِ

١٨٨ - مُعَفِّرَ الخَدِّ عَلىٰ ذاكَ الثَّرَىٰ المُعَنْبَرِ

١٨٩ - وحَيِّ مَنْ خَيَّمَ فى ذاكَ الجَنابِ الأَطْهَرِ

١٩٠ - تَحِيَّةً طَيِّبَةً عنِ العُبَيْدِ الأَصْغَرِ

١٩١ - يَحيٰى بنِ يُوسُفَ بنِ يَحْـ ـيٰى العَاجِزِ المُقَصِّرِ

١٩٢ - وقُلْ: عُبَيْدُ تُرْبِكُمْ ثَاوٍ بِأَرْضِ صَرْصَرِ

١٩٣ - لَهُ إِلَيْكُمْ ضَرَعُ الـ ـجَانِى وذُلُّ المُعْتَرِ

١٩٤ - قَد مَدَّ نَحْوَ فَضْلِكُمْ منهُ يَدَ المُفْتَقِرِ

١٩٥ - يسْأَلُكُمْ خَيْرَ الرِّضا لِقَلْبِهِ المُنْكَسِرِ

١٩٦ - وأَنْ تَقَرَّ عَيْنُهُ مِنكمْ بِحُسْنِ النَّظَرِ

١٩٧ - فِى هٰذِهِ الدُّنْيا وفِى يومِ الجَزاءِ الأَوْفَرِ

١٩٨ - يا صَاحِبَ الجاهِ الظَّلِيـ ـلِ الشَّامِلِ المُنْتَشِرِ

١٩٩ - وذَا الحِمَى المَنِيعِ والـ ـبَأْسِ الشَّدِيدِ الأَظْهَرِ ١/٢٧

٢٠٠ - ومَنْ أَذَلَّتْ بِيضُهُ عِزَّةَ آلَ الأَصْفَرِ

٢٠١ - كَيْفَ وأَنتَ عِزُّنا نَخَافُ بَأْسَ التَّتَرِ؟

٢٠٢ - لَيْسَ أَسَأْنَا وبَدَا مِنْهَا سُلوكُ الغُدُرِ

---

(١٨٦) الحجرة العلياء: حجرة النبى ﷺ.

(١٨٩) خيم: أقام.

(١٩٠) العبيد: تصغير عبد.

(١٩١) يحيى بن يوسف بن يحيى: اسم شاعرنا الصرصرى.

(١٩٢) ثاوٍ: مقيم. صرصر: بلدة الصرصرى، بالعراق.

(١٩٣) ضرع: ضراعة، أى خضوع. المعتر: المتعرض للمعروف سأل أو لم يسأل.

(١٩٩) المنيع: الممنوع من عدوان المعتدين.

(٢٠٠) بيضه: سيوفه. آل الأصفر: الروم.

(٢٠٢) الغُدر: جمع غادر.

٢٠٣ - فـإنَّ صَـفْحَ القَـادِرِ الْـ ـكَرِيمِ عَـمَّنْ يَجْـتَـرِى

٢٠٤ - نَـحْـنُ وإنْ كُـنَّـا ذَوِى جُـرْمٍ عَظِيمٍ خَطِرِ

٢٠٥ - مِنْ زُمْـرَةٍ مَنْسُـوبَةٍ إلَيكَ دونَ الزُّمَـرِ

٢٠٦ - فَـغِرْ عليْهَا واحْمِهَا وإنْ جَنَتْ فَاسْتَغْفِرِ

٢٠٧ - وإنْ وَهَتْ فَـقَـوِّهَا أو قُـهِرَتْ فَـانْتَصِرِ

*****

---

(٢٠٣) صفح: العفو. يجترى: يجترئ، وخفَّفَ الهمز لضرورة القافية.

(٢٠٥) زمرة: جماعة.

(٢٠٧) وهت: ضعفت.

الرائية الثانية

(عدتها ٧٤ ـ الكامل الأول)

تُعَدُّ هذه القصيدة رسالة حب وأشواق صادقة إلى النبى ﷺ وأرض الحرمين الشريفين، يمتزج فيها الغزل والحب بالثناء والمديح، بالذكريات الطيبة، بالرحلة إلى الديار المباركة، وتنتهى ـ كعادة شاعرنا ـ باستعطاف النبى ﷺ أن يرضى عنه ويجلو عنه الضر الذى أصابه وخلَّفه عن زيارته.

تضمنت القصيدة الأفكار الآتية :

- ذكريات فى حمى الحرم الشريف.
- أشواق إلى النبى الكريم ﷺ.
- فى الثناء على النبى ﷺ وذكر بعض معجزاته.
- النبى ﷺ حرز لأمته.
- رحلة الحجيج إلى الأرض المقدسة.
- رسالة حب وشوق إلى النبى ﷺ.
- دعاء واستعطاف.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - ذَكَرَ العَقِيقَ فَهاجَهُ تَذْكَارُهُ ... صَبٌّ عَنِ الأَحْبَابِ شَطَّ مَزَارُهُ

٢ - وهَفَتْ إلىٰ سَلْعٍ نَوازِعُ قَلْبِهِ ... فَتَضَرَّمَتْ بَيْنَ الجَوانِحِ نَارُهُ

٣ - كَلِفٌ بِرامَةَ مَا تَأَلَّقَ بَارِقٌ ... مِنْ نَحْوِها إلا بَدَا إضْمَارُهُ

٤ - يَشْتَاقُ وَادِيَهَا وَلَوْلا حُبُّهَا ... لَمْ يُصْبِهِ وادٍ زَهَتْ أَزْهَارُهُ

٥ - شَغَفًا بِمَنْ مَلَكَ الفُؤادَ بأَسْرِهِ ... وبِوُدِّهِ ألاَّ يُفَكَّ إسَارُهُ

٦ - لَوْلاَ هَواهُ لَمَا ثَنَىٰ أَعْطَافَهُ ... بَانُ الحِجَازِ ورَنْدُهُ وعَرَارُهُ

٧ - يا مَنْ ثَوَىٰ بَيْنَ الجَوانِحِ والحَشَا ... مِنِّي وإنْ بَعُدَتْ عَلَىَّ دِيارُهُ

٨ - عَطْفًا علىٰ قَلْبٍ بِحُبِّكَ هائِمٍ ... إن لَمْ تَصِلْهُ تَصَدَّعَتْ أَعْشَارُهُ

٩ - وارْحَمْ كَئِيبًا فِيكَ يَقْضِي نَحْبَهُ ... أَسَفًا عَلَيْكَ وما انْقَضَتْ أَوْطَارُهُ

١٠ - لا يَسْتَفِيقُ مِنَ الغَرامِ، وكُلَّما ... حَجَبُوكَ عَنْهُ تَهَتَّكَتْ أَسْتَارُهُ

١١ - مَا اعْتَاضَ مِنْ سَمُرِ الحِمَىٰ ظِلاًّ ولا ... طَابَتْ بِغَيْرِ حَدِيثِكُمْ أَسْمَارُهُ

١٢ - هَلْ عائِدٌ زَمَنٌ تَضَوَّعَ نَشْرُهُ ... أَرَجًا ورَقَّتْ بالرِّضَا أَسْحَارُهُ ٢٧/ب

١٣ - فِي مَرْبَعٍ بِقِبَابِ سَلْعٍ مُونِقٍ ... بالأُنْسِ تَهْتِفُ بالمُنَىٰ أَطْيَارُهُ

---

(١) هاجه: أثار أشواقه. صب: عاشق. شطَّ: بَعُدَ.

(٢) هفَتْ: خفقت وتحركت. نوازع قلبه: أشواقه. تضرَّمت: اشتعلت. الجوانح: الضلوع.

(٣) كَلِفٌ: شديد التعلُّق والحب. رامة: موضع فى طريق البصرة إلى مكة [معجم البلدان ٣/٢٠]. تألَّق: لمع. بارقٌ: برق. إضماره: ما يضمره، أى يخفيه، من الشوق.

(٤) لم يُصْبِه: لم يجذبه.

(٥) شغفًا: حبًا. إساره: قيده.

(٦) ثنى أعطافه: استماله وجذبه، البان: شجر طويل أملس. الرند: نبات طيب الرائحة. العرار: بهار البر.

(٨) أعشاره: أجزاؤه، أى تفرق قطعًا.

(٩) يقضى نحبه: يموت. أوطاره: حاجاته، جمع وطر.

(١١) اعتاض: تعوَّض. السمُر: شجر كبير. الأسمار: أحاديث الليل.

(١٢) تضوَّع: انتشرت رائحته، والنشر: العطر، ومثله الأرج. أسحاره: فى الأصل: أشجاره، والتصويب من [النبهانية ٢/١٠١].

(١٣) مونق: حَسَن جميل.

١٤ - فَـاقَ البَـسِـيطَةَ عِـزَّةً ومَـهـابَةً ... فَـسَـمـا وعَـزَّ مِنَ البَـرِيَّةِ جَـارُهُ

١٥ - يَحْمِي النَّزِيلَ، وكَيْفَ لا يَحْمِي وقَدْ ... حُـفَّتْ بِجـاهِ المُـصْطَفَىٰ أقْطَارُهُ

١٦ - أضْـحَىٰ تَرَىٰ أكْنَافَـهُ إذْ حَلَّهـا ... يَشْـفِي مِنَ الدَّاءِ العُـضَـالِ غُـبَـارُهُ

١٧ - سُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ المَحَاسِنَ كُلَّها ... فِـيـهِ فَـتَـمَّ بَهـاؤُهُ وفَـخَـارُهُ

١٨ - جُبِلَتْ علىٰ التَّشْرِيفِ طِينَتُهُ، فما ... نَشَـأَتْ علىٰ غَـيْـرِ العُـلا أطْوارُهُ

١٩ - وصَـفَتْ خَـلائِقُـهُ وطُهِّـرَ صَـدْرُهُ ... وزَكَـا وطَابَ أَدِيـمُـهُ ونِجـارُهُ

٢٠ - حَـمَلَتْـهُ آمِنَةُ الحَـصَـانُ فَلَمْ تَجِـدْ ... ثِقَـلاً إلىٰ أنْ حَـانَ مِنْهُ بِدارُهُ

٢١ - ورأتْ قُصُورَ الشَّامِ حِينَ تَشَعْشَعَتْ ... أنْوارُهُ وتَبـاشَـرَتْ حُـضَّـارُهُ

٢٢ - ولَدَتْهُ مَـخْـتُـونًا وأهْوَىٰ سـاجِـدًا ... وكَـسَـاهُ حُـسْنًا زائِدًا مُـخْـتَـارُهُ

٢٣ - لا بالطَّوِيلِ ولا القَـصِـيـرِ، وإن مَـشَىٰ ... بَيْنَ الطِّوالِ سَـمَـتْـهُـمُ أنْوَارُهُ

٢٤ - وإذا تَكَلَّلَ كـالجُـمَـانِ جَـبِـينُهُ ... عَـرَقًـا لأَمْـرٍ عُظِّمَتْ أسْـرارُهُ

٢٥ - فـأرِيجُـهُ أذْكَىٰ وأطْيَبُ مَـخْـبَـرًا ... مِنْ رِيحِ مِـسْكٍ فَـضَّـهُ عَطَّارُهُ

٢٦ - وإذا بَـدَا فِـي حُـلَّـةٍ يَـمَـنِـيَّـةٍ ... قَـدْ زانَ دائِرَ طَوْقِـهـا أزْرارُهُ

٢٧ - فالشَّمْسُ بَعْدَ الصَّحْوِ مُشْرِقَةُ السَّنَا ... والبَـدْرُ فِي فَلَكِ الكَمـالِ مَـدَارُهُ

---

(١٤) البسيطة: الأرض.

(١٥) حُفَّت: أحيطت. أقطاره: نواحيه.

(١٦) الداء العضال: الذى لا شفاء منه. يقول: إن هذا التراب الطاهر شفاء لمن لا دواء له، منذ أن حله النبى المختار ﷺ.

(١٨) جُبِلَت: خلقت. أطواره: مراحل تكوينه وحالاته.

(١٩) زكا: طهر. أديمه: جلده. نجاره: أصله وحَسَبه.

(٢٠) الحصان: العفيفة. بداره: ظهوره وولادته ﷺ.

(٢١) تشعشعت: أضاءت وانتشرت. حُضَّاره: الحاضرون فى زمان ولادته ﷺ.

(٢٢) أهوى: سقط. جاء فى الخبر أن النبى ﷺ لمَّا وُلد، أهوى على الأرض ساجدًا [انظر طبقات ابن سعد ١ / ٦٣ ، والسيرة الحلبية ١ / ٨٠].

(٢٣) وصف سيدنا أنس ﷺ رسولَ الله ﷺ فقال: « ليس بالطويل البائن (أى الزائد الطول) ولا بالقصير » [الفتح، كتاب المناقب ٦ / ٦٥٢ ، حديث رقم ٣٥٤٨]. وفى الأصل: بين الطويل، وهو خطأ من الناسخ.

(٢٤) تكلَّل: لبس الإكليل، وهو التاج، يريد أن عرقه ﷺ يزيِّن جبينه كما يزينه التاج. الجمان: الفضة.

٢٨ - مُتَقَلِّدٌ بالسَّيْفِ ليسَ مُبالِيًا ... بِمَنِ الْتَقَىٰ، عَزَّت بِهِ أَنْصَارُهُ

٢٩ - حُلَلُ السَّكِينَةِ والثَّبَاتِ لِباسُهُ ... والبِرُّ والإِخْلاصُ فِيهِ شِعارُهُ

٣٠ - وضَمِيرُهُ التَّقْوَىٰ وأُوتِيَ حِكْمَةً ... فازْدادَ مِنْهَا عَقْلُهُ ووقارُهُ

٣١ - والصِّدقُ مِنهُ والوَفاءُ طَبِيعَةٌ ... والعُرْفُ والصَّفْحُ الجَمِيلُ دِثارُهُ

٣٢ - والعَدْلُ سِيرَتُهُ وحَقٌّ شَرْعُهُ ... وسَبِيلُهُ نَهْجُ الهُدَىٰ ومَنارُهُ

٣٣ - وشَرِيعَةُ الإِسلامِ مِلَّتُهُ وبالْـ ... ـحَقِّ المُبِينِ إلى الوَرَىٰ إظْهارُهُ ٢٨/أ

٣٤ - خَتَمَ النُّبوَّةَ فَهْوَ دُرَّةُ تاجِها ... وطِرازُ حُلَّتِها الثَّمِينُ عِيارُهُ

٣٥ - أَبْقَىٰ بِسُنَّتِهِ طَرِيقًا واضِحًا ... رَحْبًا سَواءً لَيْلُهُ ونَهارُهُ

٣٦ - يَمْحُو سَنَا الشَّمْسِ الكُسُوفُ ويَنْقُصُ الْـ ... ـقَمَرَ المَحاقُ ويَعْتَرِيهِ سِرارُهُ

٣٧ - وشُمُوسُ شِرعَةِ دِينِهِ مَحْرُوسَةٌ ... مِنْ حادِثٍ يَمْحُو الضِّياءَ غُبارُهُ

٣٨ - نَهَجَ الصَّوابَ بِجِدِّهِ وبِجَدِّهِ ... بَعْدَ الدُّثُورِ تَجَدَّدَتْ آثارُهُ

٣٩ - فاسْتَعْلَنَ الحَقُّ المُبِينُ بِنُورِهِ ... واخْتالَ فارانٌ وقَرَّ قَرارُهُ

٤٠ - وجَلا ظَلامَ الحَرَّتَيْنِ ضِياؤُهُ ... وحَوَىٰ بِهِ المَجْدَ الأَثِيلَ نِزارُهُ

٤١ - زَهَرَتْ نُجُومُ السَّعْدِ فِي بَدْرٍ بِهِ ... وتَبَلَّجَتْ يَوْمَ الرِّضا أَقْمارُهُ

---

(٢٩) حلل : جمع حُلَّة، وهى الثوب، شبه حلول السكينة والثبات والبر والإخلاص فى قلبه ﷺ بالثوب المشتمل عليه .

(٣١) العرف : المعروف .

الصفح الجميل : العفو الذى لا يعقبه لوم .

(٣٤) طراز : زينة . عياره : وزنه ومقداره .

(٣٦) المحاق : إظلام القمر، والسرار : آخر ليلة من الشهر .

(٣٧) غباره : فى الأصل : عثاره، والتصويب من [النبهانية ٢ / ١٥٣] .

(٣٨) نهج الصواب : اتخذه منهجا وبينه للناس . بجِدِّه : باجتهاده . وبجَدِّه : بما وهبه الله من الهدى . الدُّثور : القدم والانطماس .

(٣٩) استعلن : ظهر . فاران : اسم مكة المكرمة فى التوراة، وجبال فاران هى جبال الحجاز . وفى التوراة : « جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن من جبال فاران »

[معجم البلدان ٤ / ٢٥٥] .

(٤٠) الحرتين : مثنى حَرة، وهى الأرض ذات الحجارة السوداء كأنها أحرقت بالنار، وبظاهر المدينة حرّتان . الأثيل : الأصيل المتوارث .

(٤١) زهرت : لمعت . تبلّجت : أشرقت .

٤٢ - وشُمُوسُهُ فى فَتْحِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ ... فانْجَابَ عَنْ وَجْهِ العَلاءِ قُتَارُهُ

٤٣ - وعَلَتْ بِهِ أَوْلادُهُ ونِساؤُهُ ... وصِحابُهُ وزَكَتْ بِهِ أَصْهارُهُ

٤٤ - وسَمَتْ بِهِ غِلْمانُهُ وإِماؤُهُ ... وجَوادُهُ وبَعِيرُهُ وحِمارُهُ!

٤٥ - وحَوَىٰ الفَخارَ سَرِيرُهُ وفِراشُهُ ... وخِيامُهُ وفِناؤُهُ وجِدارُهُ!

٤٦ - وتَضَوَّعَتْ أَرْدانُ بُرْدَتِهِ بِهِ ... طِيبًا وطَابَ رِداؤُهُ وإِزارُهُ!

٤٧ - شَهِدَ الكِتابُ المُوسَوِيُّ بِفَضْلِهِ ... وتَحَقَّقَتْهُ وأَيْقَنَتْ أَحْبارُهُ

٤٨ - هُوَ شاهِدٌ مُتَوَكِّلٌ ومُبَشِّرٌ ... هُوَ مُنْذِرٌ مُتَيَقِّنٌ إِنْذارُهُ

٤٩ - أَضْحَىٰ لأُمِّيِّينَ حِرزًا نافِعًا ... وُضِعَتْ بِهِ عَنْ وَقْتِهِ آصارُهُ

٥٠ - بالشَّامِ دَوْلَتُهُ ومَكَّةُ رَبَّةُ الـ ... ـحُرُماتِ مَوْلِدُهُ وطَيْبَةُ دارُهُ

٥١ - عَلِمَ اليَهُودُ الحَقَّ ثُمَّتَ أَنْكَرُوا ... حَسَدًا فأَفْسَدَ عِلْمَهُمْ إِنْكارُهُ

٥٢ - تَبًّا لِمَنْ عَرَفَ اليَقِينَ وصَدَّهُ ... - لَمَّا استَبانَ لَهُ الصَّوابُ - نِفارُهُ

٥٣ - وكَذاكَ فى إِنجِيلِ عِيسَىٰ وَصْفُهُ ... فى كُلِّ عَصْرٍ تُجْتَلَىٰ أَخْبارُهُ

٥٤ - عَجَبًا لِذِى لُبٍّ رآهُ وكَيْفَ لَمْ ... يَنْبَتَّ عَنْهُ لِوَقْتِهِ زُنَّارُهُ ٢٨/ب

٥٥ - وعُذافِرٍ أُجُدٍ أُمُونٍ تَرْتَمِى ... مَرَحًا كَهَيْقٍ هاجَهُ ذُعَّارُهُ

---

(٤٢) انجاب: زال وانكشف. قتاره: غباره.

(٤٤) غلمانه: فى الأصل: غُلَماؤه، وهو خطأ صرفى، صوابه ما أثبته، كما فى [النبهانية ٢ / ١٠٤]. إماؤه: جمع أمة، وهى الجارية.

(٤٦) تضوعت: انتشرت رائحتها الطيبة. أردان: أكمام.

(٤٧) الكتاب الموسوى: كتاب سيدنا موسى عليه السلام، وهو التوراة. الأحبار: علماء اليهود.

(٤٩) الأميين: العرب. حرزا: حصنا وحفظا. آصاره: أثقاله وقيوده.

(٥٠) دولته: موطن قوته وعزته، والصوفية يذهبون إلى أن الأبدال - وهم من رجال الغيب، كلما مات منهم واحد أبدل مكانه غيره إلى قيام الساعة، وهم محل نظر الله من العالم - موطنهم الشام، ولهم مقام عال؛ إذ بتوسلهم وشفاعتهم يستنزل المطر ويجلب النصر على العدو وتتقى النكبات العامة [انظر: معجم ألفاظ الصوفية، للدكتور حسن الشرقاوى، ٢٢].

(٥٢) تبًا: هلاكا. نفاره: بُعده عن الحق، وهو فاعل (صدّه).

(٥٣) تجتلى: تظهر فيراها الناس.

(٥٤) ينبت عنه: ينفصل ويقطع. والزُّنَّار: حزام يشده رهبان النصارى على أوساطهم.

(٥٥) عذافر: ناقة شديدة. أُجُد: ضخمة. أمون: يؤمن عليها من العثار والإعياء =

٥٦ - كَوْمَاءَ يَرْفَعُهَا السَّرابُ كأَنَّها ... فَلَكٌ عَلىٰ بَحْرٍ طَمىٰ تَيَّارُهُ

٥٧ - يَطْوِى بِها شُعَبَ الفَلاةِ مُشَمِّرًا ... كالسَّيفِ للغَمَراتِ سُنَّ غِرارُهُ

٥٨ - شَهْمٌ إذا رَامَ الخَطِيرَ مِنَ العُلا ... لَمْ يَثْنِهِ عَمَّا يَرومُ خِطارُهُ

٥٩ - يَتَجَشَّمُ الوَعْرَ المَخُوفَ لِيَأْمَنَ الـ ... ـوَعْرَ الذى بالمَرْءِ يَلْحَقُ عَارُهُ

٦٠ - يَسرِى مَعَ الوَفْدِ الكِرامِ لِيَشْهَدَ الـ ... ـجَمْعَ الذى شَرُفَتْ بِهِ أمْصَارُهُ

٦١ - فِى مَوْقِفٍ جَمَّ المَواهِبِ زاهِرٍ ... وُضِعَتْ عَنِ الجَانِى بِهِ أوْزارُهُ

٦٢ - والمَأْزَمَيْنِ ومَشْعَرًا ذَا حُرْمَةٍ ... ومُحَصَّبًا بِمِنَىٰ تُعَدُّ جِمارُهُ

٦٣ - ويَطوفُ مُضْطَبِعًا طَوافَ قُدومِهِ ... سَبعًا بِبَيْتٍ عُظِّمَتْ أسْتَارُهُ

٦٤ - أبهَىٰ من الدِيباجِ رَونَقُ حِجْرِهِ ... وعَلَىٰ اللآلِئِ فُضِّلَتْ أحْجَارُهُ

٦٥ - ويَسِيرُ بَعدَ قَضاءِ مُفْتَرَضاتِهِ ... لِيَزُورَ رَبْعًا أُكْرِمَتْ زُوَّارُهُ

٦٦ - رَبْعًا بِهِ نُورُ النَّبِىِّ مُحَمَّدٍ ... مُتَلألِئٌ نَضِرَتْ بِهِ نُظَّارُهُ

٦٧ - نَادَيْتُهُ: باللهِ يا مَنْ أسْفَرَتْ ... عَنْ بِشْرِ وَجْهِ نَجاحِهِ أسْفَارُهُ

٦٨ - بَلِّغْ - هُدِيتَ - سَلامَ صَبٍّ مُغْرَمٍ ... قَامَتْ بِشَيْبِ عِذَارِهِ أعْذَارُهُ

= ترتمى: تسير مسرعة. الهيق: الظليم، وهو ذكر النعام. هاجه: أثاره وأفزعه. ذُعَّاره: مَنْ ذعره، أى أفزعه.

(٥٦) كوماء: ضخمة السنام. طمى: زاد وارتفع. تياره: أمواجه.

(٥٧) شُعَب: طرق. مشمِّر: نشيط قوىّ العزم. الغَمَرات: الشدائد، جمع غَمْرة، وأصلها الماء الكثير. غرار السيف: حدّه.

(٥٨) الخطير: العظيم. الخطار: جمع خَطَر.

(٥٩) يتجشم: يكلّف نفسه جهداً كبيراً وعناء. الوعْر (الأولى): الجبل، والوعر (الثانية): الصعب من الأمور.

(٦٠) الوفد: الحجاج، وهم وفد الله عز وجل.

(٦١) جم: كثير. المواهب: العطايا الإلهية. زاهر: مضىء. وضعت: أسقطت. أوزاره: ذنوبه.

(٦٢) المأزمين: موضع بين عرفة والمزدلفة. المأزمان: مثنى مأزَم، وهو الطريق الضيق، والمأزمان: موضع بمكة بين المشعر الحرام وعرفة، وهو شعْب بين جبلين [معجم البلدان ٥ / ٤٧]. والمشعر الحرام: المزدلفة، وهو بين الصفا والمروة [السابق ٥ / ١٥٦].

(٦٣) مضطبعا: من الاضطباع، وهو أن يُدخل المُحرم الرداء تحت إبطه الأيمن ويرد طرفه على يساره، ويظهر منكبه الأيمن ويغطّى الأيسر.

(٦٤) الديباج: الحرير. رونق: حسن وبهجة. الحجر: سبق تعريفه.

(٦٦) نضرت: أصبحت ناضرة، أى مشرقة حسنة.

(٦٨) العذار: الشعر النازل على الفكين.

٦٩ - وقُلِ السَّلامُ عَلَيْكَ مِنْ مُتَشَوِّفٍ ... لِعَظِيمِ فَضْلِكَ رَثَّةٍ أطْمَارُهُ

٧٠ - يَا مَنْ جَلا قَتَرَ الضَّلالِ وَمنْ إذا ... ما أمَّهُ العَافِي انْجَلَىٰ إقْتَارُهُ

٧١ - يا مَنْ تَسَاوَىٰ فى المَكارِمِ والنَّدَىٰ ... كِلْتَا يَدَيْهِ: يَمِينُهُ ويَسَارُهُ

٧٢ - أنتَ المَلِيُّ بِكَشْفِ ضُرٍّ مُخَلَّفٍ ... ذِى عُسْرَةٍ بِنَدَىٰ يَدَيْكَ يَسَارُهُ

٧٣ - جَعَلَ الثَّناءَ علىٰ عُلاكَ شِعَارَهُ ... فَحَلَتْ بِهِ وتَعَطَّرَتْ أشْعَارُهُ

٧٤ - يَرْجُو النَّجاةَ بِفَضْلِ جَاهِكَ فى غَدٍ ... فى مَوْقِفٍ يَخْشَىٰ التَّوَىٰ أبْرَارُهُ

*****

---

(٦٩) متشوِّف: متطلِّع. رثَّة: بالية. أطماره: ثيابه.

(٧٠) القتر: الغبار والدخان. أمَّه: قصده، و(ما) زائدة. إقتاره: فقره.

(٧١) الندى: الكرم.

(٧٢) المَلِيُّ: كذا فى الأصل، وفى النبهانية: المليءُ، وفسره بالغنىّ، ولم أجده بهذا المعنى. ولعله: الوَلِىّ. مُخَلَّف: تخلف عن الحج لضُرٍّ أصابه. عُسرة: ضيق الحال. اليسار: الغنَى.

(٧٤) التَّوَىٰ: الهلاك، وفى الأصل: النوى، وهو خطأ من الناسخ، والصواب ما أثبته كما فى [النبهانية ٢/١٠٦].

الرائية الثالثة

(عدتها ٥١ ـ الطويل الثانى)

تمتاز هذه القصيدة بكثرة الجناس والطباق وغيرهما من ألوان البديع، وهى تعبير عن عاطفة جياشة نحو الأرض المقدسة، وذكريات الشاعر فى جنباتها، فى ظلال الرسول ﷺ، ثم الثناء على الهادى البشير، والتغنى بأسمائه الكريمة فنظمها فى أربعة أبيات (٢١ : ٢٤) هى بمثابة عقد نفيس، ثم تلاها ذكر بعض خصائصه الشريفة وحلو شمائله، والدعوة إلى الاقتداء بسنته والاعتصام بهدايته، ثم يحمل الركب رسائله وأشواقه ومناجاته لخير البشر ﷺ.

تتضمن القصيدة العناصر التالية :

- أشواق لا تهدأ.
- فى أسماء النبى ﷺ وصفاته.
- رسالة شوق ومناجاة للنبى ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - مَتَىٰ حَلَّ حَادِى العِيسِ بالرَّكْبِ حَاجِرَا ... كَحَلْتَ بِذَيَّاكَ التُّرابِ المَحَاجِرَا

٢ - وإِنْ هُوَ أَضْحَىٰ ماءَ غَمْرَةَ وَارِدًا ... جَلا غَمْرَةَ الصَّادِى فأَصْبَحَ صَادِرا

٣ - ويا نِعْمَتا إِنْ غَيْهَبُ السَّفَرِ انْجَلَىٰ ... بِنَعْمانَ عَنْ وجْهِ البِشَارةِ سَافِرا

٤ - إِذًا لاسْتَقَرَّتْ بَعدَ نَأْىٍ قُلوبُنَا ... وقَرَّتْ عُيونٌ بِتْنَ مِنَّا سَوَاهِرا

٥ - وأُقْسِمُ لوْ أَمْسَيْتُ فى دارَةِ الحِمَىٰ ... لَجِيرانِ سَمْراءِ السُّتُورِ مُسامِرا

٦ - لَقَبَّلْتُ - إِجْلالاً - بِسمْعِى وناظِرِى ... ثَرَاها الذى بالنُّورِ أَصْبَحَ ناضِرا

٧ - مَواقِفُ عَطْفٍ طابَ بالوَصْلِ نَشْرُها ... فأَضْحَىٰ لأَمْوَاتِ الصَّبابةِ ناشِرا

٨ - ظَفِرْتُ بِصَفْوِ العَيْشِ فى جَنَباتِها ... لَيالِىَ أَمْسَىٰ بالصَّفَا الحبُّ زائِرا

٩ - لَيالٍ بِنورِ الحبِّ أَقْمَرْنَ وانْثَنَى ... بِها نَفَسُ الأَسْحارِ للُّبِّ سَاحِرا

١٠ - لَيالٍ جَمَعْنَ الفَوْزَ بالقُرْبِ والرِّضَا ... وشَتَّتْنَ شَمْلَ الهَمِّ فانْصاعَ صَاغِرا

١١ - ولَسْتُ بِناسٍ يَومَ أَضْحَتْ رِكابُنا ... تَخُبُّ إِلىٰ وادِى العَقِيقِ بواكِرا

١٢ - حَلَلْنَ بِنا فى طالِعِ السَّعْدِ واديًا ... أَنِيسًا أَنِيقَ الجَوِّ أَفْيَحَ زاهِرا

١٣ - فَبِتْنَا وكَاسُ الرَّوْحِ بينَ رِحَالِنا ... يُعَلِّلُ أَرْواحًا ظِمَاءً ضَوامِرا

---

(١) حاجر : موضع قريب من مكة المكرمة، من منازل الحاج [انظر : معجم البلدان ٢ / ٢٣٦]. بذيَّاك : بهذا، و(ذيَّاك) اسم إشارة مصغَّر، مسند إلى كاف الخطاب.

(٢) غمرة : منزل من منازل الحاج على طريق مكة المكرمة، وهو فصل ما بين تهامة ونجد. وهناك عدة مواضع أخرى تسمى (غمرة)، لكن المقصود هو هذا المذكور [معجم البلدان ٢ / ٢٤٠].

(٣) غيهب : ظلام. سافرا : كاشفًا.

(٧) نشرها : رائحتها الطيبة. لأموات الصبابة : للعاشقين الذين بلغ بهم العشق مبلغه، وفي الأصل : لأضحى بها ميت الصبابة ناشرا، ولا يستقيم معناه؛ لأن ميت الصبابة لا يكون ناشرا بل مُنْشَرا ، والصواب ما أثبتُّه من [النبهانية ٢ / ١٠٧]. ناشرا : باعثا لهم بعد موتهم.

(٨) الصفا : تورية بمعنيين، هما : جبل الصَّفا، والصفاء ضد الكدر، الحبُّ : الحبيب.

(١٠) انصاع : انقاد ورجع مسرعا. صاغرا : ذليلا.

(١١) تخب : تعدو مسرعة.

(١٢) أفيح : واسع. زاهر : مضيء.

(١٣) الرَّوح : الراحة والسكينة. يُعَلِّل : يسقيها مرة بعد مرة. ضوامر : مهزولة من شدة الظمأ.

١٤ - وسِـــرْنَ إلىٰ سَلْعٍ بأيْمَنِ طائرٍ ... بِمَنْ بِجَناحِ الشَّوْقِ أصْبَحَ طائرا

١٥ - نُقَوِّي بِمَسْرَاها نُفُوسًا ضَعِيفةً ... ونُنْعِشُ مِنَّا بالسُّرورِ السَّرائرا

١٦ - فَلَمَّا حَلَلْنا أرضَ طَيْبَةَ مَعْدِنَ الـ ... ـمَكارِمِ طِبْنَا باطِنًا ثُمَّ ظاهِرا

١٧ - هُنالِكَ لا تَثْرِيبَ - يومًا - علىٰ فَتًى ... إلىٰ يَثْرِبَ الفَيْحَاءِ حَثَّ العُذافِرا

١٨ - ولَيسَ علىٰ سارٍ لَها جُنْحَ لَيْلَةٍ ... جُناحٌ إذا أفْنَىٰ الكَرىٰ والكَراكِرا

١٩ - لأنَّ بِها أزْكَىٰ البَرِيَّةِ عُنْصُرًا ... إذا عَدَّ أرْبابُ الفَخارِ العَناصِرا

٢٠ - بأحْمَدَ أضْحَتْ يَثْرِبٌ أحْمَدَ القُرَىٰ ... مَوارِدَ طَابَتْ بالتُّقَىٰ ومَصادِرا

٢١ - فأكْرِمْ بِهِ عَبْدًا صَفِيًّا مُعظَّمًا ... بَشِيرًا نذيرًا طَيِّبَ الأصلِ طاهِرا ٢٩/ب

٢٢ - سِراجًا مُنِيرًا هَادِيَ الخَلْقِ ناهِيًا ... عنِ النُّكْرِ، بالمَعْروفِ والبِرِّ آمِرا

٢٣ - رَسُولاً أمِينًا للكِرامِ مُقَفِّيًا ... ضَحُوكًا قَثُومًا عَاقِبًا ثُمَّ حاشِرا

٢٤ - رَءُوفًا رَحِيمًا شَاهِدًا مُتَوَكِّلاً ... عَزُوفًا عنِ الدُّنْيا علَى الضَّنْكِ صَابِرا

٢٥ - بِحُلْوِ قَضاءِ اللهِ راضٍ ومُرِّهِ ... علىٰ البُؤْسِ والنَّعْماءِ ما زَالَ شاكِرا

٢٦ - حَلِيمٌ كَثِيرُ الصَّفْحِ أجْوَدُ بالعَطَا ... مِنَ الغَيثِ دَفَّاقِ الشَّآبِيبِ هامِرا

٢٧ - وأمْضَىٰ لأمْرِ اللهِ جَلَّ ثناؤُهُ ... مِنَ السَّيفِ مَصْقُولِ الغِرارَيْنِ باتِرا

---

(١٤) بأيمن طائر : بأسعد حظ، وكانت العرب تتفاءل بالطائر إذا مرَّ من ناحية اليمين، وتسميه طائر اليُمْن، أى الخير والبركة.

(١٥) مسراها: مصدر ميمى بمعنى: سيرها. السرائر: الضمائر، جمع سريرة.

(١٦) معدن المكارم: أصلها ومنشؤها.

(١٧) لا تثريب: لا لوم. الفيحاء: الواسعة. العذافر: الناقة الشديدة.

(١٨) سار: سائر، وفى الأصل: مُهْد، ولا وجه له، والتصويب من [النبهانية ٢/١٠٨] . جنح ليلة: بعض منها. الكرى: النوم. الكراكر: أعناق الإبل.

(١٩) أرباب: أصحاب. العناصر: الأصول والأحساب.

(٢٠) أحمد: النبى ﷺ. أحمد القرى: أفضلها، والقرى هنا بمعنى المدن.

(٢٢) النُّكْر: المنكر.

(٢٣) مُقَفِّيًا: متبعًا سنن الأنبياء من قبله.

(٢٤) عزوفًا: زاهدًا. الضَّنْك: شدة الفقر.

(٢٦) الغيث: المطر. دفَّاق: متدفق. الشآبيب: دفعات المطر المتتابعة. هامرًا: مُنْصَبًّا بغزارة.

(٢٧) الغرار: حد السيف. باتر: قاطع.

٢٨ - وأشْجَعُ مَنْ لاقَىٰ الفَوارِسَ فى الوَغَىٰ ... إذا بَلَغَتْ فيها القُلوبُ الحَناجِرا

٢٩ - يَفوقُ العَذارَىٰ فى الخُدورِ حَياؤُهُ ... علىٰ أنَّهُ يُرْدِى اللُّيوثَ الخَوادِرا

٣٠ - تُخُيِّرَ مِنْ خَيْرِ القَبائِلِ مَعْشَراً ... حَمَوْا وأعَزُّوا جارَهُمْ والمَعاشِرَا

٣١ - أوائِلُهُمْ خَيْرُ الأوائِلِ، ثُمَّ فى ... أواخِرِهِمْ فَضْلٌ يَفوقُ الأواخِرا

٣٢ - بَنَىٰ لَهُمُ مَجْداً تَسَنَّمَ صِيتُهُ ... مَنائِرَ أمْصارِ الهُدَىٰ والمَنابِرا

٣٣ - هُوَ الفاتِحُ الخاتَامُ والرَّحْمَةُ الَّتِى ... شَفَتْ ونَفَتْ آصارَنا والفَواقِرا

٣٤ - أتانَا ولَيْلُ الشِّرْكِ أليَلُ حالِكٌ ... فَجَلَّىٰ بأنْوارِ الرَّشادِ الدَّياجِرا

٣٥ - وأرْتَعَ فى رَوْضاتِ كامِلِ حُسْنِهِ ... وإحْسانِهِ أبْصارَنا والبَصائِرا

٣٦ - فَنَحْنُ عَلَىٰ بَيْضاءَ مِنْهُ نَقِيَّةٍ ... عَليها بِحَمْدِ اللهِ نَثْنِى الخَناصِرا

٣٧ - إذا ما أسَرَّ الإلْفُ فى النَّاسِ بِدعَةً ... فَمِنَّا تَرَىٰ بالسُّنَّةِ الفَرْدَ جاهِرا

٣٨ - وإنَّا لَنَرْجُو جاهَهُ الأعْظَمَ الذى ... يَكونُ لَنا ظِلاًّ مِنَ النَّارِ ساتِرا

---

(٢٨) الوغَى: الحرب. بلغت القلوب الحناجر: كناية عن الهول الشديد والفزع.

(٢٩) الخدور: جمع خدر، وهو ستر العذراء. يردى: يهلك. الليوث: الأُسُود. الخوادر: المقيمة فى عرينها. يشير فى صدر البيت إلى ما جاء فى صفة النبى ﷺ أنه كان «أشدَّ حياءً من العذراء فى خدرها» [الفتح، كتاب المناقب، باب صفة النبى ﷺ ٦/ ٦٥٤، حديث رقم ٣٥٦٢]. ويشير فى عجز البيت إلى شجاعته ﷺ «وكان أشجع الناس» كما روى الإمام مسلم فى صحيحه [بشرح النووى كتاب الفضائل، باب شجاعته ﷺ ١٥/ ٦٧].

(٣٠) المعاشر: القبائل.

(٣٢) تسنَّم: علا. صيته: سمعته الحسنة. منائر: جمع منارة، وهى المئذنة، وفى الأصل: كراسىّ أمصار...، وما أثبته أقرب إلى أسلوب الصرصرى فى هذه القصيدة، لميله إلى المجانسة (بين: منائر / منابر). أمصار: بلاد، جمع مصر.

(٣٣) الخاتِم والخاتَم والخاتام بمعنى واحد، وهو نعت للنبى ﷺ. الآصار: القيود. الفواقر: الدواهى.

(٣٤) ليلٌ أليل: شديد الظلمة، وكذا حالك. الدياجر: الظلمات.

(٣٥) أرتَع: جعلها ترتع، أى تنال ما تريد.

(٣٦) بيضاء: صفة لموصوف محذوف، والتقدير: على ملة بيضاء، أى واضحة لا زيغ فيها. نثنى الخناصر: نعدّها أول فضائلنا فنقدرها حق قدرها.

(٣٧) الإلف: العادة. فمنّا: فى الأصل: فما، ولا يستقيم وزنًا ولا معنى، والتصحيح من [النبهانية ٢/ ١٠٩].

٣٩ - إذا خَـرَّ لله الـمُـهَـيْـمِنِ سـاجِـداً ... وأنْقَـذَ مَنْ يَغْـشَىٰ الذُّنوبَ الكَبـائِرا

٤٠ - فـيـا أيُّهـا الـمُـزْجِي نجـائِبَ تَرْتَمِي ... تُخـالُ بِبَـحْـرِ الآلِ فُلْكًا مَـواخِـرا

٤١ - تَـمـورُ بِظَهْـرِ البِـيـدِ مَـوْراً كـأنَّهـا ... نَعَـامٌ رأَتْ ذُعْـراً فَـمَـرَّتْ نَوافِـرا

٤٢ - عَلَيْـهـا رِجـالٌ كُلُّ شَـهْمٍ مُـواصِلُ الْـ ... ـهَـجـيرِ ويَغْـدُو للتَنَعُّمِ هاجِـرا ١/٣٠

٤٣ - ويَرْتَـدُّ مِنْ لَفْحِ السَّـمـائِمِ طَرْفُـهُ ... حَسِيراً ويَمْشِي أشْعَثَ الرَّأسِ حَاسِرا

٤٤ - يَـؤُمُّ جَنـابًا عِـنـدَهُ غُـرَرُ النُّهَىٰ ... عُكوفٌ لِمَنْ يَبْـغِي العُـلا والمـآثِرا

٤٥ - تَحَـمَّلْ رِسـالاتِي إلىٰ خَـيْـرِ مُـرْسَلٍ ... سَـمـا الخَلْقَ طُرًّا أوَّلاً ثُـمَّ آخِـرا

٤٦ - وقُل: يا رَسـولَ الله، لولاكَ لَمْ يَجِـدْ ... عُـبَـيْـدُكَ يَحْـمِيْ فِي الحَـوادِثِ ناصِـرا

٤٧ - ولوْلاكَ لَمْ يَشْـعُـرْ بأمْـرٍ منَ الهُـدَىٰ ... ولَمْ يُدْعَ - لولا حُبُّ مَدْحِكَ - شاعِرا

٤٨ - شَـرِيعَـتُكَ البَـيْـضـاءُ بُغْـيَـةُ ناشِـدٍ ... ووَصْـفُكَ يَعْلو فِي النَّشِـيـدِ الجَواهِرا

٤٩ - ولَيس سِوَىٰ الحُسْنَى لأبْكارِ وَصْفِكُمْ ... مُـهـورٌ لِمَنْ فِي النَّظْمِ أصْبَحَ مَـاهِرا

٥٠ - أجِرْنِي - يا خَـيْـرَ الوَرَىٰ - بِشَـفـاعَـةٍ ... إلىٰ مَلِكٍ أهْدَىٰ إليكَ المَـفـاخِـرا

٥١ - بإنجـازِ حَـاجٍ مـا لِيُـسْـرِ قَـضَـائِهـا ... سِوَىٰ جَاهِكَ المَبْسوطِ، لا زالَ وافِرا

*****

---

(٣٩) خرَّ: سقط ساجداً، وذلك يوم القيامة فى مقام الشفاعة.

(٤٠) المزجى: السائق. نجائب: الإبل الكريمة. تخال: تُظَنّ. الآل: السراب. فُلكًا: سفنا. مواخر: تشق البحر فى جريها.

(٤١) تمور: تتحرك حركة قوية مضطربة. البيد: الصحارى، جمع بيداء، وفى الأصل: البدّ، وهو خطأ من الناسخ، والتصويب من [النبهانية ٢ / ١١٠].

(٤٢) الهجير: الظهيرة. هاجرا: تاركا.

(٤٣) السمائم: جمع سَمُوم، وهى ريح حارة. حسيراً: عاجزاً. حاسراً: مكشوف الرأس.

(٤٤) يؤم: يقصد. المآثر: الفضائل، جمع مأثرة.

(٤٥) تَحَمَّلْ: خُذْ. طُرًّا: جميعًا.

(٤٨) بغية: مطلب. ناشد: طالب.

(٥٠) أجرنى: أنقذنى. المَلِك: اسم من أسماء الله الحسنى.

(٥١) حاج: حاجات.

الرائية الرابعة

(عدتها ٧٩ ـ مجزوء الرجز)

هى أرجوزة مقفاة الشطرين، مما يدل على علو كعب الشاعر فى اللغة بحيث استطاع توفير هذه القوافى الهائلة لقصيدته دونما إخلال بمقتضيات المعنى.

تبدأ القصيدة بالدعاء للربوع الطاهرة بالسقيا والخصب، كيف لا وهى التى تضم فى جنباتها كل آمال شاعرنا، وهى الأرض التى مشى عليها النبى المختار ﷺ؟! ثم يسرد الشاعر كثيراً من سيرة النبى ﷺ وخصائصه ومآثره الشريفة، ويثنى على صحابته الكرام وبخاصة الخلفاء الراشدين، وعلى كل من آمن به من المهاجرين والأنصار.

والقصيدة تتضمن الأفكار الآتية :

- دعاء بالسقيا للأرض المقدسة.
- فى مديح النبى ﷺ وذكر بعض معجزاته.
- فى الثناء على الصحابة رضوان الله عليهم.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - جَادَتْ شآبيبُ المَطَرْ ... بِمُسْتَجِيشٍ مُنْهَمِرْ

٢ - يَمْلأُ أَكْنَافَ الغُدُرْ ... ويُودِعُ الأرضَ الزَّهَرْ

٣ - رَبْعًا بِهِ كُلُّ الوَطَرْ ... أَفْيَحَ مَحْرُوسَ القُطُرْ

٤ - مِنْ مُسْتَطِيرَاتِ الغِيَرْ ... فيه الذُّنوبُ تُغْتَفَرْ

٥ - وهْوَ لِذِي الذُّعْرِ وَزَرْ ... ليسَ به لِمُفْتَقِرْ

٦ - مِنْ صَعَرٍ ولا زَوَرْ ... غُبارُهُ يَجْلُو البَصَرْ

٧ - ويَدْفَعُ الدَّاءَ العَسِرْ ... تُرْبُ أَرِيجِهِ عَطِرْ

٨ - وروْضُهُ غَضٌّ نَضِرْ ... عَذْبُ الوُرودِ والصَّدَرْ

٩ - ليسَ لِصَفْوِهِ كَدَرْ ... وظِلُّهُ الضَّافِي الخَضِرْ

١٠ - فيه الأصيلُ كالسَّحَرْ ... وكَعَشَايَاهُ البُكَرْ

١١ - رَبْعُ المُصَفَّىٰ من مُضَرْ ... أَحْمَدَ أَفْضَلِ البَشَرْ ٣٠/ب

١٢ - مِنْ بَيْنِ بَدْوٍ وحَضَرْ ... وخَيْرِ آتٍ بالنُّذُرْ

١٣ - أَبْلَجَ يُخْجِلُ القَمَرْ ... إذا تَثَنَّىٰ فى الحِبَرْ

١٤ - ويُلْبِسُ الشَّمْسَ القَتَرْ ... إذا تَجلَّىٰ وسَفَرْ

---

(١) جادت : سَقَتْ . شآبيب المطر : دفعاته المتوالية . مستجيش : شديد الانصباب ، ومثله منهمر .

(٢) الغُدر : جمع غدير ، وهو الماء المتجمع من المطر .

(٣) ربعا : موطنا ، وهو مفعول (جادت) فى البيت الأول . الوطر : الحاجة . أفيح : واسع .

(٤) مستطيرات : منتشرة . الغير : الحوادث .

(٥) وزر : ملجأ وملاذ ، وأصل الوزر : الجبل المنيع . مفتقر : محتاج .

(٦) صعر : ميل الوجه بعيدا ، وهو كناية عن التكبر . أى : ليس به كبرٌ على محتاج . الزَّوَر : النظر بمؤخر العين كِبْرًا .

(٨) الورود : الإقبالَ نحو مكان الشرب ، والصَّدَر : الرجوع بعد الشرب . والجمع بينهما يفيد العموم .

(٩) الضَّافى : الكثير الممتد .

(١٠) الأصيل : الوقت بين العصر والمغرب . السحر : آخر الليل . العشايا : جمع عشيَّة ، وهى أول الليل . البُكَر : جمع بُكْرة ، وهى أول النهار .

(١٣) أبلج : مشرق . الحبر : جمع حبرة ، وهى ثوب يمنى .

(١٤) القَتَر : السواد . سفر : ظهر .

١٥ - أَبْيضَ مَفْروقَ الشَّعَرْ ... قَدْ زانَ طَرْفَهُ الحَوَرْ

١٦ - أشْنَبُ وَضَّاحُ الأُشُرْ ... يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ الدُّرَرْ

١٧ - مَصُونَةٌ عنِ الحُفَرْ ... صُورَتُهُ أَبْهَىٰ الصُّوَرْ

١٨ - مَا شَانَ قَدَّهُ قِصَرْ ... ولا نَبَا عَنْهُ بَصَرْ

١٩ - إذا ارْتَدَى ثُمَّ اعْتَجَرْ ... وأَبْصَرَ الخَصْمُ الأَشِرْ

٢٠ - نُورَ مُحَيَّاهُ عَقَرْ ... كَلامُهُ إذا اعْتُبِرْ

٢١ - كَأَنَّما الدُّرُّ نُثِرْ ... فَصْلٌ مُبِينٌ لا هَذَرْ

٢٢ - سَمْحٌ إذا العَامُ اقْشَعَرْ ... وعَرَضَتْ إحدَىٰ الكُبَرْ

٢٣ - وحَالَ باليُسْرِ العُسُرْ ... وعَضَّ مِنْ فَرْطِ الخَوَرْ

٢٤ - عَلَىٰ الشَّراسِيفِ الصُّفُرْ ... سَبْطُ اليَدَينِ بالبُشَرْ

٢٥ - لا قَلِقٌ ولا ضَجِرْ ... ولا عَنِيفٌ مُنْتَهِرْ

٢٦ - يَنْحَرُ للضَّيْفِ الجُزُرْ ... فى ماحِلٍ حَتَّ الشَّجَرْ

٢٧ - فِيهِ رِحَالاتُ الوَبَرْ ... يَقْتَاتُ أَوْراقَ السَّمُرْ

---

(١٥) الحوَر: شدة بياض العين وشدة سوادها.

(١٦) أشنب: عذب الأسنان رقيقها. وضّاح: مبتسم. الأُشُر: حدّة ورقة فى أطراف الأسنان، وفى الأصل: الأثر، وهو خطأ من الناسخ. يفترّ: يبتسم.

(١٧) جاء فى الحديث الشريف: «إن الله ـ عزّ وجلّ ـ قد حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم السلام» [سنن أبى داود، كتاب الصلاة، باب الاستغفار ٢ / ٨٨].

(١٨) شان: عاب. قدّه: قامته. نَبَا: بَعُدَ وتجنّب.

(١٩) اعتجر العمامة: لفّها حول رأسه. الأشر: البَطِر الذى يجحد النعمة.

(٢٠) محيّاه: وجهه. عَقَر: صمت وانقطعت حجته.

(٢١) هَذَر: لَغْو لا فائدة منه.

(٢٢) اقشعرّ: أجدب. عَرَضَتْ: جاءت. الكُبَر: جمع كُبرىٰ، أراد: الشدائد.

(٢٣) حال: تغيّر وتبدل. العُسُر: ضد اليسر. الخور: الضعف.

(٢٤) الشراسيف: أضلاع الصدر. الصُّفُر: الإبل السوداء. وهذا الشطر متعلق بالبيت قبله، أى: هو سمح عندما يشتد الجدب وتتبدل الأحوال ضيقا بعد يسر، حتى تعض الإبل على أضلاعها من شدة الجوع. السبط: الطويل. البشر: جمع بشارة.

(٢٥) مُنْتَهِرْ: يزجر الناس بغلظة.

(٢٦) الجُزُر: الأنعام المذبوحة. ماحِل: عام مجدب. حتّ الشجر: أسقط عنها أوراقها.

(٢٧) رحالات الوبَر: كذا فى الأصل، ولعله أراد: الإبل. يقتات: يأكل. السَّمُر: الشجر الكبير.

٢٨ - نَدْبٌ إذا البَأسُ حَسَرْ ... عَنْهُ القِناعَ وبَسَرْ

٢٩ - وازْوَرَّ لِيتًا واكْفَهَرْ ... واشْتَدَّ وقْدًا واسْتَعَرْ

٣٠ - وقَدَحَتْ فيهِ الشَّرَرْ ... سَنابِكُ الجُرْدِ الصُّبُرْ

٣١ - وقالَ رَبَّاتُ الخُمُرْ: ... أينَ الكَمِيُّ المُخْتَبَرْ؟

٣٢ - خَفيرُ رَبَّاتِ الخَفَرْ ... أشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ زَأَرْ ٣١/أ

٣٣ - وصَالَ بَطْشًا وَهصَرْ ... ثَبْتٌ إذا الجَيْشُ انْكَسَرْ

٣٤ - وولَّتِ الخَيْلُ الدُّبُرْ ... يَجْلُو بِصَمْصامٍ ذَكَرْ

٣٥ - أبْيَضَ عَضْبٍ ذِي أُثُرْ ... نَقْعَ الهِياجِ المُعْتَكِرْ

٣٦ - عَفَّ بِزُهْدٍ؛ إذ قَدَرْ ... عَلَى الكُنوزِ وصَبَرْ

٣٧ - وشَدَّ لِلْجوعِ الحَجَرْ ... صِفاتُهُ لا تَنْحَصِرْ

٣٨ - فِي ضَرْبِ شِعْرٍ مُبْتَكَرْ ... لِمُكْثِرٍ أو مُخْتَصِرْ

٣٩ - وإنَّهُ لَفِي الزُّبُرْ ... بَادِي الصِّفاتِ مُشْتَهَرْ

٤٠ - يَعْرِفُهُ ذَوُو النَّظَرْ ... وباسْمِهِ لَمَّا بَصُرْ

٤١ - آدَمُ وهْوَ مُسْتَطَرْ ... مِنْ قَبْلِ خَلْقِهِ جَأَرْ

---

(٢٨) ندب: شهم كريم يُلبَّى من دعاه لحاجة. البأس: الشدة. حسر: كشف رأسه، استعاره للشدة. بَسَر: قطَّب جبينه وظهر فى وجهه الكراهة، شبه الشدة بالوجه المقطب.

(٢٩) ازورّ: مال. الليت: العنق، وهو كناية عن الإعراض. اكفهرّ: اسودّ وعبس. استعر: اشتعل. وكل هذه الصفات للبأس، أى شدة القتال.

(٣٠) السنابك: حوافر الخيل. الجُرْد: جمع أجرد، وهو القصير الشعر، وذلك من علامات الخيل الجيدة. الصُّبُر: التى تصبر على القتال.

(٣١) ربَّات الخُمُر: النساء، والخُمُر جمع خمار. الكميّ: الشجاع.

(٣٢) خفير: المجير الحامى. وربَّات الخفر: النساء العفيفات ذوات الحياء. ليث: أسد.

(٣٣) هصر: افترس. ثبت: ثابت شجاع.

(٣٤) ولَّت الخيل الدُّبر: فرَّت من القتال. الصمصام: السيف القاطع. الذكر: الحاد اللامع.

(٣٥) عَضْب: قاطع. الأُثُر: لمعان السيف.

(٣٦) قدر على الكنوز: أعطاه الله القدرة على أن تكون له كنوز الأرض، فأباها ﷺ واختار حياة الزهد والتقشف.

(٤١) مستطر: مسطور. جأر: دعا الله رافعًا صوته باسم محمد ﷺ.

٤٢ - يَدعُو بِهِ حِينَ اعْتَذَرْ ... مِمَّا جَنَاهُ، فَغُفِرْ

٤٣ - وإِنَّهُ لَمُسْتَتِرْ ... فى صُلْبِ نُوحٍ ذِى العُمُرْ

٤٤ - لَمَّا عَلا ذاتَ الدُّسُرْ ... وَحَلَّ فى ذاتِ السُّعُرْ

٤٥ - صُلْبَ الخَلِيلِ ذِى الخَطَرْ ... وُضِعَ مَقْطُوعَ السُّرَرْ

٤٦ - مِنْ غَيرِ ما صُنْعِ بَشَرْ ... شُرِحَ صَدرُهُ العَطِرْ

٤٧ - وهُوَ طِفْلٌ فَطَهُرْ ... مِنْ كُلِّ غِلٍّ ووَحَرْ

٤٨ - وَرَدَّ عَنْهُ فى السَّفَرْ ... لَفْحَ الهَجِيرِ المُسْتَعِرْ

٤٩ - ظِلُّ الغَمامِ المُنْتَشِرْ ... ولَمْ يَزَلْ مِنَ الصِّغَرْ

٥٠ - عَفُّ الرِّداءِ والأُزُرْ ... وهْوَ الأَمِينُ المُشْتَوَرْ

٥١ - مِنْ قَبْلُ فى وضْعِ الحَجَرْ ... جاءَ بِأَصْدَقِ الخَبَرْ

٥٢ - من العَزِيزِ المُقْتَدِرْ ... أَنْزَلَ أَحْسَنَ العِبَرْ

٥٣ - فى عَرَبِيَّاتِ السُّوَرْ ... عَلَيهِ ذِكْرَى لِلبَشَرْ ٣١/ب

٥٤ - أَرْسَلَهُ وقَدْ صَفِرْ ... نَهْجُ الصَّوابِ ودَثَرْ

٥٥ - واعْتَكَرَ الأَمرُ النُّكُرْ ... ومَوْرِدُ الشِّرْكِ الكَدِرْ

٥٦ - بُنْيانُهُ أَصْلُ الأُشَرْ ... ونَاعِقُ الكُفْرِ الحَصِرْ

---

(٤٤) ذات الدسر: السفينة. ذات السُّعُر: النار.

(٤٥) الخليل: سيدنا إبراهيم عليه السلام. الخطر: القدر العظيم.

(٤٧) الوَحَر: الغيظ والحقد، مثل الغِلّ.

(٤٨) لفح الهجير: شدة حر الظهيرة.

(٥٠) المشتور: الذى تؤخذ مشورته.

(٥١) يشير فى هذا البيت إلى ما كان من أمر قبائل قريش لمّا اختلفوا فيمن يحمل الحجر الأسود بيده، فاحتكموا إلى النبى ﷺ، فجاء بثوب وضع فيه الحجر، ثم قال: «لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب، ثم ارفعوه جميعا» [انظر: سيرة ابن هشام ١ / ١٢٥].

(٥٤) صَفِر: خَلا. دَثَر: انطمس.

(٥٥) اعتكر: اشتد سواده واختلطت فيه الأمور. النُّكُر: المنكر للقبيح.

(٥٦) الأشر: جحود النعمة. ناعق الكفر: الناطق بالكفر، شبهه بنعيق الغراب. حصر: عجز عن الكلام.

٥٧ - مُـزَخْـرِفٌ بَحْـرَ الغَـرَرْ فـارْتَفَـعَت حـينَ ظَهَـرْ

٥٨ - قَـواعِـدُ الدِّينِ الدُّثُرْ وانْقـادَ طَوْعًـا مَن نَفَـرْ

٥٩ - وآضَ مِنْ بَعـدِ الصَّـوَرْ وهْوَ مُنِيبٌ مُـدَّكِـرْ

٦٠ - فَـخَـابَ مَنْ لَمْ يَأْتَمِـرْ بِأَمْـرِهِ ويَـزْدَجِـرْ

٦١ - عَـمَّـا لَهُ عَنْهُ زَجَـرْ لَقَـدْ تَعـدَّىٰ وفَـجَـرْ

٦٢ - وخَفَّ وزْنًا وخَـسِـرْ وحَلَّ - للخُلْفِ - سَـقَـرْ

٦٣ - وفَـازَ مَنْ قَـفَـا الأثَرْ وكَـانَ طَوْعَ مـا أَمَـرْ

٦٤ - ولَمْ يُواقِعْ مَـا حُظِرْ تَحُـثُّـهُ ذاتُ سُـرُرْ

٦٥ - فِـيـهـا نَعِـيمٌ مـا خَطَرْ يَومًـا علىٰ قَلبِ بَشَـرْ

٦٦ - نَفَىٰ الضَّـلالَ ودَحَـرْ وحَجَّ ثُمَّتَ اعْـتَـمَـرْ

٦٧ - وسَـاقَ هَدْيًا ونَحَـرْ وسَـارَ أَحْـسَنَ السِّـيَـرْ

٦٨ - حَـتَّىٰ أتَاهُ المُنْتَظَرْ فَـحَلَّ أَشْـرَفَ الحُـفَـرْ

٦٩ - عَلَيْـهِ أَثْنَى مُـدَّخَـرْ صَـلاةُ رَبٍّ مُـقْـتَـدِرْ

٧٠ - ثُـمَّ عَـلَـىٰ مَـنِ ابْـتَـكَـرْ مُـصَـدِّقًـا ثُـمَّ افْـتَـقَـرْ

٧١ - آثارَهُ حَـتَّىٰ احْـتُـضِـرْ عَـتِـيقُ الأتْقَىٰ الحَـذِرْ

٧٢ - ثُـمَّ عَـلَىٰ مَـنْ لَـمْ يَجُـرْ فِـي حُكْمِـهِ ولَـمْ يَحِـرْ

---

(٥٧) الغَرَر: الغرور والخداع والباطل.

(٥٨) الدُّثُر: البالية.

(٥٩) آض: عاد. الصَّوَر: الكِبْر والغرور. مُدَكِّر: متذكر تائب.

(٦٠) يزدجر: ينتهي عن الباطل.

(٦٢) للخلف: أي بسبب مخالفته أوامر النبي ﷺ ونواهيه. وسقر: جهنم أعاذنا الله منها.

(٦٣) قفا: اتَّبع.

(٦٤) يواقع: يرتكب. تحثُّه: تحضُّه على الخير، ذات سرر: الجنة، قال الله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ الغاشية / ١٣.

(٦٦) دحر: طرد وأبعد.

(٧٠) ابتكر: أسرع إلى الإيمان. افتقر آثاره: اتَّبعها.

(٧١) احتضر: مات، وفي الأصل: اخْتُضِرْ، وهو تصحيف. عتيق: سيدنا أبو بكر الصديق ﷺ.

(٧٢) لم يَحِرْ: لم يتحول.

٧٣ - عَنْ مَنْهَجِ الحَقِّ عُمَرْ ثُمَّ عَلىٰ مَنْ ما حَصَرْ

٧٤ - عَنْ الهُدَىٰ لَمَّا حُصِرْ عُثْمانَ باذِلِ البِدَرْ ٣٢/١

٧٥ - ثُمَّ عَلىٰ مَنِ انْتَصَرْ بِسَيْفِهِ مِمَّنْ كَفَرْ

٧٦ - زَوْجِ البَتُولِ المُعْتَبِرْ بِقَتْلِهِ أَهْلُ النَّهَرْ

٧٧ - ثُمَّ عَلىٰ مَنِ ابْتَدَرْ مُهاجِراً وَمَنْ نَصَرْ

٧٨ - ومَنْ تَلاهُمْ فى العُصُرْ مِن كُلِّ هادٍ ذِى نَظَرْ

٧٩ - مَا لاحَ نَجْمٌ وزَهَرْ وما تَلا شَمْساً قَمَرْ

*****

---

(٧٣) حَصَرَ: عجز.

(٧٤) البدَر: العطايا الكثيرة، جمع بدرة وهى كيس يسع ألف دينار.

(٧٦) أهل النَّهَر: أهل العراق.

(٧٧) ابتدر: سبق إلى الإيمان.

الرائية الخامسة

(عدتها ٤٣ـ الكامل الثانى)

تحفل هذه القصيدة بألوان الجناس، بحيث لا يكاد يخلو بيت من صورة من صور الجناس.

يتخيل شاعرنا صورة لمحبوبته ذات البهاء والستور السوداء (الكعبة المشرفة) وقد ألم به طيفها فى منامه، فجعل يتوقد فى أحشائه الحنين وتتلهب جمرات الهوى، شوقًا إلى الديار المباركة وساكنها ﷺ الذى لولا حبه ما كان شاعرًا، ثم ينتقل إلى الحث على الاعتصام بسنة النبى ﷺ، وينهى قصيدته ـ كما هى عادته ـ بالاستغاثة بسيد الخلق ﷺ.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- الدعاء بالسقيا للربوع المقدسة.
- فى الغزل بالكعبة المشرفة والشوق إليها.
- فى مديح النبى ﷺ.
- الاعتصام بسنته ﷺ وسيلة إلى الخير فى الدنيا والآخرة.
- دعاء واستعطاف.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - حَيَّتْكِ أَلْسِنَةُ الحَيَا مِنْ دارِ ... وكَسَتْكِ حُلَّتَهَا يَدُ الأَزْهَارِ

٢ - وتَعَطَّرَتْ نَفَحَاتِ تُرْبِكِ كُلَّمَا ... فَضَّ النَّسِيمُ لَطِيمَةَ الأَشْجَارِ

٣ - فَلأَنْتِ مَعْهَدِيَ القَدِيمُ ومَأْلَفِي ... وبِكِ انْقَضَتْ مَحْمُودةً أَوْطَارِي

٤ - للهِ مَا أَبْقَىٰ الأَحِبَّةُ مُودَعًا ... بِشَرَاكِ لِلمُشْتَاقِ مِنْ آثَارِ

٥ - لأُصَرِّحَنَّ اليَوْمَ فِيكِ بِلَوْعَةٍ ... كَلِفَتْ بِمَاءٍ فِي الطُّلُولِ ونَارِ

٦ - مَا كُنْتُ بِدْعًا فِي الصَّبَابَةِ والأَسَىٰ ... حَتَّىٰ أُوَارِيَ زَفْرَتِي وأُوَارِي

٧ - مَا الحُبُّ إِلاَّ زَفْرَةٌ تَلِجُ الحَشَا ... أَوْ مَدْمَعٌ جَارٍ لِفُرْقَةِ جَارِ

٨ - ومَصُونَةٍ حَوَتِ البَهَاءَ سُتُورُهَا ... سَمْرَاءُ يُطْرِبُ وَصْفُهَا سُمَّارِي

٩ - عَرَبِيَّةِ الأَنْسَابِ قَامَ بِحُسْنِهَا ... عُذْرِي وطَابَ عَلَيْهِ خَلْعُ عِذَارِي

١٠ - زَارَتْ عَلَىٰ بُعْدِ المَسَافَةِ بَعْدَمَا ... هَوَتِ النُّجُومُ ولاتَ حِينَ مَزَارِ

١١ - أَنَّىٰ طَوَتْ شُعَبَ الفَلا ودِيَارُهَا ... بِحِمَىٰ الحِجَازِ وبالعِرَاقِ دِيَارِي؟

١٢ - أَهْلاً بِطَيْفِ زَائِرٍ أَهْدَىٰ لَنَا ... رَيَّا مُمَنَّعَةِ الحِمَىٰ مِعْطَارِ

١٣ - جَادَتْ بِوَصْلٍ فَانْثَنَتْ ومُحِبُّهَا ... عَارِي المَعَاطِفِ مِنْ مَلابِسِ عَارِ

---

(١) الحيا: المطر.

(٢) فضّ: فرّق ونشر. واللطيمة وعاء المسك.

(٣) مألفي: المكان الذي آلفه وآنس به. أوطاري: حاجاتي.

(٥) لوعة: حرقة العشق. كلفت: تعلقت. الطلول: بقايا الديار، جمع طلل.

(٦) ما كنت بدعا: لست مبتدع هذا الأمر وحدي. الصبابة: العشق. أواري: أخفي. الأوار: لهب النار.

(٧) تلج: تدخل وتتعمق.

(٨) مصونة: محفوظة، وهي الكعبة المعظمة.

(٩) خلع العذار: كناية عن التهتك، ولا يريد التهتك الفاحش، بل مقصوده انكشاف أسرار الحب.

(١٠) لات حين مزار: ليس الوقتُ وقت الزيارة. وهو يتحدث هنا عن رؤيا رأى فيها الكعبة المشرفة.

(١١) أنّى: كيف. طوت: قطعت. شُعَب: طرق.

(١٢) الريّا: الرائحة الطيبة. معطار: صيغة مبالغة من العطر.

(١٣) عاري المعاطف من ملابس عار: خلا مما يوجب الذمّ والعار.

١٤ - هَلْ وَقْفَةٌ للرَّكْبِ فى جَنَباتِها ... ولَهُ جُؤارٌ فى أعَزِّ جِوارِ

١٥ - فَأُقَبِّلَ الحَصْبَاءَ منْها مُطْفِئًا ... جَمْرَ الهَوىٰ منّى برَمْيِ جِمارِ ٣٢/ب

١٦ - فَهُناكَ لا حَجْرٌ ولا عَارٌ علىٰ ... ذِى الحِجْرِ فى التَّقْبِيلِ للأَحْجارِ

١٧ - أمْ عائِدٌ زَمَنِى بأجْدَرِ تُربَةٍ ... بالقَصْدِ فى أكْنَافِ خَيرِ جِدارِ

١٨ - رَبعًا به غُرَرُ العُلا مَبْذُولَةٌ ... لِلْمُشْتَرِى والأرْىُ للمُشْتَارِ

١٩ - وبه يُبَيِّنُ لِلْقُلوبِ حَقائِقَ الـ ... أسْرارِ بَدْرٌ لَمْ يُشَنْ بِسِرارِ

٢٠ - هوَ أحْمَدُ المُختارُ، أحْمَدُ مُرْسَلٍ ... قَتَّالُ كُلِّ مُعانِدٍ خَتَّارِ

٢١ - نَدْبٌ إذا بَثَّ الجِيادَ مُغِيرَةً ... عَلِقَتْ بِحَبْلٍ للثَّباتِ مُغارِ

٢٢ - بِيَمِينِهِ فى الحَرْبِ حَتْفُ المُمْتَرِى ... وحَياتُها فى السِّلْمِ لِلْمُمْتارِ

٢٣ - غَمْرُ النَّدَى بِجِلاءِ أغْمارِ الوَرَىٰ ... مُتَكَفِّلٌ بِهِدايَةِ الأغْمارِ

٢٤ - جَعلَ المُهَيْمِنُ فى مَسامِعِ خَصْمِهِ ... وَقْرًا، وزانَ صِحابَهُ بوَقارِ

٢٥ - وهْوَ المُظَلَّلُ بالغَمامَةِ من أذَىٰ الـ ... أسْفارِ والمَنْعوتُ فى الأسْفارِ

٢٦ - وبِهِ تَنَشَّرَ حِينَ سارَ مُهاجِرًا ... لِلغارِ ذِكْرٌ فاقَ نَشْرَ الغارِ

---

(١٤) جُؤَار: رفع الصوت بالدعاء.

(١٥) الحصباء: الحصى. جمر الهوى: أراد به شدة العشق، الجمار: الحصى التى ترمى بمنى.

(١٦) حَجْر: منع. الحجر: العقل.

(١٨) الأرْى: عسل النحل، والمشتار: الذى يستخرجه.

(١٩) لم يُشَنْ: لم يعبه. السرار: الإظلام الذى يسود آخر ليلة من الشهر القمرى.

(٢٠) خَتَّار: مخادع غادر.

(٢١) نَدْب: شهم يُنْتَدَب، أى يقصد، فى الشدائد والحاجات. بثَّ: نَشَر. الجياد: الخيل. مغيرة: مقدمة على الغارة، أى القتال. وفى الأصل: بغرة، وهو خطأ من الناسخ، والتصويب من النبهانية ٢/١١٢. حبل مُغار: محكم جيد الفَتْل، شبَّه شدة الثبات بالحبل القوى الذى أحكم فتله.

(٢٢) حتف: موت. الممترى: الشاكّ. الممتار: طالب الميرة، وهى الطعام.

(٢٣) غمر الندى: شديد الكرم، كأنه بحر كثير الماء. أغمار الورى: أحقادهم. الأغمار (فى القافية): الذين لا تجربة لهم، وجهال الناس.

(٢٤) الوقر: الثقل، وهو هنا كناية عن عدم الاستجابة للحق.

(٢٥) المنعوت: الموصوف بالصفات الحسنة. الأسفار: الأولى: جمع سَفَر، والثانية: جمع سِفْر، وهو الكتاب، ويريد بها الكتب السماوية.

(٢٦) تنشر: من النَّشْر، أى الرائحة الطيبة، وفى الأصل: تيسر، وهو تصحيف من الناسخ، =

٢٧ - وانْهَلَّ إكْرامًا لَهُ صَوْبُ الحَيا ... والقَطْرُ مُحْتَبِسٌ عَنِ الأَقْطَارِ

٢٨ - فَضَلَ البَرِيَّةَ كُلَّها ورَسَا بِهِ ... طَودُ العُلا فى هاشِمٍ ونِزارِ

٢٩ - يا هادِيًا شَدَّ الإلَهُ بِدِينِهِ ... أزرِى، وشَدَّ على العَفافِ إزارِى

٣٠ - يا مَنْ بِهِ إن عُذْتُ من سَنَةٍ حَمَى ... أوْ زارَ فى سِنَةٍ مَحَا أوْزارِى

٣١ - يا مَنْ حِباءُ يَدَيْهِ مُحْلُولُ الحُبَا ... لِحِبَاءِ سارٍ أو لِفَكِّ إسارِ

٣٢ - لَوْ لَمْ يَكُنْ مَدْحِيكَ من عُدَدِى لَمَا ... أضْحَىٰ شِعَارِىَ صَنْعَةَ الأشْعارِ

٣٣ - نَشْرُ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ أطْيَبُ نَفْحَةً ... مِنْ مِسْكِ دارِىٍّ يَضُوعُ بِدَارِى

٣٤ - مَلأ المُهَيْمِنُ مُذْ قَصَدْتُكَ مادِحًا ... بِيَسارِهِ يُمْنَاىَ قَبْلَ يَسارِى

٣٥ - ونَفَىٰ - بجاهِكَ يا أعَزَّ وسائلِى - ... قَتَرَ الهَوَىٰ عَنِّى مَعَ الإقْتارِ

٣٦ - فَتَخِذْتُ سُنَّتَكَ المُنِيرَةَ حُجَّةً ... ومَحَجَّةً تَهْدِى لِخَيرِ مَنارِ ٣٣/١

٣٧ - وغَدَوْتُ مَحْرُوسَ الحِمَىٰ مِنْ ضِيقَةِ الـ ... إعْسارِ عِنْدَ تَواتُرِ الأسْعارِ

= والتصويب من النبهانية ٢ / ١١٣ . الغار الأولى : غار حراء الذى نزله النبى ﷺ وأبو بكر الصديق فى الهجرة من مكة إلى المدينة . والغار الثانية : شجر طيب الرائحة .

(٢٧) انهلّ : انصبّ . صوب الحيا : المطر الشديد المصحوب بصوت . القَطر : المطر . الأقطار : البلاد .

(٢٨) فَضَلَ البريَّة : زاد عليهم فى الفضل . رَسَا : ثبت . الطود : الجبل الشامخ . هاشم ونزار : من أجداد النبى ﷺ .

(٢٩) الأزر : القوة ، وشدّ الأزر : الإعانة والتقوية . والإزار : ما يلبس أسفل البدن ، وشد الإزار كناية عن العفاف .

(٣٠) السنة : الجفاف والجدب . سِنَة : نوم . أوزارى : ذنوبى .

(٣١) حباء : عطاء . الحُبا : الثياب . يريد بقوله (محلول الحبا) : كريم لا يمنع عطاءه عن أحد . لحباء سَار : أى لإكرام الضيوف والمسافرين ، فى الأصل : لثناء سارٍ ، ولا وجه له ، وفى النبهانية : لحبا يَسَار ، ولا أرى له وجها ، فلعل الصواب ما أثبته . إسار : قيد .

(٣٢) عُدَدِى : جمع عُدَّة ، وهى كل ما يهيئه الإنسان للسفر وغيره .

(٣٣) نفحة : رائحة . دارىّ : عطّار ، وهو منسوب إلى (دارين) بلدة يجلب منها المسك الجيد . يضوع : تنتشر رائحته الطيبة .

(٣٤) بيساره : برزقه وعطائه المُغْنى .

(٣٥) قتر : غبار ودخان . الإقتار : الفقر .

(٣٦) محجة : طريق .

(٣٧) الإعسار : الفقر وضيق العيش . تواتر الأسعار : ارتفاعها .

٣٨ - حَسْبِي رَجائِي أنني مِنْ أُمَّةٍ ... بِكَ أصْبَحَتْ مَوْضوعَةَ الآصارِ

٣٩ - أنتَ الزَّعيمُ لَها وأنتَ سَفيرُها ... إنْ أقْبَلَتْ منْ أطْوَلِ الأسْفارِ

٤٠ - ويَزيدُ فيكَ رَجاءَ قَلْبِي قُوَّةً ... أنْ صارَ بِي نَسَبٌ إلىٰ الأنْصارِ

٤١ - قَوْمٌ حَلَلْتَ بدارِهِمْ فتَدَرَّعوا ... ببدارِهِمْ لِرِضاكَ ثَوبَ فَخارِ

٤٢ - فاسْأَلْ إلهَكَ لِي بِعَشْرٍ مُحَرَّمٍ ... جَبْراً لِقَلْبٍ واجِفِ الأعْشارِ

٤٣ - وشَهادَتَيْ حَقٍ قُبَيْلَ شَهادةٍ ... فِيها الوِفاقُ لأهْلِكَ الأطْهارِ

*****

---

(٣٨) الآصار: الأثقال والقيود.

(٣٩) سفيرها: واسطتها والشفيع لها عند الله.

(٤١) تدرعوا: لبسوا. ببدارهم: بإسراعهم.

(٤٢) واجف: خفّاق مضطرب. الأعشار: الأجزاء، كأن قلبه قد تمزق قطعاً من شدة الحزن.

(٤٣) شهادتي حق: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. قُبيل: تصغير (قَبْلَ) وفي الأصل: عقيب، وهو خطأ من الناسخ، والتصويب من النبهانية ٢ / ١١٤ . والشهادة: الموت في سبيل الله. وقد استجاب الله دعاء الصرصري فمات شهيداً، قتله التتر وهو يضربهم بعكازه.

الرائية السادسة

(عدتها ٢٥ـ البسيط الأول)

نظم الشاعر هذه القصيدةفى ذكرى ميلاد النبى ﷺ فى ربيع الأول، حيث تتوالى البشائر كل عام فى هذه الذكرى العطرة، بشائر مقرونة بالنصر والظفر والمجد.

ويتخذ الشاعر من المناسبة توطئة لمديح النبى ﷺ وسرد البشارات والمعجزات التى رافقت ميلاده وبعثه، ثم يناجيه ضارعًا ملتجئًا به من كل حادثة، وراجيًا منه أن يرفع إلى الله عز وجل حاجاتٍ لا يذكرها.

والقصيدة تتضمن الأفكار الآتية:

- بشائر المولد النبوى الشريف.
- من محاسن النبى ﷺ ومعجزاته.
- فى مديح النبى ﷺ.
- مناجاة واستعطاف.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - فى كُلِّ عَامٍ لَنَا مِنْ سَيِّدِ البَشَرِ ... بِشَارَةٌ قُرِنَتْ بالنَّصرِ والظَّفَرِ

٢ - يُمِيتُنا الخَوفُ يَأْسًا ثُمَّ يُنْشِرُنا ... رَجَاءُ نَفْحَةِ رَيَّا نَشْرِهِ العَطِرِ

٣ - هَذا رَبِيعٌ كَسَا الدُّنْيا لِمَوْلِدِهِ الـ ... ـشَّرِيفِ وَشْىُ رَبِيعٍ زاهِرٍ نَضِرِ

٤ - أَتَتْ بِهِ أُمُّهُ ذُخْرًا لأُمَّتِهِ ... مُطَهَّرَ الصَّدرِ عَذْبَ الوِرْدِ والصَّدَرِ

٥ - مُكَمَّلَ الخَلْقِ لَمْ تُقْطَعْ لَهُ سُرَرٌ ... حَوَىٰ المَناقِبَ فى مَهْدٍ وفى سُرُرِ

٦ - تُبْدِى أَسارِيرُهُ مَعنَىٰ سَرائِرِهِ ... ونَضْرَةُ الفَضْلِ عُنْوانٌ لِذِى النَّظَرِ

٧ - رَأَت بِإِقْبالِها البُشْرَىٰ قَوابِلُهُ ... وأَشْرَقَ المُظْلِمُ الدَّاجِى مِنَ القُطُرِ

٨ - لَقَدْ بَدا ساعَةَ الإِهْلالِ حِينَ بَدا ... بَدْرًا وكان كَبِيرَ القَدْرِ فى الصِّغَرِ

٩ - ولَمْ يَزَلْ فى بُروجِ السَّعْدِ مُنْتَقِلاً ... حَتَّىٰ تَجاوَزَ بُرْجَ الشَّمسِ والقَمَرِ

١٠ - زَانَ المُهَيْمِنُ كُلَّ الكائِناتِ بِهِ ... وزادَ صُورَتَهُ حُسْنًا عَلَىٰ الصُّوَرِ

١١ - مُدَوَّرُ الوَجْهِ خَدَّاهُ بياضُهُما ... بِحُمْرَةٍ أُشْرِبا، وردٌ على كِثَرِ

١٢ - رَحْبُ الجَبِينِ أَزَجُّ الحاجِبَيْنِ كَما ... يُعَرِّقُ الكاتِبُ النُّونات فى الزُّبُرِ

١٣ - فِى عَيْنِهِ دَعَجٌ كَأَنَّهُ كَحَلٌ ... زَانَ السَّوادَ بِها ضَرْبٌ مِنَ الحَوَرِ ٣٣/ب

١٤ - أَقْنَىٰ قَسِيمٌ وَسِيمٌ فاقَ مَبْسَمُهُ ... وثَغْرُهُ غالِىَ الياقُوتِ والدُّرَرِ

---

(٢) يُنْشرنا : يحيينا بعد الموت . نشره : رائحته الطيبة .

(٣) ربيع (فى صدر البيت) : شهر ربيع الأول، وفيه ولد النبى ﷺ . وربيع (فى عجز البيت) : فصل الربيع المعروف، والوَشْى : الزينة .

(٦) الأسارير : خطوط الوجه . والسرائر : الضمائر .

(٧) القوابل : جمع قابلة، وهى المُولِّدة . الداجى : المظلم . القُطُر : الجهات .

(٨) الإهلال : صرخة المولود حين يولد .

(١١) الكثر : جمار النخل، وهو أبيض ناصع البياض، شبه بياض النبى ﷺ المشرب بالحمرة - بالورد على جمار النخل .

(١٢) أزجّ الحاجبين : فى حاجبيه طول ودِقَّة . يُعَرِّق : يَمُدّ . شبَّه حاجبيه ﷺ بنونين أطالهما كاتبهما . فى الزُّبر : فى الكتب .

(١٣) الدَّعَج : شدة سواد العين مع سعتها . والحَوَر : شدة سواد العين مع شدة بياضها .

(١٤) أقنى : مرتفع الأنف . قسيم : حَسَن القسمات .

(١٥) النكهة : رائحة الفم الطيبة . المراشف : موضع الرشف، أى الشرب .

١٥ - تُريكَ نَكْهَتُهُ زادَتْ مَراشِفُها ... عِزًّا على المِسْكِ طِيبًا آخِرَ السَّحَرِ

١٦ - كأنَّما جِيدُهُ مِنْ فِضَّةٍ خُلِصَتْ ... مِنَ القَذى، وذراعٌ جَلَّ عَنْ قِصَرِ

١٧ - وكَفُّهُ زُبْدَةُ اللَّبّانِ إنْ لُمِسَتْ ... وجُونَةُ العِطْرِ إنْ شُمَّتْ لِمُعْتَبِرِ

١٨ - وصَدْرُهُ فيهِ للنُظّارِ مَسْرُبَةٌ ... تُرْبِى على أَلَفٍ فى الطِّرْسِ مُسْتَطَرِ

١٩ - وشَرَّفَتْ كَتِفَيْهِ شامَةٌ جُعِلَتْ ... عَلَى النُّبُوَّةِ عُنْوانًا لِمُخْتَبِرِ

٢٠ - يا خَيْرَ مَنْ سَمَحَتْ بالخَيْرِ راحَتُهُ ... وأجْمَلَ النَّاسِ قَدًّا ماسَ فى الحِبَرِ

٢١ - يا مَنْ بِهِ قَدَمُ الأنْسابِ فى قِدَمِ الْـ ... أزْمانِ حَلَّتْ ذُرا العَلْياءِ مِنْ مُضَرِ

٢٢ - يا مَنْ تَباشَرَتِ الدُّنيا بِطَلْعَتِهِ ... كما تَباشَرَتِ الأرضونَ بالمَطَرِ

٢٣ - إلَيْكَ مَلجَؤنا من كُلِّ فاقِرَةٍ ... وأنتَ ذُخْرٌ لَنا مِنْ حادِثِ الغِيَرِ

٢٤ - وقَدْ قَصَدْناكَ عِلْمًا أنَّكَ العَلَمُ الْـ ... هادِى الذى مَن نَحاهُ اليَومَ لَمْ يَحِرِ

٢٥ - فارْفَعْ - بِجاهِكَ - حاجاتٍ تُخامِرُنا ... إلَى إلهِكَ يا ذا الجاهِ والخَطَرِ

*****

---

(١٦) جيده: عنقه. القذى: الشوائب.

(١٧) الجونة: زجاجة العطر. روى البخارى فى صحيحه عن أنس ﷺ عنه قال: «ما مسست حريرا ولا ديباجا ألين من كف النبى ﷺ، ولا شممت ريحا قطُّ أطيبَ من ريح النبى ﷺ» [الفتح، كتاب المناقب، باب صفة النبى ﷺ ٦ / ٦٥٤ ، حديث رقم ٣٥٦١].

(١٨) المسربة: خط الشعر الواصل من منتصف الصدر إلى السرة. الطِّرس: الصفحة.
مستطر: مكتوب.

(١٩) الشامة: خاتم النبوة.

(٢٠) راحته: كفُّه. الحبر: ثياب يمنية.

(٢٣) فاقرة: داهية. الغير: تقلبات الأحداث.

(٢٤) قصدناك: فى الأصل بغير كاف الخطاب، وهو سهو من الناسخ يؤدى إلى كسر الوزن.
نَحاه: قصده. لم يحر: لم تصبه حيرة.

(٢٥) تخامرنا: مستقرة فى نفوسنا. الخطر: القدر العظيم.

(الرائية السابعة)

(عدتها ٤٥ ـ البسيط الثانى)

تبدأ هذه القصيدة باستنزال المطر على الربوع الطاهرة وأهلها أتباع سيدنا محمد ﷺ، ثم يدلف إلى مديحه ﷺ مركزاً على صفات القوة والعزَّة والشجاعة فيه وفى صحابته الكرام، ويخص بالذكر منهم العشرة المبشرين، ويعم بالثناء كل من نظر إلى وجهه الكريم نظرة إيمان.

وفى نهاية القصيدة نعرف لماذا كان تركيزه فى هذه القصيدة على صفات القوة والعزة، يقول :

فى كل يومٍ لنا رعبٌ يُقَلْقِلُنا ... فكن مجيراً لنا من كيد كُفَّارِ

إن الأمة فى رعب بسبب حصار المغول والتتر وغيرهم من الأعداء الذين يعيثون فى أرضها فساداً، ولا ملجأ لهذه الأمة إلا أن تستنجد بنبيها العزيز ليخرجها من الضعف إلى القوة، ومن الذلة إلى العزة بما له من تأييد الله وعزته.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- الدعاء بالسقيا والخصب للربوع الطاهرة.
- ذكريات الشاعر فى الربوع الطاهرة.
- فى مديح النبى ﷺ وذكر معجزاته وتأييد الله ـ عز وجلَّ ـ له.
- دعاء واستغاثة بالنبى ﷺ.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - سَقَتْكِ سَارِيَةٌ مِنْ دَمْعِيَ الجَارِى ... يا دَارَ مَجْمَعِ أشْجَانِى وأوْطَارِى

٢ - ورَفَّ رَوْضُ الأمَانِى فِيكِ واجْتُلِيَتْ ... رُبَاكِ فِى حُلَّتَىْ نُورٍ ونُوَّارِ

٣ - وامتَدَّ ظِلُّكِ مَحْلُولَ الحُبَا خَضِرًا ... فِيهِ بَشَاشَةُ أسْمَاعٍ وأبْصَارِ

٤ - وفَضَّ فِيكِ رَضِيضَ المِسْكِ نَشْرُ صَبًا ... فَأَلْحَقَ الرَّوْحَ آصَالاً بأسْحَارِ

٥ - ومَاسَ بَانُكِ يا أرْضَ الحِمَى طَرَبًا ... لِمَا ثَنَى عِطْفَهُ مِنْ شَدْوِ أطْيَارِ

٦ - فِفِى جَنَابِكِ آنَسْتُ الرِّضَا قُبُلاً ... لا أحْذَرُ الجَوْرَ مِنْ أهْلٍ ولا جَارِ

٧ - وأنتِ أكْرَمُ مَا دَارٍ وَجَدْتُ بِهَا ... حَيَاةَ قَلْبِى، ألا حُيِّيتِ مِنْ دَارِ

٨ - سَلَكْتُ فِيكِ طَرِيقَ الحُبِّ مُتَّضِحًا ... فلَمْ أخَفْ فِيهِ من إثْمٍ ولا عَارِ

٩ - أُمْسِى وأُصْبِحُ لا أخْشَىٰ العَذولَ وقَدْ ... أقامَ صِدْقُ وِدادِى فيكِ أعْذارِى ١/٣٤

١٠ - أظَلُّ بَينَ شُمُوسٍ لا ضَلالَ لَهَا ... وأنْجُمٍ للهُدَىٰ زُهْرٍ وأقْمَارِ

١١ - مُهَذَّبِينَ كِرَامٍ لم تَزِغْ بِهِمُ الـ ... أهْوَاءُ عَمَّا نَحَاهُ خَيْرُ مُخْتَارِ

١٢ - مُحَمَّدٌ مُوضِحُ الإشْكَالِ مُنْتَجَعُ الـ ... آمَالِ واضِعُ أثْقَالٍ وآصَارِ

١٣ - وَافَىٰ البَرِيَّةِ فى طَخْيَاءِ غَمْرَتِهِمْ ... وغَمْرِهِمْ مِنْ ذَوِى حِلْمٍ وأغْمَارِ

---

(١) أوطارى: حاجاتى، جمع وطر.

(٢) رفَّ الزهر: برق وتلألأ. اجتُليت: نُظر إليها. حُلَّتى: مثنى حُلَّة، وهى الثوب. النُّوَّار: الزهر.

(٣) الحُبَا: الثياب.

(٤) رضيض: فتيت، أى ما نثر منه. الرَّوح: الراحة والسكينة.

(٥) ماس: اهتز وتمايل. البان: شجر طويل. شدو: غناء. وهذا البيت زيادة من النسخة (ب).

(٦) آنست: أحسست. قبلاً: مقبلة. الجور: الظلم.

(١٠) لا ضلال لها: أى لا تغيب. زُهْر: مضيئة، وفى الأصل: وأنجم للهدى أبداً وأقمار. وفيه خطأ عروضى، لأنه يجعل التفعيلة الثالثة (مُتَفاعلن)، وليس فى البسيط (مُتَفاعلن). والصواب من النسخة (ب).

(١١) لم تزغ: لم تنحرف. نحاه: قصده.

(١٢) المنتجع: المكان الطيب المرعَىٰ، استعاره للآمال. الآصار والأثقال بمعنى واحد.

(١٣) وافَى: جاء فى موعده. طخياء: الظلمة الشديدة. والغمرة: الشدة. والغَمْر: اللهو والباطل والحيرة. وفى الأصل: وعمهم، ولا معنى له، والصواب من (ب). الأغمار: جهال الناس الذين لا تجربة لهم.

١٤ - حَيْرَىٰ القُلوبِ أُسَارَاها أزِمَّتُهُمْ ... فى قَبْضِ غاوٍ خَبِيثِ المَكْرِ غَرَّارِ

١٥ - فجَاءَهُمْ بالصِّراطِ المُسْتَقِيمِ وهُمْ ... علَىٰ شَفَا جُرُفٍ مِنْ كُفرِهِمْ هارِ

١٦ - فأنْقَذَ الضُّلَّلَ الغَرْقَىٰ بِشِرْعَتِهِ ... وانْتَاشَهُمْ بالهُدَىٰ منْ هُوَّةِ النَّارِ

١٧ - مؤيَّدٌ، زُمَرُ الأملاكِ تَنْصُرُهُ ... ورُعْبُ شَهْرٍ مُذِلٌّ كُلَّ كَفَّارِ

١٨ - مُؤَيَّدٌ بِرِجالٍ سادةٍ غُرَرٍ ... مُهَاجِرِينَ كِرامِ الأصْلِ أبْرارِ

١٩ - وآخَرِينَ مَصَابيحِ الهُدَىٰ شُهُبِ الْـ ... ـهَيْجاءِ أقْمارِ يومِ السِّلْمِ أنْصارِ

٢٠ - فِتْيَانِ هَيْجاءَ مَا لاثُوا مآزِرَهُمْ ... مُذْ عَايَنُوهُ عَلَىٰ مَذْمُومِ أوْزَارِ

٢١ - عَلَيهِمُ نَضَراتُ الفَضْلِ ظَاهِرَةً ... وفِى القُلُوبِ لَدَيْهِمْ صِدْقُ أسْرارِ

٢٢ - لَمْ يَغْشَ أوْجُهَهُمْ فى بُؤْسِهِمْ قَتَرٌ ... ولَمْ يَصُونُوا النَّدَىٰ فى حَالِ إقْتارِ

٢٣ - مُقَمَّصِينَ لِباسَ العِزِّ عِرْضُهُمُ ... مِنْ عَارِ ثَوْبِ أباطِيلِ الهَوَىٰ عَارِ

٢٤ - لَمْ يَمْلِكِ الرِّقَّ مِنْ أطْمَاعِهِمْ وَرِقٌ ... ولَمْ يَشِنْ دِينَهُمْ حُبٌّ لِدِينارِ

٢٥ - ثَناؤُهُمْ بَجَمِيلِ الصُّنْعِ مُنْتَشِرٌ ... كَأنَّهُ فى البَرَايَا نَشْرُ عَطَّارِ

---

(١٤) أسارى: جمع أسير. الأزمَّة: جمع زمام، وهو الحبل الذى يقاد به البعير، أراد به مقاديرهم ومصائرهم. قبض هنا بمعنى: قبضة. غاوٍ: ضال مُضِلّ. غرَّار: خدَّاع مزيِّن للباطل، وهو الشيطان.

(١٥) على شفا جرف هار: تعبير قرآنى جاء فى قوله تعالى: ﴿ **أم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ** ﴾ التوبة / ١٠٩ . أى على حافة جبل يوشك أن ينهار.

(١٦) الضُّلَّل: الضالين. انتاشهم: أخرجهم.

(١٧) زمرة: جماعة. كفَّار: شديد الكفر.

(١٩) الشهب: جمع شهاب. الهيجاء: الحرب.

(٢٠) لاثوا: لبسوا. المآزر: جمع مئزر، وهو الإزار الذى يلبس أسفل البدن. أوزار: جمع وزر، وهو الذنب. يقول: إنهم منذ رأوا النبى ﷺ وآمنوا به، أصبحت نفوسهم عفيفة فلم يقترفوا الخطايا.

(٢١) نضرات: جمع نَضْرة، وهى الحُسن والإشراق الذى يلوح على الوجوه المؤمنة.

(٢٢) بؤسهم: فى (أ): بأسهم، وما أثبته من (ب) أليق بالمعنى. قتر: سواد وغبرة. إقتار: فقر.

(٢٣) مقمصين: لابسين، مشتق من (تقمَّص القميص). من عار ثوب...: فى (أ) من مس ثوب، وما أثبته من (ب) هو الأرجح، لميل الصرصرى إلى المجانسة، فيكون هناك جناس بين (عار) الأولى بمعنى العيب، و (عار) فى قافية البيت بمعنى خال.

(٢٤) الورق: الفضة، وكانت النقود تصنع من الفضة أو الذهب.
لم يشن: لم يَعِبْ.

٢٦ - مِنْ كُلِّ أَشْوَسَ مِقْدَامٍ إِذا نَكَصَ الْـ ... ـفُرْسَانُ عَنْ حَوْمَةِ الأَقْرانِ، كَرَّارِ

٢٧ - مُجَرَّبٍ فَاتِكٍ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ ... كَضَيْغَمٍ مِنْ لُيُوثِ الغَابِ مِغْوارِ

٢٨ - يَلْقَىٰ إِذا انْحَطَمَتْ سُمْرُ القَنَا قُبُلاً ... أَعْدَاءَهُ بِصَقِيلِ المَتْنِ بَتَّارِ

٢٩ - حَازُوا المَنَاقِبَ والفَضْلَ الجَزِيلَ بِهِ ... فَزَنْدُ مَجْدِهِمُ بَينَ الوَرَىٰ وَارِ

٣٠ - مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ مُؤْنِسُهُ ... لَمَّا تَتَبَّعَهُ الأَعْدَاءُ فِي الغَارِ ٣٤/ب

٣١ - ومِنْهُمُ عُمَرُ الفَارُوقُ فَاتِحُ مَا ... سَمِعْتَ مِنْ مُدُنٍ عُظْمَىٰ وأَمْصَارِ

٣٢ - والبَرُّ عُثْمَانُ أَسْخَىٰ مُرتَجَىً لِنَدًى ... أَكْرِمْ بِهِ مِنْ عَظِيمِ الشُّكْرِ صَبَّارِ

٣٣ - والهَاشِمِيُّ عَلِيٌّ مَنْ أَقَامَ عَلَىٰ ... بَحْرٍ مِنَ العِلْمِ عَذْبِ الوِرْدِ زَخَّارِ

٣٤ - وطَلْحَةُ الجُودِ والشَّهْمُ الزُّبَيْرُ وسَعْـ ... ـدٌ خَالُهُ وسَعِيدٌ عِصْمَةُ الجَارِ

٣٥ - وذُو العَطَاءِ ابْنُ عَوْفٍ والأَمِينُ أَبُو ... عُبَيْدَةَ النَّجْبَاءُ صَفْوَةُ البَارِي

٣٦ - وكُلُّ مَنْ نَظَرَ المُخْتَارَ نَظْرَةَ إِيـ ... ـمَانٍ لَهُ الفَضْلُ فِي بَدْوٍ وحُضَّارِ

٣٧ - يا مُزْجِيَ العِيسِ لا يَنْفَكُّ مُطَّلِبًا ... ذُرَا المَعَالِي بِتَهْجِيرٍ وإِسْحَارِ

٣٨ - حُثَّ المَطَايَا إِلَىٰ سَلْعٍ ولَوْ بَعُدَتْ ... بِطُولِ مَسْرَاكَ مِنْ وَخْدٍ وإِضْمَارِ

---

(٢٦) الأشوس: الشجاع الجرىء فى القتال، ومثله المقدام. نكص: تراجع عن القتال. الحومة: ساحة المعركة. والأقران: الأنداد، جمع قِرْن. كرَّار: مُقبل على القتال.

(٢٧) فاتك: يفتك بعدوه. الضيغم والليث: الأسد. مغوار: شجاع.

(٢٨) القنا: الرماح. قبلا: مواجهة. صقيل: سيف لامع. بتّار: قاطع.

(٢٩) الزَّند: ما تشعل به النار. الورىٰ: الناس. وار: مشتعل.

(٣١) أمصار: بلاد، جمع مصر.

(٣٢) أكرم به: تعجب من كرم عثمان ﷺ.

(٣٣) بحر زخَّار: كثير الماء مرتفع الأمواج.

(٣٥) النجباء: الكرام. صفوة البارى: الذين اختارهم الله عز وجلّ. ذكر فى الأبيات السابقة العشرة المبشرين، وهم أعلام الأمة، وليسوا بحاجة إلى تعريف.

(٣٦) البدو: سكان البادية، والحُضَّار: سكان الحضر.

(٣٧) لا ينفك: من الأفعال الدالة على الدوام والاستمرار. مُطَّلِبًا: مجتهداً فى الطلب. ذُرا: جمع ذروة، وهى القمة. المعالى: الفضائل. التهجير: السير فى الهجير، والإسحار: السير فى وقت السحر.

(٣٨) المطايا: الركائب، جمع مطيَّة. المسرَىٰ: مصدر ميمى من (سَرَىٰ) أى سار. الوخد: السير الهادئ، والإضمار: تجويع الإبل وإظماؤها أربعين يوما كى تقوى على السير =

٣٩ - فَثَمَّ مِفْتاحُ أقْفالِ القُلوبِ ومِصْـ ... ـبَاحُ الهِدايَةِ والبُشْرَىٰ لِزوَّارِ

٤٠ - والمَنْهَلُ العَذْبُ للوُرَّادِ والنُّزُلُ الـ ... ـرَّحِيبُ نِعْمَ مَقِيلُ المُدْلِجِ السَّارِي

٤١ - فَعَفِّرِ الخَدَّ فى ذاكَ الرِّغَامِ تَحُزْ ... شِفاءَ سُقْمٍ وَرَيًّا عِنْدَ إصْدارِ

٤٢ - وأَدِّ عَنِّى سَلامًا نَشْرُهُ عَطِرٌ ... يَفُوقُ رَيَّاهُ وَهْنًا نَشْرَ مِعْطَارِ

٤٣ - قُلْ: يا شَفِيعَ الوَرَىٰ - إذْ لا شَفِيعَ لَهُمْ ... سِواكَ - فى مَوْقِفٍ للخَلْقِ ضَرَّارِ

٤٤ - عَطْفًا على عُصْبَةٍ قَلَّتْ فَلَيْسَ لَهُمْ ... إلاَّكَ مُسْتَنْقِذٌ، يا خَيْرَ نَصَّارِ

٤٥ - فى كُلِّ يَومٍ لَنا رُعْبٌ يُقَلْقِلُنا ... فكُنْ مُجِيرًا لَنا مِنْ كَيْدِ كُفَّارِ

*****

=والحمل. وفى (أ) : من مُعْنٍ ومن زارِ: ولا يتبين معناه، وما أثبته من (ب).

(٣٩) ثَمَّ: هناك.

(٤٠) المدلج: السائر ليلاً.

(٤١) الرغام: التراب. الإصدار: الرجوع بعد الشرب.

(٤٢) وهنا: فى منتصف الليل. نشر: عطر. معطار: مبالغ فى التعطر والتطيُّب.

(٤٣) ضرَّار: شديد الضُّرّ.

(٤٤) عصبة: جماعة. إلاَّك: سواك، ولا يجوز أن يَلِيَ الضمير المتصل (إلا) فى الاستعمال العادى للغة، لكنه يجوز فى الضرورة الشعرية.

(٤٥) يقلقلنا: يجعلنا نضطرب.

الرائية الثامنة

(عدتها ٨٤ ـ البسيط الأول)

تغص هذه القصيدة بأنواع الجناس الذى كثر وتزاحم حتى أفسد جمال القصيدة بالألفاظ المفتعلة المجتلبة لإحداث التجانس وحسب.

تبدأ القصيدة بتوجيه الدعوة للإسراع نحو الديار المقدسة مهما كلف ذلك من مشقة ومعاناة؛ لأن هذا هو السبيل إلى سيد البشر ﷺ، ثم مديح للنبى ﷺ، متتبعًا مواطن السيرة الشريفة منذ ميلاده حتى بعثه، وما صاحب ذلك من معجزاته وخصائصه الشريفة.

ثم يمدح أمة محمد ﷺ، ويخص منها بالثناء : الراشدين الأربعة، ثم يعود إلى مناجاة النبى ﷺ ورجاء زيارته.

تتضمن القصيدة الأفكار الآتية :

- دعوة إلى المكارم وتجشم العناء لتحصيلها.
- فى مديح النبى ﷺ.
- فى الثناء على الأربعة الراشدين.
- مناجاة ورجاء.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - هَلاَّ نَفَرْتَ إلىٰ العَلْياءِ فى نَفَرٍ ... زُهْرٍ خَلائِقُهُمْ أَبْهَىٰ منَ الزَّهَرِ

٢ - قَومٍ نَحَوْا مِنْ سَبِيلِ المَجْدِ أقوَمَهُ ... وبَادَرُوا فى شِرَا غَالِيهِ بالبِدَرِ

٣ - صَفُّوا ضَمائِرَهُمْ مِنْ كُلِّ شَائِبَةٍ ... وهَذَّبوا نَاعِمَ الأبْدَانِ بالضُّمَرِ

٤ - مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ لا كَلٍّ ولا ضَرِعٍ ... أَغَرَّ أَبْلَجَ مَحْرُوسٍ مِنَ الغِيَرِ

٥ - أَبَىٰ لَهُ اللهُ إلاَّ أَنْ يَكُونَ أَبًا ... للْفَضْلِ صَدْرًا حَمِيدَ الوِرْدِ والصَّدَرِ

٦ - لَمْ يَرْضَ فى صِغَرٍ ذُلَّ الصِّغَارِ ولا ... يُصَعِّرُ الكِبْرُ خَدًّا مِنْهُ بالكِبَرِ

٧ - يَغَارُ إن جَارَ مَحْلٌ جَارَهُ، وإذا ... أَغَارَ جَيْشٌ حَمَىٰ مِنْ نَازِلِ الغِيَرِ

٨ - مَا رَوْضَةٌ تُعْجِبُ النُّظَّارَ نُضْرَتُها ... وتَسْحَرُ اللُّبَّ فِيها نَفْحَةُ السَّحَرِ

٩ - وصَبَّحَ النَّبتَ مِنْها شَمْأَلٌ سَلَبَتْ ... شَمائِلُ الرَّنْدِ مِنها نَشْوَةَ البَشَرِ

١٠ - إذا عَلَتْ وُرْقُها أوْراقَها وشَدَتْ ... شَادَتْ بِتَغْرِيدِها أَشْواقَ مُدَّكِرِ

١١ - كَحُسْنِهِمْ خِلْقَةً إن شِئْتَ أو خُلُقًا ... إذْ طِيبُ نادِيهِمُ مَأْوًى لِذِى حَصَرِ

---

(١) هلا : أداة تحضيض . نفرت : ذهبت مسرعًا . زهر : مشرقة وجوههم .

(٢) نَحَوْا : قصدوا . بادروا : سارعوا . البِدَر : الأموال الكثيرة ، جمع بَدْرة ، وهى كيس يحوى ألفًا أو عشرة آلاف .

(٣) الضَّمَر : الضمور ، وهو الهزال الناشىء عن الجوع والتقشف .

(٤) أروع : حَسَنٌ جميل . كَلّ : عاجز . ضَرِع : ذليل . أبلج : مشرق . الغير : حوادث الدهر وتقلباته .

(٥) صدر : وصف للمتقدم السابق فى المكارم . الصَّدَر : الرجوع بعد الشرب ، والجمع بين الضدين (الورد والصدر) يفيد العموم ، أى فى كل حالاته .

(٦) الصِّغار : الذل . صعَّر خده : مال بوجهه منصرفًا عن الناس ، كناية عن الكِبْر ، قال تعالى على لسان لقمان يوصى ابنه : ﴿ **ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ** ﴾ لقمان / ١٨ .

(٧) يَغَار : من الغيرة . جار : ظَلَم . مَحْل : جدب . أغار : من الغارة .

(٩) شمأل : رياح الشمال . الرَّنْد : نبات طيب الرائحة . النشوة : السُّكْر .

(١٠) الوُرق : الحمائم . شدت : غنّت (من الشَّدْو) . شادت : بَنَتْ (من التشييد) . مُدَّكِر : متذكر .

(١١) كحسنهم : خبر (ما) فى البيت الثامن ، أى ليست الروضة الموصوفة فى مثل حسنهم . النادى : مكان اجتماع القوم . لذى حصر : لذى عجز ، وأراد أن مجلسهم يأوى إليه المتعبون فيستريحون من عنائهم .

١٢ - إنْ شِئتَ تُدْرِكُ فى الإحْسانِ شأوَهُمُ ... والخُبْرُ لَيسَ - عَلَى التَّحْقِيقِ - كالخَبَرِ

١٣ - فَلا تَكُونَنَّ إلا بالظُّبَا كَلِفًا ... والسُّمْرِ، لا بِظِباءِ الضَّالِ والسَّمُرِ

١٤ - لا يُقْتَنَى العِزُّ إلا بالقَنَاةِ، ولا ... تُنَالُ مَأثَرَةٌ إلاَّ بِذِى أُثُرِ

١٥ - اهْجُرْ مَقِيلَكَ وادْأَبْ فى الهَجِيرِ وصِلْ ... بَيْدَاءَ تُسْفِرُ عَنْ أَخْلاقِ ذِى السَّفَرِ

١٦ - وخَلِّ ذاتَ خِمَارٍ وانْسَ خُلَّتَها ... وآنَسْ لِوَحْشٍ عِضَاهَ البَدْوِ والحَضَرِ

١٧ - واصْبِرْ عَلَى طَىِّ عُرْضِ البِرِّ نَفْسَكَ كَىْ ... تَحْظَى بِنَشْرِ نَفِيسِ البِرِّ والأثَرِ

١٨ - واشْدُدْ يَدَيْكَ لأَقْوَى الذُّخْرِ فى شِدَدٍ ... يَسْقِى ذَوِى الصَّبْرِ مِنْها جُرْعَةُ الصُّبُرِ

١٩ - بالفَاتِحِ الخَاتِمِ المَحْمُودِ مَبْعَثُهُ ... مُحَمَّدٍ أَحْمَدِ الآتِينَ بالنُّذُرِ

٢٠ - وِتْرُ الفَضَائِلِ لَمْ يُشْفَعْ بِها، أوَ مَا ... لَهُ الشَّفَاعَةُ والتَّخْصِيصُ بالنَّظَرِ؟

٢١ - مَا نَالَ ذُو رُتْبَةٍ مَا نَالَهُ، ولَهُ الـ ... ـجَاهُ الخَطِيرُ غَدَاةَ الرَّوْعِ والخَطَرِ

٢٢ - لَهُ الزَّعَامَةُ يَومَ الحَشْرِ بَينَ أُولِى ... عَزْمٍ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ الجَاحِدِ الحَصِرِ

٢٣ - وإنَّهُ أوَّلُ الأشْرافِ عِندَ أُولِى الـ ... ـإشْرافِ والآخِرُ المَبْعُوثُ بالزُّبُرِ

٢٤ - وأوَّلُ النَّاسِ نَشْرًا فى المَعَادِ إذا ... تَكَفَّلَ الصُّورُ بالأرْوَاحِ بالصُّوَرِ

---

(١٢) شأوهم: غايتهم. الخُبْر: المعاينة والتحقق المباشر، والخَبَر: السماع من الغير.

(١٣) الظُّبا: السيوف. كلفا: شديد التعلق. السُّمْر: الرماح. الضَّال والسمر: أشجار ضخمة. يقول: إن شئت أن تلحق بهؤلاء القوم فى الإحسان، فكن متعلقا بالسيوف والرماح لا بالحسان من النساء. (استعار الظباء للنساء).

(١٤) لا يقتنى: لا يُكْتَسب. القناة: الرمح. مأثرة: مكرمة وفضيلة. بذى أثر: السيف اللامع.

(١٥) المقيل: نوم القيلولة، أى دع الراحة. ادأب: واصل السعى والعمل. تسفر: تكشف.

(١٦) خلِّ: اترك. ذات خمار: يعنى النساء. الخُلَّة: الصداقة والحب. العضاه: شجر ذو شوك.

(١٨) شدد: جمع شدَّة. الصبر: السحاب الأبيض.

(٢٠) وتر الفضائل: واحدها الذى لا مثيل له. لم يشفع بها: لم يكن له مثيل فى الفضائل. التخصيص بالنظر: المختص برؤية الله عز وجلّ فى الدنيا، وفيه خلاف مشهور سبق ذكره.

(٢١) الخطير: عظيم القدر. غداة: يوم. الرَّوْع: الخوف والفزع.

(٢٢) أولو العزم من الرسل خمسة هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمّد ﷺ.

(٢٣) أولي الإشراف: أصحاب العلم والمعرفة الزُّبر: الكتب عامة، والمراد بها هنا: القرآن.

(٢٤) نشرا: بعثا. المعاد: العودة إلى الله يوم القيامة. الصُّور: البوق الذى ينفخ فيه يوم القيامة فيصعق من فى السموات والأرض، ثم ينفخ فيه فيبعثون. الإرواح: كذا فى الأصل ولم أجده فى المعاجم، ولعله: تكفَّلَ الصورَ بالأرْوَاحِ للصُّوَرِ، أى: تكفل الصُّور بإعادة الأرواح إلى الصور، وهى الأجسام.

٢٥ - وأطْيَبُ النَّاسِ عَرْفًا وهْوَ أعرَفُهُمْ ... بالحَقِّ فَهْوَ أحقُّ النَّاسِ بالحَذَرِ

٢٦ - بَدْرٌ تَنَزَّهَ فى حالِ الكمالِ عنِ الـ ... ـسِّرارِ حينَ بَدا مِنْ أشْرَفِ الأُسَرِ ٣٥/ب

٢٧ - أتَتْ بِهِ أُمُّهُ ذُخْرًا لأُمَّتِهِ ... بأَرْضِ مَكَّةَ ذاتِ الحِجْرِ والحَجَرِ

٢٨ - مُكَمَّلَ الخَلْقِ لَمْ تُقْطَعْ لَهُ سُرَرٌ ... حَوَى المَناقِبَ فى مَهْدٍ وفى سُرُرِ

٢٩ - مُدَوَّرَ الوَجْهِ أقْنَى الأنفِ حارَ لَهُ ... ذُو اللُّبِّ فى دَعَجِ العَيْنَيْنِ والحَوَرِ

٣٠ - كأنَّ غُرَّتَهُ الشِّعْرَى العَبُورُ بَدَتْ ... والفَرْقُ صُبْحٌ بَدَا فى فاحِمِ الشَّعَرِ

٣١ - ورَشْحُ جَبْهَتِهِ دُرٌّ تَحَدَّرَ أوْ ... دَرٌّ مِنَ المُزْنِ فى رَوْضِ النَّقَا النَّضِرِ

٣٢ - يَكادُ سِرُّ هُداهُ مِنْ أسِرَّتِهِ ... يُبِينُ وهْوَ إلَى الإبَانِ لَمْ يَصِرِ

٣٣ - لقَدْ جَلا وهْوَ طِفْلٌ نُورُهُ طَفَلَ الـ ... ـعَشِيِّ وهْوَ كَبِيرُ القَدْرِ فى الصِّغَرِ

٣٤ - رأتْ جَمِيعَ قُصورِ الشَّامِ قاصِرَةً الـ ... ـطَّرْفَ الحَصَانُ بِنُورٍ مِنْهُ مُبْتَدِرِ

٣٥ - نَعَمْ فَتاةُ بَنِى سَعْدٍ بِهِ سَعِدَتْ ... فَلَمْ تَخَفْ ظِئْرُهُ كَلاًّ ولَمْ تُضَرِ

٣٦ - وفازَ فى رَبْعِها المَعْمُورِ حينَ بَدا ... مُسْتَكْمِلاً أرْبَعًا من أشْرَفِ العُمُرِ

---

(٢٥) عَرْفًا: رائحة. بالحذر: من الله عز وجل.

(٢٦) السرار: اختفاء القمر فى آخر ليلة من الشهر.

(٢٧) سبق التعريف بالحجر فى الرائية الأولى، البيت رقم ٢١.

(٢٨) المناقب: الفضائل.

(٢٩) حارَ: تحيَّر. دعج العينين: شدة اتساعهما. والحور: شدة بياض بياض العين، مع شدة سواد سوادها.

(٣٠) الشعرى العبور: أحد نجمى الشِّعرى، وهما: الشِّعرى العَبُور (أى التى تعبر السماء عرضًا) والشِّعرى الغميصاء. ونجم الشِّعرى أشدّ نجوم السماء لمعانا بعد الشمس. فاحم الشَّعَر: الشعر الأسود.

(٣١) الرشح: العرق. تحدَّر: نزل. الدُّر: اللؤلؤ، والدَّر: المطر. المزن: السحاب. النَّقا: كثيب الرمل.

(٣٢) يبين: يظهر. الإبَّان: الوقت، ويعنى به: وقت مبعثه ﷺ.

(٣٣) جلا: كشف ومحا. طَفَل العَشِيّ: آخر النهار وأول الليل، عند غروب الشمس.

(٣٤) قاصرة الطَّرْف: التى قَصَرَتْ نفسها على زوجها فلم تطمح إلى غيره. الحَصَان: العفيفة. يشير إلى ما رأته أم النبى ﷺ: «رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام» [دلائل النبوة للبيهقى ١ / ٨٠].

(٣٥) فتاة بنى سعد: حليمة السعدية مرضعة النبى ﷺ. ظِئْرُه: مرضعته.
لم تُضَرْ: لم يصبها سوء.

٣٧ - بِشَرْحِ صَدْرٍ خلا مِنْ غَمْرِ ذِى حَسَدٍ ... ومِنْ غَبَاوَةِ غَمرٍ غَيْرِ مُخْتَبَرِ

٣٨ - حَلَّتْ بِهِ قَدَمُ الأنْسَابِ فى قِدَمِ الـ ... ـزَّمَانِ فى ذُرْوَةِ العَلْيَاءِ مِنْ مُضَرِ

٣٩ - بِفَضْلِ آبَائِهِ البَطْحَاءُ شَاهِدَةٌ ... ومُعْصِرَاتٌ هَمَتْ فى سَالِفِ العُصُرِ

٤٠ - جِفَانُهُمْ أخْمَدَتْ نَارَ المَجَاعَةِ والْـ ... ـأكْبَادُ مِنْ كَبَدِ الأسْعَارِ فى سُعُرِ

٤١ - سُبْحَانَ مَنْ زَانَهُ بالحُسْنِ مُكْتَمِلاً ... وبالمَحَاسِنِ فى الأخْلاقِ والسِّيَرِ

٤٢ - كَنْزُ العُفَاةِ إذا رَسْمُ النَّوالِ عَفَا ... وحَلَّ بَيْنَ البَرَايَا نازِلُ الكُبَرِ

٤٣ - يَحْبُو بِمَا طَابَ مِنْ رِفْدٍ إذا صَفِرَ الْـ ... ـوِطَابُ مَنْ باتَ يَشْكُو عَضَّةَ الصَّفَرِ

٤٤ - يُقَدِّمُ اليُسْرَ للعَافِى ويُتْبِعُهُ ... بالبِشْرِ فَهْوَ - لَعَمْرِى - سَيِّدُ البَشَرِ

٤٥ - ولَهْوَ أفْضَلُ مَنْ أعطَىٰ فأجْزَلَ فى الْـ ... ـإقْتَارِ ثُمَّتَ جَلَّىٰ ظُلْمَةَ القَتَرِ

٤٦ - رَدَّ الفَوَارِسَ إذْ كَأسُ الرَّدَىٰ مُلِئَتْ ... بالبَأسِ كَاشِفُ أزْلِ البُؤْسِ والضَّرَرِ

٤٧ - وعَوْنُ مَنْ أدْمَتِ الحَرْبُ العَوانُ بِهِ ... أظْفَارَهَا وهْوَ بَابُ النَّصْرِ والظَّفَرِ ١/٣٦

---

(٣٧) غَمر فى صدر البيت : الحقد . (غَمْرٌ) فى عجز البيت : الجاهل غير المجرَّب .

(٣٩) البطحاء : وادى مكة المكرمة . مُعصرات : سحب غزيرة المطر . هَمَتْ : سالت بالمطر . يشير إلى استسقاء عبد المطلب بالنبى ﷺ وهو طفل ، فسقطت الأمطار غزيرة [انظر : دلائل النبوة للبيهقى ٢ / ١٥ : ١٩] .

(٤٠) جفانهم : جمع جفنة ، وهى القدر . أخمدت : أطفأت . كَبَد : شدة مرهقة . سُعُر : جمع سعير ، وهو النار .

(٤٢) العفاة : السائلون المتعرضون للمعروف . النَّوال : العطاء والكرم . عفا : زال أثره . نازل الكُبَر : الأحداث الشديدة والمحن الكبيرة .

(٤٣) يحبو : يعطى . رفد : عطاء . صَفِرَ الوطاب : كناية عن الفقر الشديد . الصَّفَر : المجاعة والجدب .

(٤٤) العافى : الفقير . لعَمْرى : قسم .

(٤٥) ولَهْوَ : الواو استئنافية ، واللام للتوكيد ، (هو) ضمير الغائب سُكِّنت هاؤه للضرورة الشعرية . الإقتار : الفقر . القتر : السواد والظلمة ، وأراد به : ظلمة الكفر والضلال .

(٤٦) الرَّدى : الموت . البأس : شدة الحرب . أزْل : شدة وضيق وجدب . والبؤس مثله ، وفى الأصل : بالبأس كاشف أزل البأس والضرر ، وهو خطأ من الناسخ .

(٤٧) أدمت الحرب أظفارها : تلوثت بالدم ، وهو كناية عن اشتداد الحرب . العوان : الحرب المتصلة التى قُوتِلَ فيها مرة بعد مرة ، كأنهم جعلوا المعركة الأولى بكرًا ، والثانية عوانًا (والعوان صفة للمرأة المتزوجة) .

٤٨ - يَحْمِي الوَرَىٰ إنْ وَرَىٰ زَنْدُ الوَغَىٰ وعَرَا ... بِضَرْبِ زَنْدٍ يَرُدُّ الضَّرْبَ ذا خَوَرِ

٤٩ - إذا طَفَا الدَّمُ فَوقَ النَّقْعِ أطْفَأَ ما ... أذْكَىٰ الشَّرارُ بِهِ مِنْ لافِحِ الشَّرَرِ

٥٠ - أراقَ ما أسْأَرَ الشَّيْطانُ مِن لَعِبِ الـ ... ـهَوَىٰ لَهُمْ فِي حِياضِ الكُفْرِ بالسُّوَرِ

٥١ - وجَاءَ بالحِلْمِ والتَّقْوَىٰ وقدْ حَلِمَ الـ ... أديمُ بَينَ أُولِي الشَّحْناءِ والأَشَرِ

٥٢ - فَشَدَّ أزْرَ الوَرَىٰ بالدِّينِ فارْتَفَعَتْ ... أوْزَارُهُمْ وغَدَوْا فِي أَمْنَعِ الوَزَرِ

٥٣ - كَانَ الغَمَامُ لَهُ ظِلاً فأنْفَذَ فِي ... غَمِّ الضَّلالِ قَناةَ السَّادَةِ الغُرَرِ

٥٤ - وعَامَ مِنهُ بَحِيرَا فِي بِحَارِ هُدًى ... لَمَّا رأَىٰ نُورَهُ يَعْلُو علىٰ القَمَرِ

٥٥ - وأسْلَمَ ابْنُ سَلامٍ عِندَ مَقْدَمِهِ ... إذ أبْصَرَ الحَبْرُ بَدْرًا لاحَ فِي الحِبَرِ

٥٦ - وآنَسَ الرُّوحُ عِيسَىٰ رَوْحَ شِرْعَتِهِ الـ ... ـنَّجْلاءِ تَنْفَحُ فِي إنجِيلِهِ العَطِرِ

---

(٤٨) وَرَى: اشتعل. والزَّند: ما تُشْعَل به النار. الوغى: الحرب. عرا: أصاب. زَنَد (في عجز البيت): أعلى الذراع. الضَّرْب: الخفيف من الرجال. خَوَر: ضعف.

(٤٩) طفا: سال. النَّقع: غبار الحرب. أذكى: أشعل. الشَّرار: الأشرار.

(٥٠) أسأر: أبقى من سؤره، أى بقية ما يشرب، شبه خداع الشيطان وتضليله للناس بإناء شرب منه الشيطان ثم أعطاهم بقية ما فيه. بالسور: الباء للاستعانة، والسور: سور القرآن الكريم، يقول: إن النبى ﷺ قضى على غواية الشيطان بما أنزل الله عليه من سور القرآن.

(٥١) حَلِمَ الأديم: كناية عن الفساد. الشحناء: العداوة والكراهية. الأشر: الجحود وبطر النعمة.

(٥٢) شدَّ أزرهم: قوَّاهم. أوزارهم: ذنوبهم. الوزر: الحصون المنيعة.

(٥٣) قناة: رمح، يقول: كان النبى ﷺ محروسا برعاية الله يظلُّه الغمام، وأدت هذه العناية الإلهية به إلى أن صار نبيًّا فقضى على الضلال.

(٥٥) ابن سلام: عبد الله بن سلام، كان حبرًا من كبار علماء اليهود، ولما قدم النبى ﷺ إلى المدينة المنورة جاءه عبد الله بن سلام وسأله ثلاثة أسئلة لا يعرف جوابها إلا نبى:

- ما أول أشراط الساعة؟
- ما أول طعام يأكله أهل الجنة؟
- لماذا يشبه الولد أمه أو أباه؟

فأجاب النبى ﷺ:

- أما أول أشراط الساعة فنارٌ تحشرهم من المشرق إلى المغرب.
- وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت.
- وأما الولد فإذا سبق ماءُ الرجل ماءَ المرأة نزع الولدَ (أى أشبه أباه)، وإذا سبق ماءُ المرأة ماءَ الرجل نزعت الولد (أى أشبه أمه).

حينئذ آمن عبد الله بن سلام وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسولُ الله [الفتح، ك مناقب الأنصار، باب مسائل عبد الله بن سلام ٧ / ٣١٩ ، حديث رقم ٣٩٣٨].

(٥٦) يقول: إن نبى الله عيسى عليه السلام تنسم الرائحة الطيبة لشريعة سيدنا محمد ﷺ فى إنجيله المعطر.

٥٧ - ولمْ تُورِّ لَهُ التَّوْراةُ عَنْ صِفَةٍ ... بَلْ أَوْضَحَتْها لِواعِي القَلْبِ مُعْتَبِرِ

٥٨ - لَهُ البلاغَةُ فى أَلْفاظِه اخْتُصِرَتْ ... والبِرُّ مُسْتَوْدَعٌ فى رِبْقَةِ الحَصَرِ

٥٩ - مُذْ حَلَّ طَيْبَةَ أَضْحَتْ وهْىَ طَيِّبَةٌ ... جَدِيرةٌ بِمَجالِ النُّورِ فى الجُدُرِ

٦٠ - غَشَّىٰ نِقابُ السَّنا وَجْهَ النِّقابِ كَما ... آسَوْهُ بالنَّفْسِ والأَمْوالِ فى العُسَرِ

٦١ - وبادَرُوا يَوْمَ بَدْرٍ نُصْرَةً، ولَقَدْ ... فازُوا بِفَضْلٍ عَظِيمِ الجاهِ مُنْتَشِرِ

٦٢ - وهْوَ المُؤَيَّدُ بالأَمْلاكِ مُرْدِفَةٍ ... ورُعْبِ شَهْرٍ بِقَهْرِ الخَصْمِ مُشْتَهِرِ

٦٣ - وكَفُّ يَوْمَ حُنَيْنٍ كَفَّ جَيْشٍ وَغَىٰ ... بِكَفِّ تُرْبٍ فَوَلَّىٰ الجَمْعُ لِلدُّبُرِ

٦٤ - ولمْ تَزَلْ خَيْلُهُ مَنْصورَةً؛ فلقَدْ ... عَزَّتْ أعِزَّةَ أهلِ التِّيهِ والصَّغَرِ

٦٥ - سارتْ إلىٰ فارسَ العُظْمَىٰ فكمْ تَرَكَتْ ... فى عُقْرِ مَنْزِلِها مِنْ فارِسٍ عَقِرِ

٦٦ - كَسَوْنَ قَيْصَرَ ذُلاً فى القُصورِ كَما ... كَسَرْنَ كِسْرَىٰ فاضْحَىٰ غيرَ مُنْجَبِرِ

٦٧ - ونَحْنُ مِنْهُ عَلَىٰ وعْدٍ به انْكَشَفَتْ ... عَنَّا جُنودٌ أَتَتْ تَتْرَىٰ مِنَ التَّتَرِ

٦٨ - شَفَىٰ صُدوراً وقَدْ أَشْفَتْ عَلَىٰ غَلَفٍ ... وحَارَ فى حُكْمِه ذو الضِّغْنِ والوَحَرِ ٣٦/ب

---

(٥٧) لم تُورِّ: لم تذكر صفاته توريةً، والتورية هى احتمال الكلام لأكثر من معنى واحد.

(٥٨) ربقة: أسر وقيد. الحصر: الحبس والمنع.

(٥٩) مجال: مصدر ميمى من (جال - يجول) أى يتجوال. ولعله: (مجالى) جمع مَجلَى أى الموضع الذى يرى فيه النور.

(٦٠) نقاب الأولى بمعنى: الغطاء، والثانية: جمع نقيب، أى سيد كريم، يريد: أصحاب النبى ﷺ. آسوه: أيدوه. العُسَر: جمع عسرة، وهى الشدة.

(٦١) بادروا: سارعوا.

(٦٢) مردفة: راكبة خلفهم على الخيل.

(٦٣) كفّ الأولى: فعل بمعنى منع، والثانية بمعنى: اليد، وأراد بها القدرة، والثالثة: ما يملأ الكف.

(٦٤) عزّت: غلبت وقهرت.
التّيه: الكبر، ومثله الصَّغَر.

(٦٥) فارس الأولى: إمبراطورية الفرس، والثانية: الفارس المحارب.

(٦٧) تترى: متتابعة.

(٦٨) أشفت: أوشكت. الغَلَف: صمم القلوب وعدم نفوذ الهداية إليها.
الضِّغن والوحر: كلاهما بمعنى الحقد والغِلّ.

٦٩ - وعَادَ بالمُصْطَفَىٰ صُلْبُ الصَّفَا كَثَرًى ... بِوَطْءِ رِجْلٍ لَهُ أَنْقَىٰ مِنَ الكَثَرِ

٧٠ - والمَاءُ جَاشَ زُلالاً من أصابعه ... حَتَّىٰ جَلا غَمَرَاتِ الجَيْشِ منْ غُمَرِ

٧١ - ومَدَّ والجَدْبُ مَمْدودُ الرِواقِ يَدًا ... مَبْسُوطَةً بأيادِي البِرِّ واليُسُرِ

٧٢ - فأصْبَحَ الجَوُّ مَحْلُولَ الحُبَا طَبَقًا ... غَمْرَ الحِبَاءِ مَرِيعًا ساكِبَ المَطَرِ

٧٣ - وسَبَّحَ الحَصَيَاتُ السَّبْعُ فى يَدِهِ ... وليسَ إحْصَاءُ مَا فيه بِمُنْحَصِرِ

٧٤ - وإنَّ أُمَّتَهُ مَا فِى القُرونِ لَهَا ... مُقارِنٌ فى فَخارٍ عِنْدَ مُفْتَخَرِ

٧٥ - مِنْهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ أَفْضَلُهَا ... حَوَىٰ مَدَىٰ السَّبْقِ فى الآصَالِ والبُكَرِ

٧٦ - وبَعْدَهُ عُمَرُ الفاروقُ عَامِرُ مَا ... أَوْهَىٰ الضَّلالُ، إمامُ الحَجِّ والعُمَرِ

٧٧ - والبَرُّ عُثْمانُ مَنْ طالَتْ قِراءَتُهُ ... فى رَكْعَةِ الوَتْرِ حَتَّىٰ صَارَ كالوَتَرِ

٧٨ - والهاشِمِيُّ عَلِيٌّ مُنْتَهَى وَزَرِ الْـ ... ـكُمَاةِ بابُ العُلومِ الطَّاهِرُ الأَزُرِ

٧٩ - أَكْرِمْ بِهِمْ بَعْدَ خَيْرِ الخَلْقِ أَرْبَعَةً ... هُمُ الرَّبِيعُ لِقَلْبِ المُوقِنِ الحَذِرِ

٨٠ - يا مَنْ لِتُرْبَتِهِ الأَمْلاكُ آلَفَةٌ ... سَبْعُونَ أَلْفًا أَطَاعَتْ أَمْرَ مُقْتَدِرِ

٨١ - يا مَنْ بِهِ عُرِفَتْ أَحْكامُ مِلَّتِنا ... فى الحِلِّ والحَظْرِ، بينَ البَدْوِ والحَضَرِ

٨٢ - يا مَنْ شَرِيعَتُهُ نُورُ البَصائِرِ مِيـ ... ـدانُ القُلوبِ رِياضُ السَّمْعِ والبَصَرِ

---

(٦٩) الصَّفَا : الحجارة الصلبة . كثرى : مثل الثرى، أى التراب المبلل . الكَثَر : شرح الناسخ هذه الكلمة فى هامش المخطوط بأنها : جُمَّار النخل . نقل النبهانى عن شرح الشفا للشهاب الخفاجى : أن النبى ﷺ كان إذا مشى غاصت قدمه فى الحجارة وبقى أثرها فى الصخر . [انظر : حجة الله على العالمين، ص ٣٢٥] .

(٧٠) جاش : انفجر غزيرا . زلالا : نقيًا عذبا . الغمرات : الجماعات . غُمَر : قدح صغير .

(٧١) ممدود الرواق : منتشر . اليُسْر : اليُسُر، أى الفرج وسعة الرزق، ضمّ السين لضرورة الوزن والقافية .

(٧٢) الحُبا : الثياب، والتعبير (محلول الحبا) كناية عن الاستعداد والسهولة . طبقًا : مطبقًا على وجه الأرض بالمطر . غَمْر : كثير . الحباء : العطاء . مَريعًا : مطرًا غزيرا .

(٧٤) مقارن : مثيل . مفتخر : مصدر ميمى، بمعنى : عند الافتخار .

(٧٦) أوهى : أضعف . والعُمَر : جمع عُمْرة .

(٧٧) كالوتر : أى صار نحيفا كالوتر المشدود .

(٧٨) وزر : حصن وملجأ . الكماة : الشجعان . الأزر : الثياب السفلى، وهو كناية عن العفة .

(٨١) الحلّ : المباح . الحظر : الممنوع .

٨٣ - إِلَيْكَ بِكْرَ قَرِيضِي زَفَّهَا شَغَفِي ... فَهَلْ لِبِكْرِي إِلَيْكُمْ جَدُّ مُبْتَكِرِ

٨٤ - عَسَايَ إِنْ حَلَّ حادِي العِيسِ أَرْضَكُمُ ... بِطالِعِ السَّعْدِ أَقْضِي عِنْدَكُمْ وَطَرِي

*****

---

(٨٣) القريض: الشعر، أى: أهدى إليك هذه القصيدة التى هى بمثابة البكر من أشعارى. جَدّ: حظ. مبتكر: مبكر فى طلب الخير.

قافية الزاى المعجمة

(عدتها ٣٥ ـ الكامل الثانى)

جاء على هذا الروى الصعب قصيدة واحدة، كلها ثناء على النبى ﷺ، وإعلان لحبه واتّباعه من أول بيت حتى آخر بيت، والإشارة إلى وعده ﷺ لأمته بالنصر، ومناجاته ، يشكو إليه نفساً ضعيفة ودنيا خداعة، طالبًا عونه ومستجيراً بجاهه فى الدنيا والآخرة.

تضمنت القصيدة فكرتين:

- فى مديح النبى ﷺ.
- فى مناجاته والشكوى إليه.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - سُلْوانُ مِثْلِكَ لِلمُحِبِّ عَزِيزُ ... وعَلَيْكَ لَوْمُ الصَّبِّ لَيسَ يَجُوزُ

٢ - قَلْبِي ذَلولٌ فِي هواكَ ومِسْمَعِي ... فلَهُ عَنِ اللُّوَّامِ فِيكَ نُشُوزُ

٣ - يا مَنْ شَأَىٰ بِجمالِهِ شَمْسَ الضُحَى ... ولِقَدْهِ دَانَ القَنا المَهْمُوزُ

٤ - هَلْ لِلمُتَيَّمِ فِي رِضًا لَكَ مَطْمَعٌ ... فَلَعَلَّهُ بِالقُرْبِ مِنْكَ يَفُوزُ ١/٣٧

٥ - أنا عَبْدُكَ الرَّاضِي بِرِقِّي فَارْضَنِي ... عَبْدًا؛ فلِي فِي ذلِكَ التَّمْيِيزُ

٦ - لا أبْتَغِي مَولًى سِوَاكَ مِن الوَرَىٰ ... أنَّىٰ وجَانِبُ مَنْ مَلَكْتَ عَزِيزُ؟!

٧ - لا عَارَ يَلْحَقُ فِي هَوَاكَ بِعاشِقٍ ... ومُحِبُّ غَيْرِكَ عِرضُهُ مَغْمُوزُ

٨ - لا أدَّعِي فِيكَ الغَرامَ مُغَمْغِمًا ... فِي مِثْلِ حُبِّكَ يُكْشَفُ المَرْمُوزُ

٩ - يا سَيِّدَ الأشْرافِ يا مَنْ حُبُّهُ ... فِي كُلِّ قَلْبٍ صادِقٍ مَغْرُوزُ

١٠ - يا مَنْ لِرُتْبَتِهِ التِي سَمَتِ الوَرَىٰ ... عَلَمٌ عَلَىٰ هَامِ العُلاَ مَرْكُوزُ

١١ - يا خَاتَمَ الرُّسُلِ الكِرامِ ومَنْ بِهِ ... حُلَلُ النُّبُوَّةِ زَانَهَا التَّطْرِيزُ

١٢ - يا مَنْ لَهُ الكَلِمُ اخْتُصِرْنَ فَصاحَةً ... مَعنًى غَزِيرٌ والكَلامُ وَجِيزُ

١٣ - أتْباعُكَ الغُرُّ الكِرامُ، ومَنْ عَدَا ... مِنْهاجَهُم فَمُشَوَّهٌ مَنْبُوزُ

١٤ - ذُلُّ الخِلافَ عَلَىٰ عِدَاكَ مُبِينٌ ... ومُطِيعُ أمْرِكَ بِالقَبُولِ عَزِيزُ

١٥ - أبدًا وَلِيُّكَ لا يَزالُ مُقَمَّصًا ... عِزًّا، وضِدُّكَ دَاحِضٌ مَعْزُوزُ

---

(١) السُّلوان: النسيان. الصَّب: العاشق. (٢) ذلول: خاضع. نشوز: بعد وانصراف.

(٣) شَأىٰ: سَبَقَ وقهر. دان: أقرَّ بالفضل. القنا: الرمح. المهموز: الذى ضغط عليه براحة اليد، والرمح عندئذ يتثنى فى مرونة وقوة معًا، فشبه به قامة النبى ﷺ.

(٦) أنَّى: كيف. أى لا أرضى بأن أكون مولىً لغيرك؛ فإننى عزيز الجانب وفى ولائى لك دون غيرك مزيد عزة وكرامة.

(٧) مغموز: مَعيب.

(٨) مغمغما: الغمغمة: الكلام غير الواضح. المرموز: المشار إليه بالرمز.

(١٠) لرتبته: فى الأصل: لتربته، وما أثبته من النبهانية أنسب للمعنى. هام: رأس. مركوز: مثبَّت.

(١٣) منبوز: مذموم.

(١٥) مقمصا: لابسًا قميصًا. داحض: ساقط الحجة. معزوز: مغلوب مقهور، فى الأصل وفى النبهانية: مغروز بالغين المعجمة، وما أثبته هو ما يليق بالتركيب والمعنى.

١٦ - نَظْمُ القَريضِ بِمَدْحِ غَيْرِكَ نَقْدُهُ ... زَيْفٌ ونَظْمُ مَديحِكَ الإبْريزُ

١٧ - كُلُّ العَروضِ بِنَظْمِ مَدْحِكَ كَاملٌ ... يَحْلَىٰ بِهِ المَقْصُورُ والمَهْمُوزُ

١٨ - أنتَ المُصَفَّىٰ مِنْ قَبائِلِ هاشِمٍ ... بِكَ أَصْبَحَتْ لِلمَكْرُماتِ تَحوزُ

١٩ - أنْتَ الَّذى رَفَعَ المُهَيْمِنُ قَدْرَهُ ... وعَدوُّكَ الواهِي العُرَى المَلْمُوزُ

٢٠ - أنتَ الَّذى بَصَّرْتَنا بَعْدَ العَمىٰ ... فَبِنورِ هَدْيِكَ نَهْتَدى ونَميزُ

٢١ - أنتَ المُخَصَّصُ بالشَّفاعَةِ للوَرىٰ ... طُرًّا وأنتَ عَلَىٰ الصِّراطِ مُجيزُ

٢٢ - ما زِلْتَ فى نَيْلِ المَقامَاتِ العُلَىٰ ... ولِمِثْلِ مَجْدِكَ يَثْبُتُ التَّبْريزُ

٢٣ - ولَقَدْ خَشيتَ اللهَ أعْظَمَ خَشْيَةٍ ... فلِصَدْرِكَ العَطِرِ الرَّحيبِ أَزيزُ

٢٤ - ونَصَحْتَ إذْ بَلَّغْتَ نُصْحًا شَافِيًا ... مَا فيهِ لا وَهَنٌ ولا تَعْجيزُ

٢٥ - حَتَّىٰ اسْتَقامَ الدِّينُ وارْتَفَعَتْ لَهُ ... عَمَدٌ لَها فى الخَافِقَيْنِ بُروزُ ٣٧/ب

٢٦ - فَأجابَ واقْتَربَ المُنيبُ المُتَّقِى ... ونأىٰ وصَدَّ الخاسِرُ المَحْجوزُ

---

(١٦) القريض: الشعر. نقده: بيان حسنه من قبيحه، وفيه تورية بالنقد من المال، وهو الذهب والفضة. الإبريز: الذهب الخالص.

(١٧) العروض: التفعيلة الأخيرة من صدر البيت، وأراد به: أوزان الشعر. والكامل: أحد بحور الشعر، لكنه أراد أن كل نظم شعرى إذا كان فى مدح النبى ﷺ فهو كامل تام حسن. والمقصور ما كان على مثال: رضا، مصطفى، هدى...إلخ. والمهموز: ما ينتهى بهمزة، مثل: صفاء، عطاء، هناء...إلخ. والمعنى أن كل القوافى تحلو فى مديح المصطفى ﷺ مقصورة كانت أو مهموزة أو غير ذلك.

(١٩) الواهى: الضعيف. العُرى: ما يستمسك به، والمراد به الحجة والمنهج.
الملموز: المَعيب.

(٢٠) نميز: نميز الحق من الباطل.

(٢١) طُرًّا: جميعا.

(٢٢) التبريز: التفوق والتقدم.

(٢٣) أزيز: صوت كصوت غليان القدر، فيه بكاء وحنين. جاء فى الحديث أنه ﷺ «كان يُصَلِّى ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء»
[النهاية فى غريب الأثر والحديث لابن الأثير ١ / ٤٥].

(٢٤) وَهَن: ضعف.

(٢٥) عَمَدٌ: جمع عمود.
الخافقين: المشرق والمغرب.

(٢٦) المنيب: التائب. نأى: بعد. المحجوز: المبعد المطرود عن الرحمة والهداية.

٢٧ - كَسَرَتْ جُنودُكَ قاهراً سُلْطَانُها ... كِسْرَىٰ وأُنْفِقَ مَالُهُ المَكْنوزُ

٢٨ - ولَحَزْبُكَ الأَعْلَوْنَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ الـ ... ـطَّاغِي ويُمْنَعُ دِرْهَمٌ وقَفِيزُ

٢٩ - ولَسَوْفَ يَبْعَثُكَ المُهَيْمِنُ مَقْعَداً ... فِيهِ لَكَ التَّقْرِيبُ والتَّعْزِيزُ

٣٠ - أَشْكُو إِلَيْكَ جِمَاحَ نَفْسٍ تَرْتَمِي ... فِي الغَيِّ وهْيَ عَنِ الرَّشَادِ ضَمُوزُ

٣١ - مَغْرورةٌ بِخِداعِ دُنْيا شُهْدُها ... سُمٌّ وتُبْدِي البِرَّ وهْيَ عَزُوزُ

٣٢ - فَتَنَتْ قُلوبَ الخَلْقِ وهْيَ فَتِيَّةٌ ... ودَهَتْهُمُ بالخَدْعِ وهْيَ عَجُوزُ

٣٣ - أنا فِي حَبَائِلِها رَهِينُ الأَسْرِ إِذْ ... أنَا لِلضَّرُورَةِ نَحْوَها مَلْزوزُ

٣٤ - فأَعِنْ ضَعِيفاً يَتَّقِي بِكَ كَيْدَها ... فَلِنَبْلِها وسْطَ الفُؤادِ حُزُوزُ

٣٥ - بِكَ أَسْتَغِيثُ وأَسْتَجِيرُ وأَرْتَجِي ... أَنِّي بِجاهِكَ فِي المَعَادِ أَفُوزُ

*****

---

(٢٧) كسرت: فى الأصل: قهرت، وما أثبته من [النبهانية ٢ / ٢٥١] هو الأرجح، لميل شاعرنا - فى هذه القصيدة وغيرها - إلى المجانسة.

(٢٨) الطاغى: يريد به الدجّال. القفيز: مكيال. أى حتى يخرج الدجال وترفع الجزية، وذلك من علامات الساعة.

(٣٠) الغىّ: الضلال. ضموز: ساكتة عاجزة عن الخير.

(٣١) عزوز: تمنع الخير.

(٣٢) دهتهم: أصابتهم. الخدع: الخداع.

(٣٣) ملزوز: مدفوع.

(٣٤) حزوز: آثار تشبه أثر الحبال فى جسد المقيد بها.

قافية السين المهملة

(عدتها ٤٢ ـ المتقارب الأول)

نظم الصرصرى على هذا الروى قصيدة واحدة يذكر فيها معالم الديار المقدسة داعيًا لها بالسقيا والخصب، فهى معاهد صباه، وها هو ذا يتشوق إليها وقد حالت الأقدار بينه وبينها.

ثم يأخذ فى مديح حبيبه المصطفى ﷺ وسرد بعض معجزاته وفضائله، ويختم قصيدته بالدعوة إلى جنى ثمار غرسه الطيب واتباع سنته المطهرة.

تتضمن القصيدة ثلاثة أفكار:

- فى الحنين إلى الديار المقدسة.
- فى مديح النبى ﷺ.
- فى الدعوة إلى امتثال هديه واتباع سنته.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - سَقَىٰ اللهُ أكْنافَ وادِى العَروسِ ... بِكَفِّ الغَمائِمِ أحْلَىٰ الكُئُوسِ

٢ - ولا لَقِيَتْ حادثاتُ الزَّمانِ ... شِعابَ المُصَلَّىٰ بوَجْهٍ عَبوسِ

٣ - ورَفَّ سَنا نَضِراتِ الجَمالِ ... رَفِيفًا علىٰ تاجِ تِلكَ الرُّءوسِ

٤ - وزادَتْ مَعالِمُها بَهْجَةً ... بِنُورِ البُدورِ وضَوْءِ الشُّموسِ

٥ - وحَيَّىٰ مَرابِعَ وادِى العَقيقِ ... وسَلْعٍ حَيًّا كاشِفٌ كُلَّ بُوسِ

٦ - فأَلْبَسَها من مُلاءِ الرِّياضِ ... وأثوابِها الخُضْرِ أسْنَىٰ لَبُوسِ

٧ - فللَّهِ تِلْكَ القِبابُ الَّتى ... حَوَتْ كُلَّ مَعنًى عَزِيزٍ نَفِيسِ

٨ - وللَّهِ عَيْشٌ تَقَضَّىٰ بِها ... بِمَغْنًى بَهِيجٍ أنِيقٍ أنِيسِ

٩ - لَعَمْرِى لقَدْ طَالَ عَهْدِى بِها ... وما زالَ ما أعْقَبَت من رَسِيسِ

١٠ - لئِنْ لَمْ تَسِرْ بِى إلَيْها الرِّكابُ ... وما أنا مِنْ قَصْدِها باليَئُوسِ ٣٨/أ

١١ - فلا وَخَدَتْ بالرِّجالِ القِلاصُ ... ولا رَجَّعَ الحَدْوَ حادٍ بِعِيسِ

١٢ - فهَلْ يَطِسُ الرَّكْبُ رَكْبُ الحِجازِ ... بِنا نَحْوَها جَمَراتِ الوَطِيسِ

١٣ - إذًا لَتَجَلَّتْ نُجومُ السُّعودِ ... عَلَيْنا وزالَتْ نُجومُ النُّحُوسِ

١٤ - وكانَ عَلَىَّ لِذاكَ الحِمَىٰ ... حِمَىٰ اللهُ آثارَهُ مِنْ دُرُوسِ

١٥ - أقَبِّلُ حَصْباءَهُ بالجُفونِ ... وأُطْلِقُ مَكْنونَ دَمْعِى الحَبِيسِ

١٦ - فَثَمَّ حَبِيبُ القُلوبِ الكَرِيمُ ... تُفَدِّيهِ مِنَّا جَمِيعُ النُّفُوسِ

---

(١) وادى العروس: موضع قرب المدينة المنورة.

(٢) شعاب: طرق. المصلّى: موضع فى عقيق المدينة [وفاء الوفا ٤/١٣٠٨ ، معجم البلدان ٥/١٦٨].

(٣) رفَّ: برق وتلألأ. (٥) بُوس: بُؤْس، سهل الهمز لضرورة القافية.

(٦) أسنى: أعلى. اللبوس: كل ما يلبس.

(٨) مغنى: منزل. بهيج وأنيق: حسن. أنيس: مؤنس.

(٩) أعقبت: خلّفت. الرسيس: بقية الحب وآثاره فى القلب.

(١١) القلاص: الإبل الفتيّة. الحدْو: الغناء للإبل.

(١٢) يطس: يضرب برجله. جمرات الوطيس: الحصى الملتهب من شدة الحر.

(١٣) السعود والنحوس: ضدان، فالسعود للتفاؤل بالخير، والنحوس للتشاؤم بالشر.

(١٥) حصباءه: حجارته وصخوره. مكنون: مستور، وهذا البيت اسم (كان) فى البيت السابق.

١٧ - أبو القَاسِمِ الهَاشِمِيُّ الشَّرِيفُ ... طِرازُ اللِّبَاسِ وتاجُ الرُّءوسِ

١٨ - نَبِيٌّ عَلىٰ العَرْشِ خُطَّ اسْمُهُ ... وأوْصافُهُ ثَبَتَتْ فى الطُّروسِ

١٩ - بِتَوْراةِ مُوسَىٰ عَلامَاتُهُ ... تَبَيَّنَها كُلُّ حَبْرٍ رَئِيسِ

٢٠ - وإنجِيلُ عِيسَىٰ جَلاها علىٰ الـ ... ـنَّصارَىٰ ورُهْبانِها والقُسُوسِ

٢١ - تَزَلْزَلَ كِسْرَىٰ لِمِيلادِه ... وأخْمَدَ ذُو العَرْشِ نارَ المَجُوسِ

٢٢ - ولَمَّا تَبَيَّنَ إبَّانُهُ ... أماطَ حِجابَ الضَّلالِ اللَّبِيسِ

٢٣ - أضاءَ بأنْوارِهِ المُشْرِقاتِ ... مِن الدِّينِ كُلَّ سَبِيلٍ طَمِيسِ

٢٤ - وشادَ مَنارَ الهُدَىٰ وانْبَرَىٰ ... لِمَحْقِ المَعازِفِ والخَنْدَرِيسِ

٢٥ - وجاءَ الأنامَ بِعَدْلِ القَضاءِ ... ورَفْعِ مَظالِمِهِمْ والمُكُوسِ

٢٦ - وَقَدْ كانَ مَنْ قَبْلَهُ يَقْتَدونَ ... بِكُلِّ قَرِينٍ مَهِينٍ خَسِيسِ

٢٧ - تَفَرَّقَتِ السُّبُلُ المُوبِقاتُ ... بِهِمْ فَغَدَوْا نَهْبَ غَاوٍ خَنُوسِ

٢٨ - فَأنْذَرَهُمْ بالكِتابِ المُبِينِ ... وحَذَّرَ شَرَّ عَذابٍ بَئِيسِ

٢٩ - وجاهَدَهُمْ بالظُّبا المُرْهَفاتِ ... وسُمْرِ القَنا ومَغاوِيرَ شُوسِ

٣٠ - فَجَدَّلَ فُرْسانُهُ القاهِرونَ ... أُسُودِ الضَّلالَةِ فى كُلِّ خِيسِ

---

(١٨) الطروس: الكتب، جمع طِرْس. (١٩) الحبر: العالم.

(٢٢) إبانه: وقت مبعثه ﷺ. أماط: أزال وكشف. اللَّبيس: الملتبه.

(٢٣) طميس: مطموس.

(٢٤) المعازف: ما يعزف عليه من آلات الموسيقى. الخندريس: الخمر. ومحقها: إبادتها والقضاء عليها.

(٢٥) المكوس: الأموال التى تؤخذ بغير وجه حق.

(٢٦) وقد كان من قبله: فى الأصل: وكانوا على قلة، ولا معنى له فى هذا السياق، والصواب ما أثبته من [النبهانية ٢ / ٢٦١] لكن النبهانى ضبط العبارة هكذا: وقد كان مِنْ قَبْلِه، ولا شك أنها زلة قلم. القرين: الشيطان، مهين وخسيس مترادفان.

(٢٧) الموبقات: المهلكة. غَدَوْا: أصبحوا. نهب غاوٍ: فى قبضة مُضِلٍّ، وهو الشيطان. خنوس: يخنس - أى ينقبض - إذا سمع ذكر الله؛ ولذلك سمى الخنّاس. وفى الأصل: حبوس، بالحاء والباء، والصواب من النبهانية.

(٢٨) بئيس: شديد.

(٢٩) الظبا: السيوف. المرهفات: القاطعة الحادة. القنا: الرماح. مغاوير: جمع مغوار، وهو الذى يكثر من شنّ الغارات على العدو. شوس: جمع أشوس، وهو الشجاع.

(٣٠) جدّل: صرع وقتل. الخيس: مأوى الأسد.

٣١ - وكَمْ عَقَدَتْ كَفُّهُ رايَةً ... وجَهَّزَ نَحْوَ العِدا مِنْ خَميسِ ٣٨/ب

٣٢ - فَذَلَّلَ بالحَقِّ حَقَّ اليَقينِ ... مِنَ الكُفْرِ كُلَّ جَمُوحٍ شَمُوسِ

٣٣ - ودَيَّخَ كُلَّ أَبِيٍّ عَصَىٰ ... وشَقْشَقَ مِنْ بازِلٍ أَوْ سَديسِ

٣٤ - فأَضْحَتْ به عَرَصاتُ الضَّلالِ ... قِواءً ولَيسَ بِها من حَسيسِ

٣٥ - وأَصْبَحَ رَبْعُ الهُدَى آهِلاً ... قَدِ اخْضَرَّ بَعْدَ الهَشيمِ اليَبيسِ

٣٦ - وكانَ لأُمَّتِهِ في الحَياةِ ... غَزيرَ الحَباءِ عَزيزَ الجَليسِ

٣٧ - وفي مَوْتِهِ هُوَ خَيْرٌ لَهُمْ ... وفي يَوْمِ الاثْنَيْنِ قَبْلَ الخَميسِ

٣٨ - إذا عَرَضَتْ لَهُمُ فيهِما ... مَكاسِبُ مِنْ مُرْبِحٍ أو بَخيسِ

٣٩ - فيَسْتَوْهِبُ اللَّهَ ذَنْبَ المُسيءِ ... فيُخْلِصُهُ مِنْ هَواهُ الدَّسيسِ

٤٠ - أَلا يا نَبِيَّ الهُدَىٰ، أنتَ في ... مَعادِيَ ذُخْرِي لِفَقْرِي وبُؤسِي

٤١ - غَرَسْتَ لَنا سُنَّةً أَثْمَرَتْ ... وهَا نَحْنُ نَجْنِي ثِمارَ الغُروسِ

٤٢ - فَلا زالَ عِنْدَكَ نُورُ الرِّضا ... مُقيمًا بِرَمْسِكَ خَيرِ الرُّموسِ

*****

---

(٣١) الخميس: الجيش.

(٣٢) الجموح والشَّموس، كلاهما: الحصان الصعب الذى يمنع الفارس من ركوبه، شبه به شدة الكفر والعناد.

(٣٣) ديَّخ: ذلَّل. شقشق: تكلم بالباطل. البازل: الجمل الذى بلغ التاسعة، والسديس: الجمل الذى ألقى سنه بعد الرابعة.

(٣٤) عرصات: جمع عرصة، وهى الساحة. قواءً: مقفرة ليس فيها أحد. حسيس: صوت.

(٣٥) آهلاً: مسكونا عامرا بأهله. الهشيم: الشجر الجاف المنكسر، واليبيس مثله مبالغة فى تصوير القفر والجدب.

(٣٦) الحباء: العطاء.

(٣٨) البخيس: ضد مربح.

(٣٩) يستوهب الله: يستغفره. الدسيس: الخفىّ.

(٤٠) المعاد: يوم القيامة. والذخر: ما يدخره الإنسان لوقت حاجته.

(٤٢) الرمس: القبر.

قافية الشين المعجمة

(عدتها ٣٥ ـ الطويل الثانى)

تضم هذه القافية قصيدة واحدة كلها مديح للنبى ﷺ وإعلان لحبه وحب الديار التى شهدت ميلاده ومبعثه، داعيًا لها بالسقيا والخصب.

تتضمن القصيدة ثلاثة أفكار:

- أشواق وصبوات.
- فى مديح النبى ﷺ.
- رجاء واستغاثة.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - شَواهِدُ قَلْبِ الصَّبِّ لا تَقْبَلُ الرِشَا ... فكَيْفَ قَبولُ النُّصْحِ مِنْ كاشِحٍ وشَىْ؟

٢ - أيَأْمُرُ خِلْوٌ بالتَّصَبُّرِ مُغْرَمًا ... وآنِسُ رَبْعِ الحُبِّ أصْبَحَ مُوحِشَا؟

٣ - أمَا فى الهَوَىٰ العُذرِىِّ عُذْرٌ لِشَيِّقٍ ... إذا لاحَ رَكْبٌ مِنْ تِهامَةَ أجْهَشَا؟

٤ - ويَهْتَزُّ مِنْ وَجْدٍ إذا نَفَسُ الصَّبَا ... سُحَيْراً بأعْطافِ الخُزامَىٰ تحَرَّشَا

٥ - مَتَىٰ يَرِدُ الماءَ النَّمِيرَ مُحَلأٌ ... فَيَنْقَعَ مِنْ وِرْدِ الصَّفَا غُلَّةَ الحَشَا

٦ - ويَنْهَلَ مِنْ ماءٍ بِطَيْبَةَ حَائِمٌ ... يُرَوِّى فُؤادًا نَحْوَها مُتَعَطِّشَا

٧ - سَقَىٰ حَرَّتَىْ أرْضِ الحِجازِ حَيًا رَوَى ... لِيُحْيِىَ مَيْتَ الحَرَّتَيْنِ ويُنْعِشَا

٨ - أتَىٰ ونباتُ الأرضِ بالجَدْبِ خامِلٌ ... فَدَرَّ لَهُ كأسُ الغَمائِمِ فَانْتَشَىٰ

---

(١) الشواهد هنا بمعنى : الحال والصفة، وأصل الشاهد : اللسان لأنه يشهد على صاحبه . يقول : إن القلوب المحبة لا تقبل الكلام المنمق الجميل، فكيف تقبل كلام ذوى العداوة ووشاياتهم .

(٢) خلو : قلبه خال من الحب . آنس : حافل بالأنس . وضده موحش . يقول : كيف للخلىٍّ أن يأمر الصب العاشق بالصبر، وقد صارت ربوع الحب موحشة قد فارقها الأحباب بعد ما كانت حافلة بالأنس؟ .

(٣) الهوى العذرى : منسوب إلى قبيلة عُذْرَة، وكان فيها عشاق يتعففون فى حبهم، فنسب إليها كل محب صادق عفيف . وشيق : مشتاق . تهامة : الجبال المحاذية للبحر الأحمر من جزيرة العرب، وتمتد من مكة المكرمة شمالاً إلى صنعاء جنوبا [انظر : الروض المعطار ص ٤١ ، معجم ما استعجم ص ٥] . أجهش : ارتفع صوته بالبكاء .

(٤) الوجد : الحب الشديد . الصبا : رياح القبول، وهى رياح طيبة . سحيراً : تصغير سحر، أى : فى وقت السحر . أعطاف : جوانب . الخزامى : نبت طيب الرائحة له زهر أحمر . والتحرش : أراد به : الغزل والملاعبة .

(٥) الماء النمير : العذب الصافى . محلأ : ممنوع من الورود على الماء . ينقع : يطفئ . ورد الصَّفا : أى الارتواء من الماء الصافى . الغُلَّة : العطش الشديد . يقول : متى يرتوى المحب الممنوع من الماء العذب فيطفئ ظمأ قلبه بصفو الحب .

(٦) ينهل : يشرب حتى يرتوى . حائم : طائف حول الماء من شدة عطشه . وكل هذا أراد به العطش المعنوى، أى الظمأ إلى المحبوب وشدة الشوق إليه .

(٧) حرَّتَىْ أرض الحجاز : الحرَّتان، مثنى حرَّة، وهما بالمدينة . وفى (ب) : سقى حَرَمَىْ، أى الحرمين الشريفين، ولعله أصوب مما فى (أ) .

(٨) خامل : ضعيف غير مزدهر . درّ : نزل الماء غزيرا .
انتشى : سَكِر، والمراد : انتعش ودبت فيه الحياة .

٩ - فأضحتْ أزاهيرُ الرِّياضِ كأنَّها مطارفُ وَشْيٍ زانَها صُنْعُ مَنْ وَشَى ١/٣٩

١٠ - إذا هَيْنَمَتْ فيها النَّسيمُ تظُنُّها تُحَبِّرُ في الغُدْرانِ خَطًّا مُرَقَّشَا

١١ - فَتِلْكَ لَعَمْرُ اللهِ أشْرَفُ دارَةٍ إلىٰ نارِها طَرْفٌ لِمُسْتَرْفِدٍ عَشَا

١٢ - إذا أمَّها رَكْبٌ أودُّ بأنَّني جَعَلْتُ لَهُ خَدِّي علىٰ الأرْضِ مَفْرَشَا

١٣ - أُعظِّمُ أخْفافًا كَرائِمَ تَرْتَمي إلىٰ سَيِّدِ السادَاتِ أعْظَمِ مَنْ مَشىٰ

١٤ - مُحَمَّدٍ المَبْعُوثِ بالخُلُقِ الذي لِموسَىٰ وعيسَىٰ في الكِتابَيْنِ أدْهَشَا

١٥ - وحَازَ مِنَ الرُّهْبَانِ سَلْمانُ وَصْفَهُ فَطافَ عَلَيْهِ في البِلادِ وفَتَّشَا

١٦ - وفَازَ بِما أبْدَىٰ بَحِيرَىٰ وخَابَ مَنْ بِظُلْمٍ على كِتْمانِ أوصافِهِ ارْتَشىٰ

١٧ - فَبُورِكَ حَمْلاً واحْتَوَىٰ الخَيْرَ مُرْضَعًا وَباءَ بأنواعِ الكرامَةِ مُذْ نَشَا

١٨ - ولاحَتْ أمَارَاتُ النُّبوَّةِ عِنْدَهُ لِذِي نَظَرٍ ما شَابَ ناظِرَهُ العَشىٰ

---

(٩) مطارف : ثياب من الخزّ مزركشة . الوَشْي : النسيج الملون بعدة ألوان . زانها : زيَّنها . يقول : إن الأرض قد تزينت وتجملت بألوان الزهر والنبات ، فكأنها ثياب ملونة ؛ وذلك لمَّا بعث النبى ﷺ .

(١٠) هينمت : أحدثت صوتًا أثناء مرورها بالشجر ، كأنه كلام خفيض أو دندنة غناء . تحبِّر : تكتب . الغدران : جمع غدير ، وهى الماء المتجمع من المطر والسيل . مرقش : منقوش ، يقول : كأن صوت النسيم دندنة غناء ، وكأن حركة الرياح فوق الغدران كتابة مرقشة .

(١١) لعمر الله : قسم بالله عز وجل . دارة : منزل وموضع . طرف : بصر . مسترفد : طالب رفد ، أى عطاء . عشا : نظر فى الضوء فلم يثبت بصره . وذكر النار لأنها كانت علامة يوقدونها للضيف فيراها من بعيد فينزل عليهم طالبًا الرفد والكرم .

(١٢) أمَّها : قصدها . يقول : إننى أود لو جعلت خدى مفرشًا على الأرض التى يسير عليها من قصد هذه البقاع المباركة .

(١٣) الأخفاف : جمع خُفّ ، وهى أقدام الإبل . سيد السادات : سيدنا محمد ﷺ .

(١٤) يقول : إن ذكر محمد ﷺ فى الكتابين - التوراة والإنجيل - قد أدهش سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام .

(١٥) سبق ذكر قصة سلمان ﷺ وطوافه على الرهبان ناشدًا أخبار النبى ﷺ قبل بعثته .

(١٦) بحيرى : الراهب الذى رأى علامات النبوة على النبى ﷺ وهو غلام فآمن بنبوته . أما الرهبان الذين كتموا ما يجدونه فى التوراة من صفة نبينا عليه الصلاة والسلام فقد باءوا بالخيبة والخسران .

(١٧) بورك حملاً : أى كان مباركًا وهو بَعْدُ جنين فى رحم أمه ؛ إذ لم تجد به ما تجد النساء من مشقة الحمل . وبورك مرضعا : لما ظهر من بركاته على مرضعته السيدة حليمة السعدية . باء : فاز . نشا : نشأ ، خفف الهمز لضرورة القافية .

(١٨) لاحت : ظهرت . أمارات : علامات . العَشَى : ضعف البصر ، وأراد به : عمى البصيرة .

١٩ - تَبَشْبَشَ وَجْهُ الأرْضِ مُذْ حَلَّها كَما ... بِطَلْعَتِهِ وَجْهُ السَّماءِ تَبَشْبَشا

٢٠ - حَباهُ بِما يَعْلُو عَنِ الوَصْفِ رَبُّهُ ... وعَلَّمَهُ مِنْ أَشْرَفِ العِلْمِ ما يَشا

٢١ - وجاءَ بِحقٍّ مُسْتَنيرٍ نَفَىٰ بِهِ ... زَخارِفَ إِفْكٍ كانَ فى النَّاسِ قَدْ فَشَا

٢٢ - وجاهَدَ حَتَّىٰ شادَ بالسَّيْفِ رافِعًا ... مِنَ الدِّينِ مَا أَوْهَىٰ الضَّلالُ وشَوَّشَا

٢٣ - وجَرَّ بِهِ ثَوْبَ الفَخارِ عَلى الوَرَىٰ ... بِمَكَّةَ حَيٌّ بالبِطاحِ تَفَرَّشَا

٢٤ - بِمَنْصِبِهِ سادَ المُلوكَ مُعَمَّمًا ... تَمَكَّنَ فى سُلْطانِهِ ومُشَرْبَشَا

٢٥ - حَوَىٰ الحُسْنَ والإِحْسانَ والعِلْمَ والتُّقَىٰ ... فَلَمْ يَكُ صَخَّابًا ولا مُتَفَحِّشَا

٢٦ - ولا عابِسًا فَظًّا غَليظًا فَلَمْ يَلُمْ ... حُبوشًا عَلى زَفْنٍ ولا عابَ أَنْجَشَا

٢٧ - حَيِيٌّ جَوادٌ زاهِدٌ مُتَوَكِّلٌ ... فَما اعْتَدَّ فَضْلاً مِنْ غَداءٍ إِلىٰ عَشَا

---

(١٩) تبشبش: أضاء وأشرق فرحًا بميلاد النبى ﷺ.

(٢٠) حباه: أكرمه. ما يشا: ما يشاء، قصر للمد للضرورة.

(٢١) الإفك: الضلال. فشا: انتشر وعمّ.

(٢٢) شاد: بنى وأعلى البناء. أوهى: أضعف. شوّش: خلط وأفسد.

(٢٣) جرّ ثوب الفخار: كناية عن رفعة القدر. الورى: الناس. حىّ بالبطاح: يريد قريشًا، لأنهم سكان بطحاء مكة. تفرّش: سكن. يقول إن قريشًا حازت أسباب الفخر على الناس بكونه ﷺ من قريش.

(٢٤) ساد الملوكَ: أصبح لهم سيدًا. مشربشًا: لعله أراد: ولابسًا الشربوش، وهو ما نسميه فى العامية المصرية: الطربوش. بقرينة قوله (ومُعَمَّمًا)، أى لابسًا العمامة. ولم أجد فى لباس النبى ﷺ شيئًا كهذا، اللهم إلا القلنسوة.

(٢٥) صخاب: كثير الصخب مرتفع الصوت. متفحش: يقول الفحش، وهو كل سيئ من الكلام. جاء فى حديث كعب الأحبار فى صفة النبى ﷺ: «فى التوراة: محمد عبدى، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صَخَّاب فى الأسواق» [النهاية لابن الأثير ٣/١٤].

(٢٦) عابس: مقطّب الجبين. والفظ بمعنى الغليظ الشديد على الناس. وقال تعالى: ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًّا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ آل عمران / ١٥٩.
الحبوش: أهل الحبشة. الزفن: الرقص. يشير بهذا إلى لعب الأحباش بالحراب فى مسجد النبى ﷺ فكانوا يرقصون أمامه ويلعبون بالحراب، ولم ينههم النبى ﷺ [رواه البخارى فى كتاب الجهاد والسير، باب اللهو بالحراب ونحوها، انظر: الفتح ٦/١٠٩، حديث رقم ٢٩٠١]. أما أنجشة فهو الذى كان يقود الإبل ويغنّى لها، فلم ينهه النبى ﷺ عن الغناء، وإنما قال له: «رويدك يا أنجشة، رفقًا بالقوارير» [أخرجه البخارى ومسلم، انظر: الفتح، كتاب الأدب ١٠/٥٥٤، حديث رقم ٦١٤٩، مسلم بشرح النووى، ٩/٢٤٢].

(٢٧) حَيِيٌّ: وصف من الحياء. جواد: كريم. اعتدّ: اتخذ وهيأ. فضلاً: زيادة، أى لم يخزن ما زاد من غدائه لحين عشائه، وذلك لتوكله على الله عز وجل.

٢٨ - شُجاعٌ إذَا مَا الحَرْبُ مَدَّتْ رِواقَها ... وأَسْبَلَ فيها النَّقْعُ لَيْلاً فأغْطَشَا

٢٩ - جَلاَ كَرْبَها حَتَّىٰ تَبَيَّنَ أنَّه ... لَدىٰ البَأْسِ مِنْهُمْ كَانَ أَقْوىٰ وأبْطَشَا

٣٠ - لَهُ القَمَرُ انْشَقَّ امْتِثالاً لأَمْرِه ... وحَيَّتُهُ جَهْراً ظَبْيَةٌ فارَقَتْ رَشَا ٣٩/ب

٣١ - وفِي الحَشْرِ يَسْقِي المَاءَ مِنْ حَوْضِه الرِّوىٰ ... إذَا كانَ كَرْبُ الحَشْرِ للنَّاسِ مُعْطِشَا

٣٢ - شَفاعَتُهُ للنَّاسِ مِنْ طُولِ حَبْسِهِمْ ... كَمَا مِنْ لَظًى يَنْجُو بِها مَنْ تَمَحَّشَا

٣٣ - وإنِّي لأَرْجُوهُ إذَا اغْتَالَنِي الرَّدَىٰ ... وبُوِّئْتُ فِي البَيْدَاءِ قَبْراً مُنَبَّشَا

٣٤ - وفِي المَوْقِفِ الصَّعْبِ الشَّدِيدِ الَّذِي بِهِ ... تُخَالُ الجِبالُ الشُّمُّ عِهْنًا مُنَفَّشَا

٣٥ - يُعَطِّرُ مَدْحِي ذِكْرُهُ فَكأَنَّهُ ... لِشِعْرِيَ بالكَافُورِ والمِسْكِ قَدْ حَشَا

*****

---

(٢٨) مدت رواقها : كناية عن اشتعال الحرب وشدتها، فكأنها أظلت المحاربين برواقها، أى كأنها سقف . أسبل : غطّى . النقع : التراب الثائر فى أرض المعركة . أغطش : أظلم .

(٢٩) البأس : الشدة فى الحرب وغيرها . أبطش : أشد بطشا وإهلاكا للأعداء .

(٣٠) سبق ذكر معجزة انشقاق القمر للنبى ﷺ ، ومعجزة الظبية - أى الغزالة - التى فارقت ولديها واستأذنت النبى ﷺ أن يطلقها لترضعهما، ثم عادت إليه .

(٣٢) أى أنه ﷺ يشفع للناس كى يطلقوا من الحبس فى الموقف، ثم يشفع للعاصين من أمته فيخرجون من النار . وتمحش : احترق بالنار .

(٣٣) الردى : الموت . بوئت : أنزلت . البيداء : الصحراء .

(٣٤) تُخَال : تُظَنّ . الجبال الشمّ : العالية . العهن : الصوف . المنفش : المغزول والمتفرق، يلمح إلى قوله تعالى : ﴿ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴾ القارعة / ٥ .

قافية الصاد المهملة

(عدتها ٣١ ـ الكامل الأول)

جاء على هذا الروى قصيدة واحدة على منوال سابقتها، فكلها شوق إلى الديار المقدسة ومديح لساكنها ﷺ، وثناء على صحابته رضوان الله عليهم، ثم استغاثة بجاهه أن يخلص الأمة من الخطوب، وأن يخلصه من النار يوم تعنو الوجوه للحى القيوم.

تضمنت القصيدة الأفكار الآتية :

- فى الشوق إلى الديار المقدسة.
- فى مديح النبى ﷺ.
- فى الثناء على صحابته رضى الله عنهم.
- دعاء واستغاثة.

وقال يمدحه ﷺ :

١ - هَلْ بَعْدَ عَائِقَةِ التَّفَرُّقِ مَخْلَصُ ... لِفَتًى بِأَيَّامِ الحِمَىٰ يَتَرَبَّصُ

٢ - يَهْفُو إِلَىٰ الحَرَمِ الشَّرِيفِ وَدُونَهُ ... غَالِي دِمَاءِ بَنِي المَحَبَّةِ تَرْخُصُ

٣ - أَنَّىٰ يُسَلَّىٰ مَنْ لَهُ شَغَفًا بِهِ ... قَلْبٌ يَزِيدُ أَسًى وَصَبْرٌ يَنْقُصُ

٤ - تُهْدِي مَعَ الرَّكْبِ التَّحِيَّةَ نَحْوَهُ ... لَوْ كَانَ ذَلِكَ لِلغَرَامِ يُمَحِّصُ

٥ - أَرْضٌ بِهَا أُسْدُ الرِّجَالِ قَنِيصَةٌ ... لِظِبَائِهَا وَظِبَاؤُهَا لا تُقْنَصُ

٦ - فَسَقَىٰ حِمَاهَا الأَفْيَحَ العَطِرَ الشَّذَا ... صَوْبُ الغَمَامِ عَلَىٰ رُبَاهَا يَنْشَصُ

٧ - أَلَنَا إِلَيْهَا أَوْبَةٌ بِنَجَائِبٍ ... تَحْتَ المَحَامِلِ فِي الأَزِمَّةِ تَرْقُصُ

٨ - تَطْوِي بِنَا شُعَبُ الفَلا حَتَّىٰ تُرَىٰ ... لِحَصَىٰ المُحَصَّبِ بِالمَنَاسِمِ تَفْحَصُ

٩ - وَيَزُولَ عَنْهَا بِالأَبَاطِحِ عِيُّهَا ... وَشَجًى بِهِ فِي نَابِهَا تَتَغَصَّصُ

---

(١) العائقة : كل ما عاقك عن شيء .
يقول : هل بعد ما كان من فراق عودة لفتى ينتظر اللقاء ويرجوه ؟ .

(٢) يهفو : يحنّ ويشتاق .

(٣) يُسَلَّى : ينسى ويتلهى . أسى : حزن .
يقول : كيف ينسى من كان حبه يزيد كل يوم وصبره ينقص ؟

(٤) مَحَّص الشيء : خلّصه ونقّاه من الشوائب .
و« لو » هنا للتمني ، أى ليت إهداء التحية مع كل ركب يخلّص حبه مما يشوبه من ألم الفراق .

(٥) قنيصة : مَصيدة ، فهى فعيلة بمعنى مفعولة . وكلمة (أرض) فاعل (تُهدى) فى البيت السابق .
يقول : إن هذه الأرض ظباؤها تصيد أسودها . كنى بالظباء عن النساء .

(٦) الأفيح : الواسع . صوب الغمام : المطر المنسكب مصحوبا بصوت .
ينشص : يعلو بعضه فوق بعض .

(٧) أوبة : عودة . نجائب : كرام الإبل . المحامل : ما يوضع على ظهور الإبل . الأزمة : جمع زمام ، وهو ما تقاد به الإبل . وجعلها ترقص فرحا بالمسير إلى الديار المباركة .

(٨) شُعَب الفلا : الجبال المتشابكة . والفلا : الصحراء . المحصب : موضع بين مكة ومنى ، وهو بطحاء مكة حيث ترمى الجمار ، سمى بذلك من الحصباء أى الحصى .
والمناسم : خفاف الإبل . تفحص : تطأ الحصى بأخفافها وتقلب الرمال .

(٩) العيّ : التعب والإرهاق . الشَّجَى : الغُصّة فى الحلق .
يقول : إذا بلغت بنا الإبلُ البقاع الطيبة زال ما بها من إرهاق وألم .

١٠ - فإذَا قَضَتْ أوْطَارَها أضْحَتْ إلىٰ ... أعْلامِ طَيْبَةَ فِي المَهامِهِ تَشْخَصُ

١١ - حَتَّىٰ تَحِلَّ بِرَبْعِ أكْرَمِ مَنْ إلىٰ ... مَغْناهُ حَنَّ الأشْعَثُ المُتَمَحِّصُ

١٢ - شَمْسُ النُّبوَّةِ بَدْرُها العَلَمُ الَّذِي ... أضْحَى بِخَيْرِ ثِيَابِها يَتَقَمَّصُ

١٣ - بابُ النَّجاةِ مُحَمَّدٌ مَنْ لَمْ يَزَلْ ... أبَدًا عَلَىٰ نُصْحِ البَرِيَّةِ يَحْرِصُ

١٤ - عَبْدٌ كَرِيمٌ شاهِدٌ مُتَوَكِّلٌ ... بالمُعْجِزاتِ الباهِراتِ مُخَصَّصُ

١٥ - كانَ ابْنَ خَمْسٍ والغَمَامُ يُظِلُّهُ ... والظِّلُّ عَنْ أتْرابِهِ يَتَقَلَّصُ ١/٤٠

١٦ - يَغْدُو بِلا كَحَلٍ كَحِيلاً داهِنًا ... وقَرِينُهُ شُعْثُ الغَدائِرِ أرْمُصُ

١٧ - وافَىٰ بِصِدْقٍ أبْطَلَتْ آيَاتُهُ ... مَا زَخْرَفَ الكَذَّابَةُ المُتَخَرِّصُ

١٨ - ورَأىٰ بِبَدْرٍ مَا رَأىٰ فَهَوَىٰ عَلَىٰ ... عَقِبَيْهِ شَيْطانُ الضَّلالَةِ يَنْكُصُ

١٩ - آتَاهُ مُرْسِلُهُ الجَوامِعَ حِكْمَةً ... مَعَنًى غَزِيرٌ والكَلامُ مُلَخَّصُ

٢٠ - وحَبَاهُ رَبُّ العَرْشِ بالصَّحْبِ الأُلَىٰ ... نَصَحُوا لَهُ إذْ بايَعُوهُ وأخْلَصُوا

٢١ - عَظُمَتْ أُجورُ مُحِبِّهِمْ ونَمَتْ كَمَا ... عَظُمَتْ عُقوبَةُ مَنْ لَهُمْ يَتَنَقَّصُ

٢٢ - أنَّىٰ يَسُبُّهُمُ الغَوِيُّ وفَضْلُهُمْ ... لا نَقْصَ فِيهِ وعِرْضُهُمْ لا يُغْمَصُ؟!

---

(١٠) قضت أوطارها: نالت مرادها، وأراد به قضاء المناسك فى البيت الحرام بمكة المكرمة. أعلام طيبة: جبال المدينة. المهامه: الصحارى الموحشة. تشخص: تسير. أى بعد قضاء المناسك فى مكة المكرمة توجهت الركاب إلى المدينة المنورة لزيارة النبى ﷺ والصلاة بمسجده.

(١١) مغناه: منزله. الأشعث: الذى أجهده السفر وعلاه الغبار. المتمحّص: الذى سار سيراً طويلاً. وفى (أ): المتخمص، ولا يناسب السياق، وما أثبته من (ب).

(١٢) يتقمّص: يلبس، مشتق من القميص.

(١٥) أترابه: أصحابه المماثلون له فى العمر. يتقلّص: ينحسر فلا يظلّهم.

(١٦) داهنا: مرجل الشعر مطيب بالدهن، أى الزيت. شعث: جمع أشعث، وهو المغبر شعره. الغدائر: خصلات الشعر. فى حديث ابن عباس - رضى الله عنهما - يصف النبى ﷺ: كان الصبيان يصبحون غُمصًا رُمصًا، ويصبح الرسولُ ﷺ صقيلاً دهينًا. الغُمص: جمع أغمص من الغَمص، وهو الذى يجتمع فى زوايا الأجفان من: البياض والرُمص من الرَمص وهو كسابقه إلا أن الغَمصَ ما كان جافًا، والرمص ما كان رطبًا [الحديث وشرحه من: النهاية لابن الأثير ٢/٢٦٣].

(١٧) وافى: أتى. الكذابة: صيغة مبالغة من الكذب، كالعلامة والنسّابة والرحالة. والمتخرّص: الكذاب.

(١٨) ينكُص: يرجع ويفرّ.

(٢٠) الأُلَى: الذين.

(٢٢) لا يُغْمَص: لا يحقَّر ولا يستصغر.

٢٣ - مَـا فِـيـهِـمُ إلاَّ إمَـامٌ بالهُـدىٰ ... خَلَفَ النُّبـوَّةَ أوْ وَلِـيٌّ مُـخْلِصُ

٢٤ - فِي حُـبِّـهِ بَذَلُوا النُّفوسَ فَحَبَّذَا ... جَسَدٌ لَهُمْ يَعْرَىٰ وبَطْنٌ يَخْمَصُ

٢٥ - بِسيوفِهِم طاحَت رِقابُ عِداتِهِمْ ... وظُهُورُهُمْ بِشَبَا قَناهُمْ تُوقَصُ

٢٦ - فَهُمُ مَصَابِيحُ الهُدىٰ، ومَنِ ادَّعَى ... شَيْئًا سِوَىٰ هٰذا فَذَلِكَ يَخْرُصُ

٢٧ - يَا مَنْ عَلَتْ قَدَمُ السِّباقِ بِهِ فَلَمْ ... يُدْرِكْهُ مِنْ أَهْلِ المَراتِبِ أَخْمَصُ

٢٨ - يَا عُدَّتِي فِي شِدَّتِي وذَخِيرَتِي ... لِهُجُومِ مَوْتٍ لِلأنامِ يُنَغِّصُ

٢٩ - يَا مَنْ إذَا مَا حَلَّ خَطْبٌ بِالوَرَىٰ ... فَبِجَاهِهِ مِنْ كَيْدِهِ نَتَخَلَّصُ

٣٠ - بِكَ أتَّقِي نَارَ الجَحِيمِ وحَرَّها ... فَجَنَاحُ مَنْ بِكَ يَتَّقِي لا يُوهَصُ

٣١ - وبِكَ اعتِضادِي والوُجوهُ لِرَبِّها ... تَعْنُو وأبْصَارُ البَرَايَا تَشْخَصُ

*****

---

(٢٤) حبذا: كلمة مدح. يخمص: يجوع.

(٢٥) طاحت: قُطعَت. الشبا: حد السيف والرمح. قناهم. رماحهم. توقص: تكسر.

(٢٦) يخرص: يكذب.

(٢٧) علت قدم السباق به: كناية عن علو قدره ﷺ. الأخمص: باطن القدم، وقوله: لم يدركه من أهل المراتب أخمص، معناه: لم يدركه أحد من أهل المكانة والمنزلة، فهو كناية عن رفعة منزلته ﷺ على سائر أهل الفضل.

(٢٩) خطب: أمر عظيم، أوشدة.

(٣٠) لا يُوهَص: لا ينكسر.

(٣١) اعتضادى: إعانتى وتقوية ضعفى. تعنو: تنخفض انكساراً وذلاً لعظمة الله جلَّ وعلا.